بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير وشرح

الصحيفة السجادية

آية الله الشيخ حسين الأنصاريان

الجزء الثانى

تعريب: كمال السيّد

تتمّة

الدعاء الأوّل

في التوحيد والحمد للحقّ تعالى

[﴿١٢﴾ حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ و يُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ و يُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ ﴿يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ و هُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1]، ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلىً عَن مَوْلىً شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2]

﴿١٣﴾ حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ

﴿١٤﴾ حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الْأَبْصَارُ و تَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ

﴿١٥﴾ حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ]

حمدا لله سبحانه يستحيل في عالم البرزخ إلىٰ نور يبدد الظلمات المتكاثفة ويضيء طريقنا إلى البعث ويرفع من شأننا يوم يقوم الأشهاد، حمداً يرفعنا لنكون في ظلال وارفة من رحمة الله وفردوسه الخالد.

ظلمات البرزخ

الظلمات جمع ظلمة وهي انعدام النور وانطفاء الأشياء التي ينبغي أن تكون نوارنيّة.

---

١. إشارة إلى سورة الجاثيه: ٢٢. ٢. سورة الدخان: ٤١.

والبرزخ الفاصل بين شيئين والمراد من البرزخ عالم يفصل بين الموت والقيامة؛ فعند ما يغادر الانسان عالم الحياة الدنيا، يكون قد وضع قدميه في عالم البرزخ فيتعرّض لسؤال الملكين ويرىٰ جميع أعماله من خير أو شرّ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

اَلْبَرزَخُ اَلْقَبْرُ وَهُوَ الثَّوابُ والعِقابُ بَيْنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ.[1]

يتحلّل الجسم بعد الموت وتتفكّك عناصره لتعود إلى التراب من جديد، بينما تستمر الروح وتبدأ مسيرة جديدة ورحلة جديدة حيث تلج في عالم آخر هو عالم البرزخ.

عالم البرزخ عالم بين عالمين، يثاب فيه الانسان ويعاقب.

قال أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم قال:

صَدَقْتُكَ كُلُّهُمْ وَاللهِ فِي الْجَنَّةِ.

قال: قلت: جعلت فداك إنّ الذنوب كثيرة كبار.

فقال عليه السلام:

أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ وَلَكِنِّي وَ اللهِ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ.

قلت: وما البرزخ؟

---

١. تفسير نور الثقلين: ٣/ ٥٥٣.

قال:

الْقَبْرُ مُنْذُ حِينِ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[١]

وعندما يرحل الانسان عن الدنيا تنتقل الروح إلىٰ عالم البرزخ ذلك العالم المليء بالعجائب حيث تتجسم الأفكار وتتجسّد النوايا ويكتشف الانسان الحقيقة حاملاً معه ذاكرته بكلّ تجاربه الموفقة والفاشلة.

هنا لك في ذلك العالم إمّا أن يعيش الروح في غمرة نور يتلألأ بأضوائه أو في ظلمات متكاثفة.

يقول الحكيم الالهي محمّد باقر الموسوي:

«المراد بظلمة البرزخ ظلمة العمل وظلمة البدن (الهيولائي) الذي انقطع عنه نور النفس المجرّدة واستعدّ للرجوع إلى المادّة الأصليّة».

وقيل: جمع الظلمات إمّا باعتبار شدّتها وإمّا باعتبار ظلمة القبر وظلمة الوحشة وظلمة العمل.

وقيل: الظلمات إمّا عبارة عن شدائد الروح في عالم البرزخ، أوكناية عن ناره ـ فانّها مظلمة كنار القيامة ـ أو ظلمة الموضع الذي فيه جسده الثاني».[٢]

يقول الشيخ البهائي رحمه الله:

«ما تضمّنته هذه الأحاديث من أنّ الأشباح التي تتعلّق بها النفوس مادامت في عالم البرزخ ليست بأجسام وانّهم يأكلون ويشربون ويجلسون حلقاً حلقاً على

---

١. الكافي ٣/٢٤٢.

٢. لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجّاديّة: ١/٤٩٢.

صور أجسادهم العنصريّة، يتحدّثون ويتنعّمون وانّهم ربما يكونون في الهواء بين الأرض والسماء يتعارفون في الجوّ ويتلاقون ـ ونحو ذلك ممّا يدلّ علىٰ نفس الجسميّة وإثبات بعض لوازمها ـ يعطي ان تلك الأشباح ليست في كثافة الماديّات ولا في لطافة المجرّدات، بل هي ذوات جهتين وواسطة بين العالمين».[١]

عالم البرزخ عالم بين عالمين، ومرحلة يمرّ بها الانسان بعد الموت حيث يتعرّض للمساءلة العامّة حول أفكاره ومعتقداته وتجاربه وبعدها يبدأ الانسان حياة جديدة إمّا أن تكون مليئة بالمسرّات والمتع والبهجة أو مترعة بالمرارة والألم والعذاب.

ويستمرّ الانسان في حياته على هذا النحو إلىٰ يوم القيامة ويوم الحساب.

وفي هذا العالم يفقد الزمن معناه وينعدم الشعور والاحساس به.

يقول العلّامة الكبير السيّد محمّد حسين الطباطبائي:

«الآية دالّة علىٰ الحياة البرزخيّة، وهي المسمّاة بعالم القبر، عالم متوسط بين الموت والقيامة، ينعم فيه الميّت أو يعذّب إلىٰ يوم القيامة.

ومن الآيات الدالّة (على عالم البرزخ) قوله تعالىٰ:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِن خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٢]

---

١. لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجّاديّة: ١/ ٤٧٤.

٢. سورة آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١.

ومن الآيات قوله تعالىٰ:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.[1]

وجاء في كتاب «الالهيّات والمعارف الاسلاميّة»:

«الجسم والبدن البرزخي والنعم في هذا العالم يمكن تشبيهها باللذائذ والنعم التي يراها الانسان في عالم الرؤيا، فانّه في هذا العالم يقوم بأفعال ويمشي ويتكلّم ويفكّر و... ولو انّا قارنّا هذه الأفعال مع الحياة العنصريّة والماديّة فانّها ستفقد حقيقتها؛ ولكن لو صرفنا النظر عن المقارنة فانه يجب القول ان هذه الأفعال في عالم الرؤيا في نفسها لها حقيقة؛ ذلك ان الاحساس بالبهجة والألم في عالم الرؤيا لا يخلو من حالة الحقيقة.

وما أكثر حالات الانسان في النوم التي لها تأثير على البدن العنصري والمادّي.

فإذا اكتسبت هكذا حياة رؤياويّة واقعيّة أكثر ووجدت حقيقة أوضح فانّه يجب أن ندعوها حياة برزخيّة، حيث الأشياء في عالم البرزخ لها صور أجسام مرئيّة من دون أن تكون هذه الأجسام مؤلّفة من عناصر وجزئيّات وذرّات ومن دون أن يكون لها وزن ولهذا يقول العلماء:

توجد في عالم البرزخ آثار المادّة من حرارة وبرودة، وحلاوة ومرارة وفرح

---

١. سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

وحزن بالرغم من عدم وجود المادّة نفسها، كما يوجد أكل وشرب وسماع واستماع ورؤية ومشاهدة بالرغم من غياب العناصر الماديّة التي تتوقّف عليها حياتنا في عالمنا الذي نعيش فيه.

بعد معركة بدر في صدر الاسلام خاطب النبي ﷺ القتلى من زعماء قريش الوثنيّين: هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟

فقال بعض أصحابه:

ـ أتخاطب أجساداً هامدة؟!

فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لم يؤذن لهم بالكلام.[١]

مواقف الأشهاد

قال تعالىٰ:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ﴾.[٢]

ما أشدّ تلك اللحظات عندما يقف الانسان للحساب ويا له من عالم مهول يواجه فيه الانسان مصيره ويقف وجهاً لوجه أمام مستقبله في عالم الخلود.

وهل يستطيع الانسان أن ينكر ما اقترف من الأعمال وهل يمكنه أن ينكر تجربته في عالم الحياة الدنيا.

---

١. الالهيّات والمعارف الاسلاميّة: ٤٨٨.

٢. سورة غافر: ٥١ ـ ٥٢.

والمراد من الأشهاد هم الشهود من ملائكة وأنبياء ومؤمنين وكلّ الذين يقومون للشهادة علىٰ تجارب البشر في حياتهم.

قال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام:

نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ.(١)

وما يؤيّد ذلك دعاء الامام السجّاد عليه السلام في صلاة الليل وقوله:

اَللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ وَتَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِحَضْرَةِ الْأَكْفَاءِ فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالرُّسُلِ الْمُكَرَّمِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ(٢)

ان مستقبل الانسان في عالم الآخرة سيكون انعكاساً لتجربته في عالم الحياة فعلىٰ أساس هذه التجربة سينال الثواب أو العقاب، حيث يتعرّض للمساءلة والحساب علىٰ أفكاره ومعتقداته وأخلاقه وأعماله وأقواله؛ وكذا سلوكه الصراط الأُخروي يتوقّف علىٰ سلوكه وطريقه وطريقته في العيش في عالم الدنيا.

والصراط المستقيم يعني معرفة الله وانتهاج الانسان طريقاً قويماً في حياته الدنيويّة وشكر المنعم علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ وقام بما يجب عليه من أداء واجب العبوديّة للخالق تبارك وتعالىٰ؛ وحينئذٍ يصل إلىٰ غاية الكمال ويعبر الصراط يوم القيامة إلىٰ حيث عالم النعيم المفعم بالمسرّات التي لا نهاية لها.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في مناجاته الشعبانيّة:

---

١. الكافي: ١/ ١٩١.

٢. الصحيفة السجّاديّة: دعاء ٣٢.

اِلٰهي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوباً فِي الدُّنيٰا وَأَنَا اَحْوَجُ إلى سَتْرِها عَلَيَّ مِنْكَ فـي الأُخْرىٰ، اِلٰهي قَدْ أَحْسَنْتَ اِلَيَّ اِذْ لَمْ تُظْهِرْها لِأَحَدٍ مِنْ عِبٰادِك الصّٰالِحينَ، فَلا تَفْضَحْني يَوْمَ القِيٰامَةِ على رُؤُوسِ الأَشْهٰادِ.[١]

حقيقة النفس

قوله صلوات الله عليه في دعائه:

يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ و هُمْ لاَ يُظْلَمُونَ.

اقتباس من قوله تعالىٰ في سورة الجاثية:

﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾.[٢]

كلّ ما في هذا الوجود يدور حول محور الحق والعدالة، هكذا شاء الحق تبارك وتعالىٰ، فمن سار علىٰ الحقّ وانتهج العدل في حياته نـال ثـواب الله عـزّوجلّ وألطافه ورحمته والسكنىٰ في حياته ومن ظلم وجار وعاند الحقّ آل مصيره إلىٰ الجحيم المستعر وحلّ عليه غضب الله؛ ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوىٰ وكان مصيره العذاب الأبدي.[٣]

والمراد من النفس حقيقة الانسان في الدنيا من بدن مادي هو الآلة التي مـن

---

١. إقبال الأعمال: ٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧، المناجات الشعبانيّة.

٢. سورة الجاثية: ٢٢.

٣. **قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ وَقَدْ هَلَكَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَاجْعَلْ زَادَكَ فِيهَا تَقْوَى اللهِ وَاجْعَلْ شِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللهِ وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِك**. بحار الأنوار: ٦/٢٥٠ ـ المترجم.

خلالها يقوم الانسان بأعماله وأفعاله حيث يحدث الانفصال عن البدن عند الوفاة والموت وترحل النفس إلىٰ عالم آخر.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِى * وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾.[1]

والروح كائن سماوي رفيع ومن أجل ذلك نسبه الله عزّوجلّ إلىٰ ذاته ويتمتّع الروح بوجود مستقل كالملائكة وعندما ينمو الجسم البشري ويصل حالة الكمال تلج فيه الروح ليتحوّل إلىٰ خلق آخر وتتبلور شخصيّة الانسان.

وهناك من يذهب إلىٰ أن النفس هي الروح.[2]

حيث يذهب بعض علماء اللغة إلىٰ هذا المعنىٰ في انّ النفس هي الروح حيث الحياة في الجسد قائم عليها، فكلّ انسان هو نفس فقد اطلق هذا الاصطلاح علىٰ أبي البشر سيّدنا آدم عليه السلام وزوجه فالنفس تطلق علىٰ الرجل وعلى المرأة.

ويقال للشخص الذي يملك نفساً يعني لديه صفات حسنة من ذكاء وسخاء و...

وللنفس معاني أُخرىٰ من قبيل:

١ ـ النفس بمعنىٰ الشخص.

---

١. سورة الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

٢. يذهب البعض إلىٰ أنّ النفس تختلف عن الروح، فالقرآن الكريم يذكّر الروح ويؤنث النفس.

للمزيد من التفصيل انظر كتاب «أصل الخلق وأمر السجود» عالم سبيط النيلي ـ المترجم.

٢ ـ النفس بمعنى الروح حيث يكون الانسان مالكاً لنفسه فيطلق عليه لفظ «النفس».

يقول أحد العارفين:

انّ الأدلّة القطعيّة تؤكّد انّ المراد من النفوس هي الروح حيث وجود البشر وحياتهم قائم بها وهذه الأرواح هي أوّل ما خلق الله عزّوجلّ.

وقد روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

أَوَّلُ ما اَبْدَعَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ هِيَ النُّفُوسُ المُقَدَّسَةُ المُطَهَّرَةُ فَاَنطَقَها بِتَوْحيدِه ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ ذٰلِكَ سائِرَ خَلْقِهِ [وإنَّها خُلِقَتْ لِلبَقاء وَلَمْ تُخْلَقُ لِلفَناءِ] لِقَولِهِ ما خُلِقْتُمْ لِلفَناءِ بَلْ خُلِقْتُم لِلْبَقاء وَإنَّما تُنْقَلُونَ مِنْ دارٍ اِلىٰ دارٍ [وَاِنَّها فِي الأَرْضِ غَرِيبَةٌ وَفِي الأَبْدانِ مَسْجُونَةٌ].[1]

٣ ـ الجسم الصنوبري (القلب).

٤ ـ النفس الحيوانيّة التي عبارة عن كونها حقيقة الروح التي لا يعرف حقيقتها إلّا الله عزّوجلّ.

٥ ـ جسم لطيف داخل وعاء البدن كالماء في عروق الشجرة.

٦ ـ جوهر بخاري ولطيف حيث هو منشأ ظهور الحياة وتكوّنها ومصدر الحرارة والحركة الاراديّة داخل الكائن الحيّ؛ وهذا الجوهر يشرف علىٰ البدن وينفصل عنه في حالة الموت.

ولذا فانّ العلماء يصرّحون بأنّ علاقة النفس التي تعني الروح في الانسان لها ثلاثة أنواع:

---

١. الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٤٧؛ بحار الأنوار: ٦/ ٢٤٩؛ مجموعة ورّام: ٢/ ٢٤٣.

الأوّل: السطوع وعلاقته في جميع حالات بدن الانسان في الظاهر والباطن وهي حالة الوعي والصحو.

الثاني: انقطاع العلاقة والسطوع عن ظاهر البدن لا عن باطنه وتلك حالة النوم.

الثالث: انقطاع العلاقة والسطوع عن البدن كلّياً ونهائيّاً وتلك حالة الموت.

٧ ـ النفس جوهر روحاني وليست بجسم وليست لها حالة وخاصيّة جسمانيّة، لا في داخل البدن ولا في خارجه ولها مع الجسد علاقة وحيدة مثل علاقة العاشق بالمعشوق.

٨ ـ النفس بمعنىٰ الدم.

٩ ـ النفس الأمّارة بالسوء: وقد ورد ذلك في القرآن الكريم:

﴿وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.[1]

وذهب البعض إلى أنّ الجزاء هو الاعطاء مقابل الكسب وقد وردت الاشارة إلىٰ هذا المعنىٰ في اعطاء الحسنة مقابل الطاعة والعذاب مقابل العصيان وهو ليس بظلم بل انه عين العدل.

فكلّ من تمادت نفسه وجرّته الأهواء لانتهاك الحدود الالهيّة واستغرق في الشهوات المحرّمة فان ذلك سوف يؤثر علىٰ قلبه ويوجب اعراض الله عزّوجلّ عنه.[2]

---

١. سورة النازعات: ٤٠.

٢. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٤/ ٨٣ ـ ٨٨.

[﴿١٦﴾ حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ونُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لاَ تَزُولُ ومَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لاَ تَحُولُ.

﴿١٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ].

يتضرّع الإمام السجّاد إلى الله عزّوجلّ أن يرزقه الحمد الذي يرتفع به إلىٰ مقام العليّين وهو أعلىٰ المنازل وأشرفها حيث سدرة المنتهىٰ والمكان الذي يشهده المقرّبون من عباده سبحانه وتعالىٰ.

محاسن الخلق

انّ حقيقة الوجود البشري الذي يتميّز بصفة الآدميّة تكمن في النفخة الالهيّة؛ إذ قال سبحانه: ﴿**فَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾، حيث وهب الله الانسان القابليّة والاستعداد لخلافته عزّوجلّ في الأرض.

لقد خلق الله عزّوجلّ الانسان في أحسن تقويم وأودع فيه جميع الأضداد وألهمه معرفته وأدراكه في أحسن صورة.

جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

اِن الله عزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدمَ على صُورَةِ الرَّحْمٰن.[١]

وقال صلوات الله عليه وعلىٰ آله:

رأيتُ رَبِّى لَيْلَةَ المِعْراجِ فِى اَحْسَنِ صُوَرِهِ.[٢]

وروي عن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

الصُّورَةُ الاِنْسانِيَةُ هِيَ اَكْبَرُ حُجَجِ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ وَهِيَ الكِتابُ الَّذى كَتَبَهُ بِيَدِهِ وَهِى الهَيْكَلُ الّذى بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ و هِى مَجْمُوعُ صُوَرِ العالَمينَ وَهِيَ الْمُخْتَصَرُ مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ وَهِيَ الشاهِدَةُ عَلىٰ كُلِّ غائبٍ وَهِيَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ جاحِدٍ وَهِيَ الطَّريقُ الْمُسْتَقِيمُ إلى كُلِّ خَيْرٍ وَهِيَ الجِسْرُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنّارِ.[٣]

خلق آدم عليه السلام

خلق الله عزّوجلّ آدم وخصّه بالخلافة العظمىٰ خلقاً وخلقاً وأصبح الانسان الكامل وأنشأه نشأة جامعة بجميع ما أنشأ من كائنات وأبدع ذاته لتكون موصوفة بجميع ما وصف سبحانه ذاته المقدّسة، من النعوت الجماليّة والجلاليّة والأفعال والآثار والعوالم.

ومحاسن الخلق ثلاثة:

الف: الصورة الحسنة وهي قوله تعالىٰ:

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ١١٠؛ كنز العمّال: ١/ ٢٢٧.

٢. عوالي اللآلي: ١/ ٥٢.

٣. شرح الأسماء الحسنى: ١/ ١٢.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾.[١]

ب ـ التقويم الحسن وقوله تعالىٰ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.[٢]

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾.[٣]

ج ـ الحالات المختلفة من قبيل الجلوس والقيام والنوم والفعّاليّات و.. وإذا كان المراد من حسن الخلق الصفات الحسنة فانّ الله عزّوجلّ خلق الانسان في تراكيب روحيّة وجسميّة وعقليّة وعاطفيّة مختلفة، ليكون عالماً مصغراً فهو يأكل ويشرب ويتحرّك ويحسّ كالنباتات، وهو يدرك حقيقة الأشياء كالحيوان، ولأنّه يجمع كلّ المعاني أعلاه فهوكالملائكة.

وقد أراد عزّوجلّ له أفضل الأخلاق وأحسنها؛ والخُلق هنا هيئة راسخة في النفس حيث لا تصدر الأفعال من دون فكر ورويّة ويقترن استعمال الخَلق والخُلق، وعند ما يقال أنّ فلاناً يتمتّع بحسن الخلق؛ يعني ان ظاهره وباطنه حسن، واذن فانّ الخَلق ارادة الظاهر، والخُلق ارادة الباطن.[٤]

وقد جاء في الحديث عن الامام الحسن عليه السلام:

اِنَّ اَحْسَنَ الحَسَنِ اَلْخُلْقُ الحَسَنُ.[٥]

وقال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

---

١. سورة غافر: ٦٤.
٢. سورة التين: ٤.
٣. سورة المؤمنون: ١٤.
٤. المحجّة البيضاء: ٥ /٩٥.
٥. بحار الأنوار: ٦٨ /٣٣٨٢؛ الخصال: ١ /٢٩.

عُنْوانُ صَحيفةَ المُؤْمِنِ حُسْنُ خُلْقِهِ.[١]

الطيّبات من الرزق

وهذا المقطع من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام هو اقتباس من قوله تعالى:

﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾.[٢]

انّ الله عزّوجلّ خلق الانسان وأجرىٰ عليه الرزق في جميع مراحل حياته مذ هو جنين في بطن أُمّه، يتلقىٰ رزقه وغذاءه عن طريق حبل السري وإلى آخر لحظة من حياته.

قال تعالى:

﴿ **وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾.[٣]

معاني الرزق

الرزق مفهوم يدركه الكائن بفطرته، فمن معانيه بذل الطعام كأن يقال انّ الملك الفلاني يهب جنوده الرزق أي يعطيهم المواد الغذائيّة، ويستخدم اصطلاح

---

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ٣٩٢؛ جامع الأخبار: ١٠٧؛ كشف الغمّة: ٢ / ٣٤٧.
٢. سورة غافر: ٦٤. ٣. سورة البقرة: ٢٢.

«الأرزاق» ليعطي معنى المواد الغذائيّة التي توزع على الفرق العسكريّة.

ويتّسع مفهوم الرزق ليشمل المال والجاه والأقارب والأنصار والأبناء والجمال والعلم والوعي وغير ذلك.

وكلّ ما يحصل عليه الانسان من الكسب الحلال، يدعى رزقاً قدّره الله تعالى لعباده، وعليه فان كلّ ما يحصل عليه الانسان عن طريق الحرام، فانه ليس برزق، لأنّ الله عزّوجلّ لا يرضى لعباده ارتكاب الحرام واقتراف المعاصي والذنوب.

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.[1]

ويطلق الرزق علىٰ ما هو مقدّر للمرزوقين من غذاء يأكلونه أو علم يكتسبونه.

والرزق الطيّب هو الرزق الحلال، والانسان القويم يرتضي الحلال بفطرته:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ ﴾.[2]

والحلال الشرعي تابع للحلال الفطري ذلك انّ دين الله عزّوجلّ ينهض على الفطرة الآدميّة، والانسان مخلوق يحتاج إلى الطعام والغذاء فهو قائم بذلك؛ وكلّ موجود حي يتغذّى.

والانسان السليم ينجذب إلى الغذاء الطيّب وقد أحلّ الله للانسان تناول الطيّبات من الرزق؛ والطعام الطيّب الذي ينجذب إليه الانسان بفطرته السليمة هو من وجهة نظر الشريعة حلال.

---

١. سورة آل عمران: ١٣٥.
٢. سورة الأعراف: ١٥٧.

وكما انّ جسم الانسان قائم بالطعام فهو بحاجة إلى الغذاء من أجل يستمرّ في الحياة كذلك فانّ روحه يحتاج إلىٰ غذاء معنوي يكفل استمراره في الحياة الأُخرويّة بعد الموت، ومن هنا جاء قوله تعالى حول الشهداء في سبيله:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[1]

واذن فانّ الرزق لا ينحصر بالمادّيات بل ان دائرته تتّسع لتشمل المعنويّات والكمالات الضروريّة لاستمرار الانسان في حياته الدنيويّة والأُخرويّة؛ ولأنّ الانسان كائن مؤلّف من جسد وروح؛ فينبغي عليه ان من الله أن يفتح عليه من الرزق المادّي والمعنوي.

الرزق الدائم

يقول الامام أميرالمؤمنين في مضمار الرزق الخاص بالأرواح:

مُداوَمَةُ الذِّكْرِ قُوْتُ الأَرْوٰاحِ وَمِفْتٰاحُ الصلاح.[2]

ولا يوجد سقف محدود في طلب الانسان للرزق على الصعيد الروحي ذلك انّه كائن يشتمل على قابليّة روحيّة وعلى باطن عميق يؤهله للسير في طريق الكمال، ومن هنا فلا حدود للرزق المعنوي وقد نظم الله عزّوجلّ رزقه المادّي على أساس الحكمة؛ فأجرى لعباده الرزق ما فيه صلاحهم؛ وكذا رزقه المعنوي

---

١. سورة آل عمران: ١٦٩.

٢. غرر الحكم: ١٨٩؛ عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٧.

أيضاً قدّره سبحانه وتعالى لعبده المؤمن ففتح له طريق القرب والوصال علىٰ قدر طاقته وقابليته.

ولذا فان من أدب الدعاء أن يدعو الانسان ربّه أن يرزقه ما يغنيه لا أن يرزقه بأكثر ممّا يفيض على حاجاته الماديّة.

أمّا الرزق المعنوي فلا حدود له ولا نهاية؛ ذلك انّ الله عزّوجلّ هو المطلقة والرزق اللانهائي يعني الوصول إلىٰ مقام القرب الالهي؛ وفي مسيرة الانسان التكامليّة يبلغ من الوعي انّه لا يرىٰ شيئاً سوى الحقّ ولا يرويه شيء غير الحق.

معاني الطيّبات

الطيّب هو الطاهر والنقي وكلّ ما هو نظيف وطاهر هو طيّب إلّا ما يقوم عليه الدليل من الكتاب والسنّة في حرمته.

ويذهب البعض إلىٰ أنّ الطيّب يعني اللذيذ والمناسب والممتع لذوي الأخلاق الحسنة؛ وكلّ ما لا يراه أهل الطبع السليم خبيثاً ومنفّراً؛ فكلّ ما يستطاب لدى أهل المروءة والأخلاق الحميدة فهو طيب.

قال تعالىٰ:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ ﴾.[1]

والرزق ما ينتفع به ويتقوّم به الشيء، وهو لدىٰ أهل اللغة العطاء والسهم الذي يناله الانسان.

---

١. سورة الأعراف: ١٥٧.

ولدى الأشاعرة ما يتغذّى عليه الحيّ وما لا يتغذى عليه سواء كان حراماً أو مباحاً.

وقال بعضهم: ما تنمو به الحيوانات من الغذاء والماء.

ويذهب المعتزلة انه ما ينتفع به الحيوان.

ولم يرد في منعه شيء، واذن فانّ الحرام لا يعدّ من الرزق؛ استناداً إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾.[1]

واستناد الرزق إلىٰ النفس اشارة الحلال الطيّب والدائم ولا مدح للحرام.

ويتّفق الأشاعرة والمعتزلة ويلتقون عند اتّساع مفهوم الرزق إلىٰ أنّه أبعد من الغذاء والرزق في الدعاء يشمل الجسماني والروحاني لأنّ الانسان مؤلّف من جسم وروح، وكما انّ البدن يحتاج في نموّه وتكامله إلىٰ الطاقة فانّ الروح كذلك يحتاج إلىٰ طاقة حتّى يبلغ مرحلة الكمال والروح يحتاج إلى العلم والمعرفة.[2]

الغذاء الروحي

أصبح من المألوف استخدام اصطلاح «الغذاء الروحي» جاء في الحديث

---

١. سورة البقرة: ٣.

٢. جاء في تفسير القمّي: ٢/٢٢: «في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ قال عليه السلام: والرزق الطيب هو العلم».

وجاء في كتاب «ايمان أبي طالب» للفخّار: ٢٥٣: «قول العبّاس بن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب مفتخراً: ورزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس ما بين مرزوق ومحروم» ـ المترجم.

الشريف عن رسول الله ﷺ قوله:

أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّی يُطْعِمُني وَ يَسْقِيني.[١]

ولا شكّ انّ المراد من ذلك الطعام والشراب هو المعرفة والعلم والحبّ والنور الالهي القادم من وراء أستار الغيب؛ وأوّل ما يرزق الله عباده النفوس المعيّنة وحقّ هذه النعمة أن يجعلها في طريق مرضاته سبحانه وتعالىٰ.

وَ الرِّزْقُ الطَيِّبُ اَلْعِلْمُ.[٢]

روىٰ أحمد بن أبي نصر انّه قال للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

جُعِلْتُ فِداكَ اَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنِی الحَلٰالَ، فَقٰالَ: اَتَدْرِی مَا الحَلالُ؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِداك، أَمَّا الَّذی عِنْدَنَا فَالكَسْبُ الطَيِّب، فَقالَ: كانَ عَلیُّ بن الحسين عليهما السلام يَقُول: اَلْحَلالُ قُوْتُ الْمُصْطَفِينَ وَلكن قُلْ: اَسْأَلُكَ مِنْ رِزْقِكَ الوَاسِعِ.[٣]

---

١. بحار الأنوار: ٦/ ٢٠٨؛ عوالى اللآلى: ٢/ ٢٣٣.
٢. تفسير القمّي: ٢/ ٢٢؛ في تفسير آية ٧٠ من سورة الإسراء.
٣. الكافى: ٥/ ٨٩.

[﴿١٨﴾ وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ صَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ.

﴿١٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلاَّ إِلَيْهِ فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ لَا مَتَى؟!]

الغنىٰ والفقر

وفي هذا المقطع اقتباس من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.[1]

الله سبحانه الذات المطلقة، الحقّ المطلق والغني المطلق وكلّ ما خلق الله عزّوجلّ فقير ومحتاج إليه، ولو تعمّق الانسان في طريق معرفة الحق ووضع قدماً راسخة في هذا الطريق؛ لأدرك انّ كلّ حركة وسكون في هذا الوجود لا تحصل إلّا بقدرة الله الذي هو خالق الوجود ومالك الوجود الله سبحانه هو الغنى المطلق؛ والوجود هو الفقر المطلق.

وقد ارتضى الله سبحانه لعباده أن يسألوه كلّ شيء مهما كان صغيراً وهو

---

١. سورة الفاطر): ١٥.

سبحانه يكره لهم أن يسألوا غيره أو يلحّوا في السؤال على غيره لكنّه يستحب لهم أن يلحوا عليه سبحانه في المسألة والدعاء والطلب منه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

اِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَرِهَ إلحاحَ النّاسِ بَعْضُهُم عَلىٰ بَعْضٍ فِى المَسْألَةِ وَأَحَبَّ ذٰلك لِنَفْسِهِ، اِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ اَنْ يَسْأَلَ وَيَطْلُبَ ما عِنْدَهُ.(١)

ويشير الامام السجّاد عليه السلام في دعائه إلى اغلاق باب الحاجة عن الناس إلّا إليه سبحانه وتعالى.

وقد بلغ الأئمّة الأطهار مقاماً رفيعاً أنّهم لا يسألون أحداً إلّا الله في الوقت الذي تنهض فيه الحياة الاجتماعيّة على الحاجات المتبادلة بين أفراد المجتمع ومن خلال سؤال الناس بعضهم بعضاً ومن خلال تبادل الطلب بين الأفراد تتبلور الحياة الاجتماعيّة.

الفقر والغنى في الروايات

وَقٰالَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ: اَللّٰهُمَّ اَغْنِنِى عَنْ خَلْقِكَ فَقَالَ عليه السلام: لَيْسَ هٰكذا: إنّما النّاسُ بِالنّاسِ وَلٰكِنْ قُلْ: اللّٰهُمَّ اَغْنِنِى عَنْ شِرارِ خَلْقِك.(٢)

ومن المفيد أن نشير إلى أنّ السؤال من الناس إذا اصطبغ بصبغة إلهيّة فلا إشكال فيه أمّا إذا تحوّل إلىٰ تعويل على الناس؛ فهذا نوع من الشرك غير أنّ على المرء أن

---

١. الكافي: ٢/٤٧٥؛ وسائل الشيعة: ٧/٥٨؛ تحف العقول: ٢٩٣.

٢. بحار الأنوار: ٧٥/١٣٥؛ تحف العقول: ٢٧٨.

يفكّر بعاقبة ما يفعل.

يقول الإمام الجواد عليه السلام:

اَلْحَوائِجُ تَطْلُبُ بِالرَّجاءِ وَهِى تَنْزِلُ بِالقَضَاء وَالعافِيَةُ اَحْسَنُ عَطاء.(١)

ويقول الإمام علي عليه السلام لصاحبه كميل بن زياد:

يا كُمَيْل! لا تَرَ النّاسَ اِقْتارَك وَاصْبِرْ عَلَيه احْتِسابا بِعِزٍّ وَتَسَتُّرٍ.(٢)

وقال عليه السلام يوصي ابنه محمّد بن الحنفيّة:

يا بُنَىَّ! إنّى اَخافُ عَلَيكَ الفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ فَإِنَّ الفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ؛ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ؛ داعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.(٣)

انّ الحاجات المادّيّة تحيل أفراد المجتمع إلى أفراد خائفين ومتملّقين وتعمل علىٰ نشر الانحطاط الأخلاقي والتفسّخ الاجتماعي واستشراء الفقر.

يقول الامام علي عليه السلام:

اَلفَقْرُ اَلْمُوتُ الاَكْبَرُ.(٤)

الفقر والفخر

ثمّة معنىٰ آخر للفقر وهو ليس الفقر المادي والاجتماعي وإنّما استغراق الانسان في الوعي وادراكه حقيقة الفقر الانساني وغنى الذات المقدّسة المطلق

---

١. بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٦٥؛ أعلام الدين: ٣٠٩.
٢. تحف العقول: ١٧٣.
٣. نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣١٩.
٤. نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٦٣.

وهذا ما يشير إليه سيّدنا محمّد ﷺ في قوله:

اَلْفَقْرُ فَخْرِی وَبِهِ اَفْتَخِرُ عَلیٰ سائر الأنبياء.[١]

الفقر الذي تؤكّده الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللهَ وَٱللهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.[٢]

وبالرغم من ان مفهوم الفقر في ظاهر يعني عدم امتلاك المال إلّا انّ الأحاديث الشريفة تؤكّد هذه الحقيقة وهي غنى الله المطلق وفقر الانسان المطلق.

شكران النعمة

الشكر حالة نفسانيّة ترافقها حالة من التعظيم للمشكور؛ ناجم عن عرفان وادراك النعمة، وفي حالة عدم الاعتراف بأن مصدر النعمة هو الله عزوجل فان ذلك يعدّ كفراناً بالنعمة.

وانطلاقاً من كون النعم رحمة من الله وحناناً منه سبحانه على عباده فانّ القاعدة العقليّة توجب شكر المنعم، وعليه فان شكران النعمة واجب على الانسان وأن شكر المنعم أمر يفرضه العقل، انطلاقاً من وجوب شكر المنعم؛ مع الاشارة إلى انّ الشكران والكفران من لدن الانسان لا يجلب نفعاً لله عزّوجلّ ولا يلحق به ضرراً؛ ذلك انّ الله عزّوجلّ هو الكمال المطلق وانّه ليس بحاجة إلى شكران النعمة من مخلوقاته.

---

١. بحار الأنوار: ٦٩ /٣٣؛ مستدرك الوسائل: ١١ /١٧٣؛ عوالى اللآلى: ١ /٣٩.
٢. سورة الفاطر: ١٥.

غير ان شكر النعم لا يتمّ إلّا بمعرفة المنعم ولأن شكر الله واجب على الانسان الذي عبد الله فانّه يتعين عليه القيام بالتزامه وقد فُطر الانسان على شكر من أنعم عليه، فاذا تصرّف ضد هذا القانون الفطري والأخلاقي فان يتعرّض إلى لوم العقلاء.

حقيقة الشكر

تكمن حقيقة الشكر في اظهار النعمة وابرازها حيث الكفران بالنعمة يعني اخفاءها.

والمراد من ابراز النعمة هو استخدام واستعمال النعمة في المجال الصحيح والمناسب الذي يحقّق الهدف والغاية الالهيّة، وكذلك ذكر المنعم بالحمد والثناء والمجد.

يقول الراغب الاصفهاني في تعريف الشكر:

اَلشُّكْرُ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ وَإظْهارُها وَيُضادُّه الكُفْرُ وَهُوَ نِسْيانُ النِعْمَةِ وَسَتْرُها.[1]

مراحل الشكر

الشكر له ثلاث مراحل:

الشكر القلبي الذي يعني تصور النعمة في الذهن وشكر المنعم في القلب.

---

١. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الإصفهانى: ٢٦٥.

الشكر اللساني وهو ذكر المنعم باللسان والحمد له والثناء عليه.

شكر الأعضاء والجوارح وهو يعني الاستفادة من النعم على النحو الصائب والصحيح واستخدامها في ما يحقّق الرضا الالهي.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

اَحْسِنُوا جَوارَ النِّعَمِ، قُلْتُ: وَما حُسْنُ الجَوَارِ؟ قالَ: الشُّكْرُ لِمَنْ اَنْعَمَ بِها وَأداء حُقُوقِها.(١)

واذن فانّ المعرفة بالنسبة للنعمة هو في استخدامها الصحيح في حياة الانسان.

ولذا فان ادراك ما يريده المنعم سيكون في طليعة عوامل الشكر، وفي نفس الوقت فان غياب الوعي بخصوص النعمة ومنعمها سيفضي إلى الجهل بكيفيّة استخدامها على النحو الصحيح؛ وبالتالي عدم تحقّق العبوديّة الحقيقيّة لله تعالى.

انّ أعضاء وأجزاء البدن من قبيل العين والاذن واللسان إنّما هي نعم تنطوي على غايات، وهي في الحقيقة تعدّ منافذ لما يلج في قلب وروح الانسان.

وعليه ينبغي اتّخاذ جانب الحذر في كلّ ما ينفذ إلى داخل روح الانسان وباطنه؛ وهذا الحذر يعد شكراناً للمنعم، ومع هذا الفيض الغامر من النعم التي لا يمكن احصاءها والتي نجهل جلّها كيف يمكن أداء الشكر للمنعم الوهّاب؟!

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إيّاك يفتقر إلى شكر؟! فكلّما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد!! أجل؛

فكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إيّاكَ يَفْتَقِرُ اِلى شُكْرٍ.(٢)

---

١. الكافي: ٤/ ٣٨؛ تهذيب الأحكام: ٤/ ١٠٩.

٢. بحار الأنوار: ٩١/ ١٤٦؛ شرح إحقاق الحقّ: ١/ ٤٦٧.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في أدنىٰ درجات الشكر:

فى كُلِّ نَفَسٍ مِنْ اَنْفاسِكَ شُكْرٌ لازِمٌ لَكَ، بَلْ أَلْفُ وَاَكْثَرُ، وَأَدْنىٰ الشُّكْرِ رُؤيَةُ النِّعْمَةِ مِنَ اللهِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يَتَعَلَّقُ القَلْبُ بِها دُونَ اللهِ، وَالرِّضا بِما اَعْطاهُ وَاَنْ لا تَعْصِيَهُ بِنِعْمَتِهِ، وَتُخالِفُهُ بِشَيءٍ مِنْ اَمْرِهِ وَنَهْيِهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ.(١)

كفران النعمة

يحكي القرآن الكريم قصّة بلدة كفر أهلها بنعم الله.

قال تعالىٰ:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.(٢)

وجاء في مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

يا خَيْرَ شاكِرٍ وَمَشْكُور.(٣)

يقول العلّامة محمّد حسين الطباطبائي:

---

١. بحار الأنوار: ٦٨ / ٥٢؛ مصباح الشريعة: ٢٤.

٢. سورة النحل: ١١٢ ـ ١١٤.

٣. بحار الأنوار: ٩١ / ٣٩٦، دعاء جوشن كبير؛ المصباح للكفعمي: ٢٥٩.

«الشاكر والعليم اسمان من أسماء الله الحسنى والشكر هو مقابلة من أحسن إليه من إحسان المحسن باظهاره لساناً أو عملاً؛ كمن ينعم عليه المنعم بالمال فيجازيه بالثناء الجميل الدالّ على نعمته، أو باستعمال المال في ما يرتضيه، ويكشف عن انعامه.

والله سبحانه وإن كان محسناً قديم الاحسان ومنه كلّ الاحسان ولا يد لأحد عنده حتّىٰ يستوجبه الشكر، إلّا أنّه جلّ ثناؤه، عدّ الأعمال الصالحة التي هي في الحقيقة احسانه إلى عباده، احساناً من العبد إليه، فجازاه بالشكر والاحسان وهو احسان على احسان.

قال تعالىٰ:

﴿ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ ﴾.[1]

وقال تعالىٰ:

﴿ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً ﴾.[2]

فاطلاق الشاكر عليه تعالى على حقيقة معنى الكلمة من غير مجاز».

الانسان الشكور

للشكر درجات ومستويات وأدنى درجات الشكر هو تقديم الشكر للانسان المحسن؛ ولذا جاء في الأثر:

مَن لَم يَشكُرِ المَخلوق لَم يَشكرِ الخالق.

---

١. سورة الرحمن: ٦٠.
٢. سورة الدهر: ٢٢.

وشكر الناس شرط في تحقّق الشكر لله تعالىٰ.

يقول الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

اِنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزينٍ وَيُحِبُّ كُلَّ عَبْدٍ شَكُورٍ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ لِعَبْدٍ مِنْ عَبيدِهِ يَوْمَ القِيٰامَةِ: اَشَكَرْتَ فُلاناً؟ فَيَقُولُ:

بَلْ شَكَرْتُكَ يٰا رَبِّ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْني اِذْ لَمْ تَشْكُرْهُ، ثُمَّ قٰالَ: اَشْكَرُكُمْ لِلّٰهِ اَشْكَرُكُمْ لِلنّاس.[1]

١. الكافي: ٢ / ٩٩؛ وسائل الشيعة: ١٦ / ٣١٠.

[﴿٢٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلاَتِ الْبَسْطِ و جَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ وَمَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ و أَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأَعْمَالِ و غَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ و أَغْنَانَا بِفَضْلِهِ و أَقْنَانَا بِمَنِّهِ.

﴿٢١﴾ ثُمَّ أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا و نَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ و رَكِبْنَا مُتُونَ زَجْرِهِ فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا بِعُقُوبَتِهِ و لَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأَنَّانَا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً و انْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِهِ حِلْماً]

البسط والقبض

البسط يعني التوسعة والتمدّد والانفراج والقبض يعني التقلّص والانضغاط والانحسار والأخذ.

وفي النصّ أعلاه حمد الله تعالى الذي ركب في الانسان آليات البسط وأدوات القبض؛ وتقديم البسط على القبض جاء لأن الأصالة للبسط في الخلق فالشكر للخالق على ما أودع في الانسان من هذه المنظومة المتكاملة الفعالة.

الجسم وآليات العمل

والآلات والأدوات التي يشير إليها النص عبارة عن العضلات والعظام والغضاريف والمفاصل والجهاز العصبي وكلّ ما يسهم في حركة الانسان وسعيه ونشاطه الحياتي في مختلف المجالات.

يقول الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

ثُمَّ نَفَخَ فيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ اِنساناً ذا أَذْهانٍ يُجيلُها وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها وَأَدَواتٍ يُقَلِّبُها. وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِها بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.[1]

لقد خلق الله عزّوجلّ الانسان مدركاً مبصراً مجهزاً بالأدوات والآلات التي يستخدمها في انجاز أعماله وما يقوم به من أفعال ويتغذىٰ الانسان؛ فيأكل ممّا أنعم الله عليه، حيث يتحوّل الغذاء إلىٰ دماء تسري في عروقه ويتصرّف في ضوء نوازعه الغرائزيّة وفي وحي الأفكار العقليّة.

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأحد أصحابه ويدعىٰ المفضّل بن عمرو[2]:

فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ فِي أَعْضَاءِ الْبَدَنِ أَجْمَعَ وَتَدْبِيرِ كُلٍّ مِنْهَا لِلْإِرْبِ فَالْيَدَانِ لِلْعِلاجِ وَالرِّجْلَانِ لِلسَّعْيِ وَالْعَيْنَانِ لِلاهْتِدَاءِ وَالْفَمُ لِلاغْتِذَاءِ وَالْمَعِدَةُ لِلْهَضْمِ وَالْكَبِدُ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢. التقىٰ المفضّل بن عمرو الإمام جعفر الصادق عليه السلام وشكىٰ إليه موجة الفكر الالحادي التي وصلت أمواجها إلىٰ مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من خلال منظري الفكر الالحادي، فأملىٰ عليه الامام عليه السلام من فيض علومه وخلال عدّة جلسات كتاباً في العلوم الطبيعيّة عرف فيما بعد بـ«التوحيد» وفيه رصد للظواهر الحياتيّة والطبيعيّة التي تدلّ علىٰ وجود الخالق تبارك وتعالى ـ المترجم.

لِلتَّخْلِيصِ وَالْمَنَافِذُ لِتَنْفِيذِ الْفُضُولِ وَالْأَوْعِيَةُ لِحَمْلِهَا وَالْفَرْجُ لِإِقَامَةِ النَّسْلِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَأَعْمَلْتَ فِكْرَكَ فِيهَا وَنَظَرَكَ وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا قَدْ قُدِّرَ لِشَيْءٍ عَلَى صَوَابٍ وَحِكْمَةٍ.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة.

فقال عليه السلام:

سَلْهُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ أَهِيَ شَيْءٌ لَهُ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنْ أَوْجَبُوا لَهَا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ فَإِنَّ هَذِهِ صَنْعَتُهُ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا تَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا عَمْدٍ وَكَانَ فِي أَفْعَالِهَا مَا قَدْ تَرَاهُ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ وَأَنَّ الَّذِي سَمَّوْهُ طَبِيعَةً هُوَ سُنَّةٌ فِي خَلْقِهِ الْجَارِيَةُ عَلَى مَا أَجْرَاهَا عَلَيْهِ.[1]

السعي البشري

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام انّ الانسان ينطوي علىٰ فطرة لها بُعدان أرضي وملكوتي ويشتمل علىٰ نزعات وميول وعلىٰ قابليّات غير أن ماهيته الخاصّة إنّما تظهر في ظلال سعيه وارادته.

قال تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾.[2]

---

١. بحار الأنوار: ٣/ ٦٧؛ توحيد المفضل: ٥٤.

٢. سورة النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

لقد أودع الله عزّوجلّ في تكوين الانسان كلّ النزعات والميول والقابليّات، وما علىٰ الانسان إلّا أن يقرّر من خلال ارادته، فهو كإن مخيّر مسؤول عن خياره وانتخابه.

وتقف مدرسة أهل البيت في المنطقة الوسطيّة بين موقف الأشاعرة ومدرسة المعتزلة، فالأشاعرة يقولون بالجبر وأنّ الانسان مجبر علىٰ أعماله فيما يرىٰ المعتزلة بأنّ الانسان مفوّض تماماً.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

لاجَبْرَ وَلاتَفْويضَ وَلكن أَمْرٌ بين أَمْرين.[١]

ويقول الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في معنىٰ الآية الكريمة: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ** ﴾[٢]:

اَغْنىٰ كُلُّ إنسان بمعيشةٍ وأرضاه بِكَسْبِ يَدِهِ.[٣]

وروىٰ الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ كِتَابُ اللهِ خَلَقَ اللهُ النَّاسَ عَلَى ثَلاثِ طَبَقَاتٍ وَأَنْزَلَهُمْ ثَلاثَ مَنَازِلَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْكِتَابِ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسّابِقُونَ فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَمْرِ السَّابِقِينَ فَإِنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ مُرْسَلُونَ وَغَيْرُ مُرْسَلِينَ جَعَلَ اللهُ فِيهِمْ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُدُسِ وَرُوحَ الْإِيمَانِ وَرُوحَ الْقُوَّةِ وَرُوحَ الشَّهْوَةِ وَرُوحَ الْبَدَنِ فَبِرُوحِ الْقُدُسِ بُعِثُوا

---

١. بحار الأنوار: ٥ /١٧؛ الكافي: ١ /١٦٠؛ عدة الدّاعي: ٣٢٥.

٢. سورة النجم: ٤٨.

٣. بحار الأنوار: ١٠٠ /٦؛ معاني الأخبار: ٢١٥؛ وسائل الشيعة: ١٧ /٤٠.

أَنْبِيَاءَ مُرْسَلِينَ وَغَيْرَ مُرْسَلِينَ وَبِهَا عَلِمُوا الْأَشْيَاءَ وَبِرُوحِ الْإِيمَانِ عَبَدُوا اللهَ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِرُوحِ الْقُوَّةِ جَاهَدُوا عَدُوَّهُمْ وَعَالَجُوا مَعَاشَهُمْ وَبِرُوحِ الشَّهْوَةِ أَصَابُوا لَذِيذَ الطَّعَامِ وَنَكَحُوا الْحَلالَ مِنْ شَبَابِ النِّسَاءِ وَبِرُوحِ الْبَدَنِ دَبُّوا وَدَرَجُوا فَهَؤُلاءِ مَغْفُورٌ لَهُمْ مَصْفُوحٌ عَنْ ذُنُوبِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰاتِ وَأَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي جَمَاعَتِهِمْ: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ يَقُولُ أَكْرَمَهُمْ بِهَا فَفَضَّلَهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَهَؤُلاءِ مَغْفُورٌ لَهُمْ مَصْفُوحٌ عَنْ ذُنُوبِهِمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَصْحَابَ الْمَيْمَنَةِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً بِأَعْيَانِهِمْ جَعَلَ اللهُ فِيهِمْ أَرْبَعَةَ أَرْوَاحٍ رُوحَ الْإِيمَانِ وَرُوحَ الْقُوَّةِ وَرُوحَ الشَّهْوَةِ وَرُوحَ الْبَدَنِ فَلا يَزَالُ الْعَبْدُ يَسْتَكْمِلُ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ الْأَرْبَعَةَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ حَالاتٌ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ مَا هَذِهِ الْحَالاتُ؟ فَقَالَ أَمَّا أَوَّلُهُنَّ فَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ فَهَذَا يَنْتَقِصُ مِنْهُ جَمِيعُ الْأَرْوَاحِ وَلَيْسَ بِالَّذِي يَخْرُجُ مِنْ دِينِ اللهِ لأَنَّ الْفَاعِلَ بِهِ رَدَّهُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ فَهُوَ لا يَعْرِفُ لِلصَّلاةِ وَقْتاً وَلا يَسْتَطِيعُ التَّهَجُّدَ بِاللَّيْلِ وَلا بِالنَّهَارِ وَلا الْقِيَامَ فِي الصَّفِّ مَعَ النَّاسِ فَهَذَا نُقْصَانٌ مِنْ رُوحِ الْإِيمَانِ وَلَيْسَ يَضُرُّهُ شَيْئاً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِصُ مِنْهُ رُوحُ الْقُوَّةِ وَلا يَسْتَطِيعُ جِهَادَ عَدُوِّهِ وَلا يَسْتَطِيعُ طَلَبَ الْمَعِيشَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِصُ مِنْهُ رُوحُ الشَّهْوَةِ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ أَصْبَحُ بَنَاتِ آدَمَ لَمْ يَحِنَّ إِلَيْهَا وَلَمْ يَقُمْ وَتَبْقَى رُوحُ الْبَدَنِ فِيهِ فَهُوَ يَدِبُّ وَيَدْرُجُ حَتَّى يَأْتِيَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَهَذَا بِحَالٍ خَيْرٍ لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْفَاعِلُ بِهِ

وَقَدْ يَأْتِي عَلَيْهِ حَالاتٌ فِي قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ فَيَهُمُّ بِالْخَطِيئَةِ فَيُشَجِّعُهُ رُوحُ الْقُوَّةِ وَيُزَيِّنُ لَهُ رُوحُ الشَّهْوَةِ وَتَقُودُهُ رُوحُ الْبَدَنِ حَتَّى تُوقِعَهُ فِي الْخَطِيئَةِ فَإِذَا لامَسَهَا نَقَصَ مِنَ الْإِيمَانِ وَتَفَصَّى مِنْهُ فَلَيْسَ يَعُودُ فِيهِ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَادَ أَدْخَلَهُ اللهُ نَارَ جَهَنَّمَ.

فَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ فَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يَعْرِفُونَ مُحَمَّداً وَالْوَلايَةَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فَلَمَّا جَحَدُوا مَا عَرَفُوا ابْتَلاهُمْ بِذَلِكَ فَسَلَبَهُمْ رُوحَ الْإِيمَانِ وَأَسْكَنَ أَبْدَانَهُمْ ثَلاثَةَ أَرْوَاحٍ رُوحَ الْقُوَّةِ وَرُوحَ الشَّهْوَةِ وَرُوحَ الْبَدَنِ ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَى الْأَنْعَامِ فَقَالَ: إِنْ هُمْ إِلّا كَالْأَنْعَامِ لأَنَّ الدَّابَّةَ إِنَّمَا تَحْمِلُ بِرُوحِ الْقُوَّةِ وَتَعْتَلِفُ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ وَتَسِيرُ بِرُوحِ الْبَدَنِ».[1]

نحمدك اللهمّ أن خلقتنا في أحسن تقويم ووهبتنا بصراً وسمعاً ولساناً وأودعت في وجودنا عقلاً نميّز به وهديتنا إلىٰ معرفتك وعبادتك وحدك لا شريك لك.

ونحمدك اللهمّ أن وهبتنا أنواع النعم وأفضت علينا من بركاتك ما نستعين به على السير في طريق الهدىٰ والكمال.

ونحمدك اللهمّ أن أرسلت أنبياءك ورسلك وأوصياءك وأنزلت علينا كتبك ورسالاتك لهداية الضالّين من عبادك فلك الحمد مادام الليل والنهار ومادامت السماوات والأرض.

---

١. بحار الأنوار: ٦٦/ ١٧٩.

ولك الشكر علىٰ جميع نعمك وآلائك، فلا نستخدم ما أنعمت علينا في معصيتك.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

شُكْرُ النِّعْمَةِ اجْتِنابُ الْمَحارِمِ.[1]

فمن اجتنب الحرام فقد أدّىٰ شكران ما أنعم الله عليه واجتاز الامتحان الالهي بنجاح.

١. الكافي: ٢ /٩٥؛ بحار الأنوار: ٦٨ /٤٠.

[﴿٢٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلاَّ مِنْ فَضْلِهِ فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِهِ إِلاَّ بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلاَؤُهُ عِنْدَنَا و جَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وَجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا.

﴿٢٣﴾ فَمَا هَكَذَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إِلاَّ وُسْعاً و لَمْ يُجَشِّمْنَا إِلاَّ يُسْراً و لَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً و لاَ عُذْراً.

﴿٢٤﴾ فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ و السَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ].

حقيقة التكليف

يتحدّث الدعاء الحادي والثلاثون من الصحيفة السجّاديّة عن زمن التوبة ووقتها وسيأتي شرح ذلك فيما بعد خلال شرح الدعاء.

غير انّنا هنا نبحث محوراً آخر وهو حقيقة التكليف حيث يقول عزّوجلّ:

﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[1]

كلّ الكائنات انعكاس عن كلمة الله غير انّ الانسان الذي هو أشرف الكائنات يمتاز بأنّه يمثّل أكمل مرايا الصفات الالهيّة.

انّه الكائن الوحيد الذي جعله الله عزّوجلّ في مركز الوجود؛ ومن هنا فانّه

---

١. سورة البقرة: ٢٨٦.

خليفة الله حقّاً في هذا الوجود وهو مسؤول عن المحافظة عليه.

انّ مسؤوليّة الانسان تفوق جميع مسؤوليّات جميع الكائنات ذلك؛ انّه الأكثر وعياً وادراكاً لوجود الله عزّوجلّ وهو في نفس الوقت حرّ ومخيّر قد فتح الله أمامه آفاق النمو والرشد والتكامل والقرب الالهي.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

وَكذلك إذا نَظَرْتَ فى جميعِ الأشياء لَمْ تَجِد أَحَداً إلّا وَلِلّهِ عَلَيهِ حُجَّةٌ وَلَهُ فِيه المَشِيَّة، وَلا أَقُولُ: إنَّهُمْ ما شاؤُوا صَنَعُوا. ثُمَّ قالَ: اِنَّ اللهَ يَهْدِى وَيُضِلّ، وَقالَ: ما أُمِرُوا إلّا بِدُون سِعَتِهِم، وَكُلَّ شَىءٍ اَمَرَ الناسَ بِهِ فَهُمْ يَسْعَونَ لَهُ، وَكُلُّ شَىءٍ لا يَسْعَونَ لَهُ فَمُوضُوعٌ عَنْهُم وَلكنَّ الناسُ لا خَيْرَ فيهم.[1]

فلسفة التكليف

خلق الله عزّوجلّ الانسان وجعله مكلّفاً وبسبب هذا التكليف امتاز الانسان بالتفوّق علىٰ جميع المخلوقات.

ومع انّ لكلّ مخلوق من المخلوقات وكائن من الكائنات قانوناً تكوينيّاً وجوديّاً يسير في اطاره؛ إلّا انّ الانسان له قانونه الخاص وهو قانون ديني تشريعي، فالقانون الخاص بالانسان تحوّل إلىٰ مجموعة من الأوامر والنواهي الالهيّة.

بعبارة أُخرىٰ انّ القانون الذي تنعم به الكائنات هو قانون تكويني حيث سلبت

١. بحار الأنوار: ٥ /٣٠١؛ شرح أُصول الكافي: ٥ /٦١.

نعمة الاختيار؛ فهي ليست حرّة في حركتها، أمّا الانسان فقد منح حرية الاختيار إذ وضع الانسان أمام مفترق طريقين ليسلك أحدهما بارادته واختياره وهو في نفس الوقت مسؤول عن هذا الاختيار.

وقد أرسل الله عزّوجلّ إلىٰ عباده رسلاً وأنبياء وائمّة يهدون بأمره وأنزل عليهم كتباً وصحفاً لهدايتهم إلىٰ طريق السعادة والتكامل والنمو الأخلاقي؛ فالمؤمنون بالله عزّوجلّ ورسله وأوليائه يعتقدون انّ الله عزّوجلّ هو العليم الحكيم وأنّ أوامره تتضمّن تحقيق مصالح البشر الحقيقيّة، بما يسعدهم في الدنيا والآخرة وأنّ نواهيه تشتمل علىٰ مفاسد تلحق الضرر بالانسان إن خالفها ولم يلتزم بها.

فالأوامر الالهيّة والنواهي الربانيّة تمثل شريعة الله عزّوجلّ والتي يلتزم بها الانسان المؤمن تعبّداً لله وطاعة له بالرغم من عدم ادراكه الحكمة الكامنة فيها.

والتعبّد يعني الالتزام بكلّ أحكام الشريعة الالهيّة التي تجسّدت في الدين الاسلامي آخر رسالات الله إلى البشريّة، بالرغم من خفاء المصالح الكامنة في الأوامر والنواهي.

والانسان المؤمن بدين الله يدرك انّ عليه مجموعة وظائف محدّدة ومعيّنة يتعيّن الالتزام بها وهي تنسجم مع الفطرة والعقل.

يقول «عبدالأعلى» وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام متسائلاً:

هَلْ جُعِلَ فى الناسِ أَداةً يَنالُونَ بِها المَعْرِفَةُ؟ قال: لا، قُلْتُ: فَهَلْ كُلِّفُوا المَعْرِفَةَ؟ قال: لٰا، إنّ عَلَى اللهِ البيانَ لٰا يُكَلِّفُ اللهُ العِبادَ إلّا وُسْعَها وَلا يُكَلِّفُ نَفْساً إلّا مٰا آتاها.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٥ / ٣٠٢؛ الكافي: ١ / ١٦٣؛ المحاسن: ١ / ٢٧٦.

وقد اقتضت سنن الله عزّوجلّ في الانسان أن يوضع أمام مفترق طريقين حيث تبرز أوامر الله ونواهيه ويتحدّد مصير الانسان في ضوء اختياره وحـريّته وفـي نفس الوقت فانه مسؤول عن خياره وانتخابه؛ فهو مسؤول عن ذلك يوم القيامة يوم يتعرّض البشر جميعاً للمساءلة والجزاء.

ولقد أودع الله عزّوجلّ في الكائن الانساني ما يهديه إلىٰ معرفة الله وما يفتح أمامه آفاق النمو والتكامل ليبلغ مقام القرب الالهي.

والتكليف يعني الالزام الذي يتضمّن قدراً من الصعوبة والمشقّة وهو في نفس الوقت يتضمّن أيضاً المساحة والوسع.

ومن يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

يا أبا ذر! إنَّ اللهَ بَعَثَ عَيسَى بنَ مَرْيَمَ عليه السلام بِـالرُّهْبانِيَّةِ، وَبُـعِثْتُ بِـالحَنيفيَّةِ السَّمْحَةِ.[1]

غائيّة التكليف

المقصود من التكليف هو الزام الانسان علىٰ قدر طاقته ووسعه وتحمّله بحيث لا يخرج عن هذا السقف؛ ذلك انّ الله عزّوجلّ لا يكلّف نفساً إلّا وسعها.

وقد شاء الله عزوجلّ أن يضع عن أُمّه الاسلام الأغلال التي كانت مـوضوعة على الأُمم السالفة في غابر الزمان؛ خاصّة في أحكام العبادة والمعاملات.

وكما انّ للمملوك حقوقه من بينها أن لا يكلّف إلّا بما يستطيع القيام به يـقول النبي صلى الله عليه وآله:

---

١. بحار الأنوار: ٧٩/ ٢٣٣؛ الأمالى، شيخ طوسى: ٥٢٨؛ مجموعة ورام: ٢/ ٥٤.

لِلْمَمْلُوكِ طَعامُه وَكِسْوَتُه وَ لايُكَلِّفُ مِنَ الْعَمَلِ إلاّ مٰا يُطِيقُ.(١)

انّ الله عزّوجلّ يعاقب عبده علىٰ ترك الواجب واقتراف ما نهىٰ عنه يعني عدم القيام بالفرائض الالهيّة وانتهاك المحرّمات بعد أن بيّن له من خلال الشريعة أحكام الدين.

فالانسان يستحقّ العذاب الالهي إذا ما تمرّد على التكاليف والواجبات الدينيّة ولأنّ الله عزّوجلّ أودع في أعماقه حبّ الخير والنزوع نحو تحصيل المعرفة وسلوك طريق التكامل؛ يقول الامام السجّاد عليه السلام في دعائه:

اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنٰا مِمَّنْ سَهُلَت لَهُ طَرِيقُ الطّٰاعَةِ بِالتَّوفِيقِ فى مَنٰازِلِ الأَبْرارِ، فَحُيُّوا وَقُرِّبُوا وَأُكْرِمُوا وَزُيِّنُّوا بِخِدْمَتِك.(٢)

ولله الحجّة

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه: «**وَلَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ مِنّا حُجَّةً وَ لاعُذْراً**» في إشارة واضحة جدّاً إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ **قُلْ فَلِلّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾.(٣)

والحجّة في اللغة تعني البرهان والدليل القاطع المحكم في اثبات العقيدة.

انّ الله عزّوجلّ قد أقام الحجّة علىٰ عباده في وجوب طاعته وأرسل الأنبياء وأنزل الكتاب والشريعة وأودع في تكوين الانسان العقل وهو حجّة باطنة عليه،

---

١. صحيح مسلم: ٥ / ٩٤؛ مسند احمد: ٢ / ٢٤٧؛ السنن الكبرى، بيهقى: ٨ / ٦.
٢. بحار الأنوار: ٩١ / ١٢٨.
٣. سورة الأنعام: ١٤٩.

فالعقل فانوس وسراج ورسول باطن، والنبي عقل ظاهر.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، المتكلّم المعروف:

يا هشامُ! إنّ لِلهِ عَلَى الناسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٍ ظاهِرةٍ وَحُجَّةٍ باطِنَةٍ، فَأَمَّا الظاهِرَةُ فالرُّسُلُ والأنْبياءُ والائمةُ، وَأَمّا الباطِنَةُ فَالعُقُولُ.(١)

العقل البشري والنبي المرسل دليلان كبيران في حياة الانسان وكلاهما يشرقان على الطريق الذي يقود الانسان إلى الله عزّوجلّ فالعقل مركز التفكير المنطقي الذي يفرّق بين الحق والباطل.

والنبي المرسل حجّة ظاهرة لأنّه يحمل رسالة الله إلىٰ عباده ويوضح لهم شريعته؛ فالعقل سراج والشريعة زيت ومن هنا تمت الحجّة على الانسان.

وقد سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى:

﴿ قُلْ فَلِلّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.(٢)

فقال عليه السلام:

إنّ اللهَ تعالىٰ يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القيامَةِ عَبْدِى أَكُنْتَ عالِماً؟ فَإنْ قال: نَعَمْ، قالَ له: أَفَلا عَمِلْتَ بِما عَلِمْتَ؟ وإن قالَ: كُنْتُ جاهلاً، قالَ لَهُ: أَفَلا تَعَلَّمْتَ حَتّى تَعْمَلَ؟ فَيُخْصَمُ فَتِلْكَ الحُجَّةُ البالِغَةُ.(٣)

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في بيان سبب بعث الأنبياء عليهم السلام:

---

١. الكافي: ١/ ١٦، كتاب العقل والجهل، حديث ١٢؛ تحف العقول: ٣٨٦؛ مجموعة ورام: ٢/ ٣٥.

٢. سورة الأنعام: ١٤٩.

٣. بحار الأنوار: ٢/ ٢٩؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٩؛ الأمالي، الشيخ المفيد: ٢٢٧.

فَبَعَثَ فيهم رُسُلَه وَ واتَرَ إليهِمْ اَنبيائَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ ميثاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّروهُم مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَبْلِيغِ وَيُثيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ العُقُولِ.(١)

انّ كتاب الله عزّوجلّ ورسول الله صلى الله عليه وآله من أفضل الحاكمين في يوم القيامة لتقييم أعمالنا وهذا حديث الثقلين الشهير عن النبي صلى الله عليه وآله الذي قرن كتاب الله بأهل بيته عليهم السلام ولذا فانّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام حجّة على الناس وهم الوسيلة للنجاة يوم الحساب من نار جهنّم.

روي عن الامام محمّد الباقر عليه السلام قوله:

مٰا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبٰادِ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولُوا مٰا يَعْلَمُونَ وَيَقِفُوا عَنْدَ مٰا لا يَعْلَمُونَ.(٢)

وهناك معنىٰ آخر للحجّة هو أنّه أمان لأهل الأرض من العذاب ولولاه لساخت الأرض بأهلها.

والمعنى هنا أنّ الحجّة هم الأئمّة الأطهار عليهم السلام فهم مثال الانسان الكامل.

انّ خلق العالم ينطوي علىٰ غائيّة في تربية الانسان لسلوك طريق الكمال.

كما أنّ حركة الحياة واستمرارها وتلقي الكائنات الفيض الالهي هو بسبب وجود الانسان الكامل، فهو واسطة الفيض الالهي الذي تتلقّاه الكائنات؛ ومن هنا فانّ وجود الانسان الكامل هو السبب في استمرار الحياة البشريّة، لأنّ الانسان الكامل يمثل الغاية من وجود الحياة واستمرارها فوق سطح الأرض.

يقول الامام الحجّة المهدي عليه السلام في حديث بدء الغيبة الكبرىٰ:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢. الكافي: ١/ ٤٣؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٢٠.

وَأَمّا الحَوادِثُ الوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فيها إلى رُواةِ حَديثِنا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللهِ.[1]

السعادة والشقاء

احياناً تلمّ بالانسان ظروف تؤدّي به إلى الشقاء بحيث يصل في سقوطه إلىٰ الهاوية، وقد يواجه الانسان احياناً مشكلات تكون سبباً في سعادته وعندما تحدث التغيّرات في ذاته فانّه يصل ذروة السعادة.

واحياناً يحدث العكس يعني عندما تلمّ بالانسان ظروف ذاتيّة تتسبّب في شقائه إلّا أنّ المحيط الذي يعيش في داخله يخفف من شقائه.

وهكذا بالنسبة للشخص الذي تتوفّر له أرضيّة السعادة وظروف هادئة فتنقص من حجم سعادته؛ واذن فانه يجب أخذ الظروف بنظر الاعتبار من أجل العثور علىٰ حقيقة الانسان.

السعادة والشقاء في القرآن الكريم

يقول القرآن الكريم في مضمار الأشقياء والسعداء:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوٰاتُ وَٱلأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا

---

١. بحار الأنوار: ٢ / ٩٠؛ الاحتجاج: ٢ /٢٨٣.

﴿ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوٰاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾.[1]

انّ السعيد من أطاع أوامر الله عزّوجلّ واتّجه بقلبه إليه سبحانه والشقي من خرج على طاعته، لأن التمرّد على الله عزّوجلّ يعني الانزلاق في طريق الهاوية فهو في الدنيا ضائع حائر تائه وفي الآخرة له عذاب الجحيم.

وهذا التمايز في يوم القيامة سيظهر جلياً واضحاً ويحدث الاصطفاف العظيم، فترى مجاميع من البشر تتجه نحو جنات الفردوس والتي تفتح أبوابها بوجه السعداء.

وترىٰ زمر المجرمين الأشقياء تساق إلى هاوية الجحيم في نار جهنّم وعندما تصل هذه الزمر إلى جهنّم تنفتح أبوابها فتلفح السموم وجوههم قبل أن يلقوا في الهاوية.

أجل في ذلك اليوم ترى وجوه الناس الطيبين المؤمنين الذين امضوا حياتهم في حياة انسانيّة نبيلة وخاضوا تجربتهم بايجابية، تراها تشرق بالفرحة والبهجة والسعادة، أمّا الناس المجرمين الذين امضوا حياتهم في العدوان والجريمة فترى وجوههم مكفهرة يلفها الغبار والدخان.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾.[2]

وهكذا ينقسم البشر يومئذٍ إلىٰ فريقين فريق في الجنّه وفريق في السعير.

---

١. سورة هود: ١٠٥ ـ ١٠٨.
٢. سورة عبس: ٣٤ ـ ٤٢.

السعادة والشقاء في الروايات

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

السَّعادةُ سَبَبُ خَيْرٍ تَمَسَّكَ بِهِ السَّعيدُ فَيَجُرُّهُ إلى النَّجاةِ وَالشَّقاوَةُ سَبَبُ خِذْلانٍ تَمَسَّكَ بِهِ الشَّقِيّ فَجَرَّهُ إلى الهَلَكَةِ وَكُلٌّ بِعِلْمِ اللهِ تعالى.(١)

ويقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

أَسْعَدُ النّاسِ مَنْ عَرِفَ فَضْلَنا وَتَقَرَّبَ إلى اللهِ بِنا وَأَخْلَصَ حُبَّنا وَعَمِلَ بِما إلَيه نَدَبْنا وَانْتهىٰ عَمّا عَنْه نَهَيْنا فذاك مِنّا وَهُوَ فى دارِ المُقامَةِ مَعَنا.(٢)

ويقول عليه السلام أيضاً:

اُنْظُروا اَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا اَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً وَلَنْ يُعيدُوكُمْ فى ردىً فَإنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتُضِلُّوا وَلا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.(٣)

تتّفق جميع الأديان الالهيّة علىٰ أن ذروة الكمال الأخلاقي تتجسّد في «السعادة» وفي المقابل فان خلاصة جميع المفاسد الأخلاقي ومظاهر الانحطاط تتجسّد في «الشقاء».

ويكمن سرّ السعادة الانسانيّة في حب الانسان لله خالقه وبارئه والمنعم عليه، بينما يكمن سرّ الشقاء الانساني في حبّ الانسان لذاته وانانيته ونرجسيته.

---

١. بحار الأنوار: ١٠ / ١٨٤.
٢. غرر الحكم: ١١٥؛ عيون الحكم و المواعظ: ١٢٤.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٩٦.

انّ قلب الانسان بمنزلة الاناء فاذا امتلأ بحب الله عزّوجلّ فسيكون مفيداً باعثاً على تكامله ورقيه الأخلاقي والانساني؛ أمّا إذا امتلأ بالأهواء النفسيّة والانانيّة فانّه سيتّخذ لوناً شيطانيّاً وسيقود الانسان إلى الضياع والتيه والشقاء.

والحقيقة انّ السعادة الحقيقيّة إنّما تكمن في نهاية المطاف فان كان الفصل الأخير خيراً فهو إلىٰ خير، وإن كان الفصل الأخير شرّاً فهو إلى شرّ وشقاء.

الامتحان الالهي

خلق الله عزّوجلّ الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار، من أجل تمييز الأخيار من الأشرار والكشف عن السعداء والأشقياء وذلك من خلال الانتخاب والاختيار.

فالدنيا رحلة وتجربة حيث يقف الانسان أمام مفترق طريقين لا ثالث لهما؛ طريق الخير وطريق الشر؛ طريق الحق وطريق الباطل، وهنا يتحدّد مصير البشر، وقد أشارت إلىٰ ذلك السيّدة زينب بنت أميرالمؤمنين علي عليها السلام في كلمة لها بعد واقعة عاشوراء حيث احتشد أهالي الكوفة وذلك بعد قرائتها الآية الكريمة:

﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.[1]

انّ الله تعالى يميز بين الخبيث والطيّب والمحق والمبطل في سلسلة من

---

١. سورة آل عمران: ١٧٩.

الامتحانات والابتلاءات.

وإلىٰ ذلك أيضاً أشار الامام الحسين عليه السلام في قوله:

إذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلىٰ هذا الخلق المعقوس وبماذا يختبرون؟[1]

١. بحار الأنوار: ٤٤/٣٣١.

وقال الامام الحسين عليه السلام قبيل واقعة عاشوراء: الناس عبيد الدنيا والدين لعق علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فاذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون.

بحار الأنوار: ٤٤/٣٨٢؛ تحف العقول: ٢٤٥؛ كشف الغمّة: ٢/٣٢ ـ المترجم.

[﴿٢٥﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أَدْنَى مَلاَئِكَتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ خَلِيقَتِهِ عَلَيْهِ وَأَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ.

﴿٢٦﴾ حَمْداً يَفْضُلُ سَائِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿٢٧﴾ ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا و عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَمَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿٢٨﴾ حَمْداً لاَ مُنْتَهَى لِحَدِّهِ و لاَ حِسَابَ لِعَدَدِهِ و لاَ مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ وَلاَ انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ].

يسبح الملائكة بحمده والكائنات بمجده

هذا الوجود العظيم وما فيه من كائنات من ذرات متناهية في الصغر إلى المجرّات العظمىٰ كلّه يسبّح بحمد الله ومجده كلّ شيء في هذه العوالم:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[1]

أجل كلّ شيء يحمد الله ويسبّحه ويمجّد عظمته سبحانه وتعالى علىٰ نعمه التي

---

١. الإسراء: آية ٤٤.

أفاض بها علىٰ مخلوقاته، غير ان البشر يجهلون لغات الكائنات.

وحركة الوجود وحركة الكائنات في مساراتها ومدارتها تعبير عن طاعتها للخالق تبارك وتعالى.

ومن الواضح أن وعي الانسان لظاهرة التسبيح لله وحمده له الأثر العميق في تكامل الانسان وترشيد حركته ورقيه الأخلاقي.

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ وَسَبَباً لِلْمَزيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدليلاً عَلىٰ آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ.(١)

فالحمد بداية الطريق والمفتاح الذي يفتح نوافذ الذكر الالهي وعندما تنفتح نوافذ الذكر؛ فان أضواء الوعي تشرق علىٰ قلب الانسان وحينئذٍ يكتشف الانسان الطريق إلى الله عزّوجلّ.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَحَقُّ مَنْ خُشِيَ وحُمِدَ، وَأَفْضَلَ مَنِ اتُّقِيَ وَعُبِدَ وَأَوْلَى مَنْ عُظِّمَ وَمُجِّدَ. نَحْمَدُهُ لِعَظِيمِ غَنائِهِ، وَجَزِيلِ عَطائِهِ، وَتَظاهُرِ نَعْمائِهِ، وَحُسْنِ بَلائِهِ.(٢)

انّ الله عزّوجلّ وهو وحده الذي له الحمد وعلى الانسان أن يسبّح بحمد الله على ما أفاض عليه من نعمه الوفيرة الكثيرة التي لا تحصىٰ، فلا يجب أحداً غيره ولا يدع في قلبه أحداً غيره سبحانه وتعالىٰ.

وعندما يتألّق الحبّ الالهي في قلب الانسان وتسطع أنواره في وجوده حينئذٍ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦.
٢. بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٥٥؛ الكافي: ٨/ ١٧٥.

يوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ويجاهد في سبيله.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَسُرُّهُ قَالَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلىٰ هٰذِهِ النِّعْمَةِ. وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ قَالَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلىٰ كُلِّ حَالٍ.[1]

هكذا يجب أن يتصرّف الانسان في منعطفات الحياة، ان الحمد لله يعني انّ الانسان يشكر الله علىٰ نعمه كلّها ويحمده في مواقع الامتحان والابتلاء.

الله وحده سبحانه الذي يُحمد في كلّ الأحوال وهو وحده الذي يُحمد في مواطن البلاء.

انّ الحمد يعبّر عن حاجة الانسان في تعزيز علاقته بالله الخالق البارئ المصوّر المنعم.

---

١. الكافي: ٢ /٩٧؛ وسائل الشيعة: ٣ /٢٤٧؛ مشكاة الأنوار: ٣١.

[﴿٢٨﴾ حَمْداً لاَ مُنْتَهَى لِحَدِّهِ و لاَ حِسَابَ لِعَدَدِهِ و لاَ مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ وَلاَ انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ. ﴿٢٩﴾ حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ وَسَبَباً إِلَى رِضْوَانِهِ وَذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَطَرِيقاً إِلَى جَنَّتِهِ وَخَفِيراً مِنْ نَقِمَتِهِ وَأَمْناً مِنْ غَضَبِهِ وَظَهِيراً عَلَى طَاعَتِهِ وَحَاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ و عَوْناً عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَوَظَائِفِهِ].

الحمد طريق الكمال

الحمد يعني اظهار كمال المحمود وعندما يجري على اللسان فانّه يتجسّد في قالب الألفاظ والكمالات فانه حمد كلامي لساني.

أمّا الحمد العملي فهو التعبير عن الشكر واظهار كمال المحمود في صورة أعمال يقوم بها الانسان في قالب عبادة وطاعة بدنيّة.

والحمد الشعوري فهو التعبير عن الحمد والشكر لله عزّوجلّ في حالة روحيّة تستغرق القلب.

ولذا فانّ العبوديّة لله عزّوجلّ هي الطاعة لله سبحانه والاتّصاف بصفاته والتخلّق بأخلاقه تبارك وتعالىٰ وحينئذٍ يتقبّل أعمال عباده الصالحين.

وفي هذا المقطع من الدعاء نلاحظ الاشارة الواضحة والجليّة إلىٰ قبول العمل

الصالح من لدن الله تعالى؛ وهو في الحقيقة انعكاس لقوله تعالى:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾.[1]

والحمد مختصّ بالله عزّوجلّ فله سبحانه الحمد والثناء ويتّصف الحمد بالعموم أي انه يشمل جميع حالات الشكر وهو في جوهر طاعة لله عزّوجلّ.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

مَنْ تَواضَعَ قَلْبُهُ لِلّهِ لَمْ يَسْأَمْ بَدَنُهُ مِنْ طاعَةِ اللهِ.[2]

وروى حماد بن عثمان قال:

خَرَجَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام مِنَ الْمَسْجِدِ وَقَدْ ضَاعَتْ دَابَّتُهُ فَقَالَ: لَئِنْ رَدَّهَا اللهُ عَلَيَّ لأَشْكُرَنَّ اللهَ حَقَّ شُكْرِهِ، قَالَ: فَمَا لَبِثَ أَنْ أُتِيَ بِهَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَلَيْسَ قُلْتَ لأَشْكُرَنَّ اللهَ حَقَّ شُكْرِهِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: أَلَمْ تَسْمَعْنِي قُلْتُ الْحَمْدُ لِلّهِ؟[3]

الثناء علىٰ غير الحق

انّ المبالغة في المدح والثناء علىٰ غير الحقّ تعالىٰ عمل غير مستحسن، ذلك أنّ الثناء والحمد مختصّ بالله عزّوجلّ، فكلّ ما عدا الله محدود؛ والمحدود لا يستحق المبالغة في الثناء عليه؛ والله تبارك وتعالىٰ هو المطلق.

---

١. سورة فاطر: ١٠.

٢. بحار الأنوار: ٧٥ / ٩٠؛ اعلام الدين: ١٨٦؛ كنز الفوائد: ١ / ٢٧٨.

٣. بحار الأنوار ٦٨ / ٣٣؛ الكافي: ٢ / ٩٧.

ومهما استغرق الانسان في حمده والثناء عليه فلن يـوفيه؛ ولذا فـمهما بـالغ الانسان واستغرق في الحمد لله تعالىٰ فانّه عمل مستحسن مطلوب ويوجب رقي الانسان في مدارج الكمال والقرب من الله عزّوجلّ.

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

اِنَّ في كِتابِ أميرِالْمُؤمِنينَ عليه السلام أَنَّ الْمِدْحَةَ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ، فَإذا دَعَـوتَ اللهَ عَـزَّ وَجَلَّ فَمَجِّدْهُ.[1]

وشكر النعمة أمر فطري جبل عليه الانسان في تكوينه، حيث ترتكز دعـائم الدين علىٰ شكر المنعم؛ ومن هنا فانّ الكفر والمعصية والتمرّد علىٰ الله عزّوجلّ ناجم في الحقيقة من كفران النعمة، قال تبارك وتعالى:

﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾.[2]

والآية الكريمة تعد الشاكرين بمضاعفة النعم وبالبركات؛ بينما تتوعد من يكفر بنعم الله بالعذاب الشديد يوم القيامة.

الاعتراف بالاحسان

انّ من مقتضيات العبوديّة لله سبحانه وتـعالىٰ الاعـتراف بـالاحسان الالهـي وتعداد النعم الالهيّة؛ فذكر النعم والاشارة إليها هو من حالات الحمد والشكران.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام:

---

١. بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٥؛ الكافي: ٢/ ٤٨٤؛ وسائل الشيعة: ٧/ ٨٠.

٢. سورة إبراهيم: ٧.

سُبْحانَ مَنْ جَعَلَ الإعْتِرافَ بِالنِّعْمَةِ لَهُ حَمْداً، سُبْحانَ مَنْ جَعَلَ الإعْتِرافَ بِالْعَجْزِ عَنْ الشُّكْرِ شُكْراً.[١]

ويقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ في نِعْمَةٍ يُحْدِثُها لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُها عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُها عَنْكَ، فَما ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ؟![٢]

وجاء في رسالة للامام علي عليه السلام وجهها إلى الحارث الهمداني:

وَأَطِعِ اللهَ في جُمَلِ أُمُورِكَ؛ فَإنَّ طاعَةَ اللهِ فاضِلَةٌ عَلىٰ ما سِواها.[٣]

ومن هنا فانّ الطاعة لله في كلّ شؤون الحياة، هي التي تجسّد العبوديّة له سبحانه وتعالىٰ.

---

١. بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤٢؛ تحف العقول: ٢٨٣.

٢. نهج البلاغة: خطبة ٢١٤.

٣ـ نهج البلاغه: نامة ٦٩.

[﴿٣٠﴾ حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ و نَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ إِنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ].

الحمد سلّم السعادة

وفي هذا المقطع من الدعاء يعدّ الامام السجّاد الحمد سلّماً لنيل السعادة لأنّه يرتقي بالانسان إلى مستوىٰ الشهادة في سبيل الله حيث يلاقي الانسان نهايته الدامية علىٰ أيدي أعداء الله؛ وحيث الشهادة في جوهرها ميثاق بين العبد وربّه.

قال تبارك وتعالىٰ في كتابه العزيز:

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.[1]

هكذا يرتقي الحمد بالانسان إلىٰ ذروة الطاعة لله وهي درجة الشهداء في سبيل الله وذلك عندما يقاتل الانسان المؤمن في سبيل الحقّ تبارك وتعالىٰ انتصاراً للحقيقة ومواجهة الطاغوت ودحر الباطل.

وانها لدرجة عظيمة درجة الشهادة، التي تعني النهاية الواعية؛ حيث تنتهي

---

١. سورة الأحزاب: ٢٣.

حياة الانسان قتلاً في سبيل الله؛ وهو في ذروة وعيه ليكون شاهداً وشهيداً حيّاً خالداً في حضرة مليك مقتدر.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

مٰا مِنْ نَفْسٍ تَمُوْتُ لَهٰا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهٰا أَنْ تَرْجَعَ اِلىٰ الدُّنيٰا وَ أَنَّ لَهٰا الدُّنْيٰا وَمٰا فيهٰا اِلّا الشَّهيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنّٰى أَنْ يَرْجِعَ اِلَى الدُّنْيٰا فَيُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرىٰ، لِمٰا يَرىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهٰادَةِ.(١)

وقال الامام الحسين عليه السلام سبط رسول الله ﷺ:

مٰا مِنْ شيعَتِنا إلّا صِدِّيقٌ شَهيد، قُلْتُ: أنّىٰ يَكُونُ ذلك وَهُمْ يَمُوتُون عَلىٰ فَرْشِهِم؟ فَقالَ: أَمَا تَتْلُو كِتابَ الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهَ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(٢).(٣)

مقام الرضا

وهو أعلىٰ درجة يمكن أن يبلغها الانسان في رقيه الأخلاقي والانساني حيث تتدفّق في أعماقه عاطفة الرضا والطمأنينة والشعور بالسلام.

انّ الانسان المؤمن بالله وبرسالاته وأنبيائه وبعباده الذين اصطفاهم للهداية؛ لابدّ وأن يبلغ هذه الدرجة، وقد تصدر عنه أخطاء في حياته ولكن الفصل الأخير سيكون ايجابيّاً ومصيريّاً.

---

١. كنز العمال: ٤ / ٢٩٠؛ تفسير الثعلبي: ٣ / ٢٠١؛ تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣٥.

٢. سورة الحديد: ١٩.

٣. بحار الأنوار: ٧٩ / ١٧٣؛ الدعوات، الراوندي: ٢٤٢.

والامام يختتم دعاءه هذا بذكر اسمين من أسمائه الحسنىٰ تبارك وتعالىٰ وهما الولي الحميد؛ ذلك انّ الله عزّوجلّ هو وليّ الذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد؛ وهو سبحانه الحميد المجيد المحمود الذي له الحمد في الدنيا والآخرة.

وقد قرن الامام السجاد عليه السلام في دعائه بين هذين الاسمين المقدّسين وبين الشهيد الذي يقتل في سبيل الله والذي يبلغ بشهادته الدامية أعلىٰ درجات المؤمنين والصدّيقين.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

فَوْقَ كُلِّ ذِی بِرٍّ، بِرٌّ حَتّی یُقْتَلَ الرَّجُلُ فِی سَبیلِ اللهِ فَإذا قُتِلَ فِی سبیلِ الله فَلَیْسَ فَوْقَه بِرٌّ.[1]

وجاء في ختام عهد الامام علي عليه السلام إلىٰ مالك الأشتر هذا الدعاء:

وَأَنْ یَخْتِمَ لي وَلَكَ بالسَّعٰادَةِ والشَّهادَةِ وإنّا إلَیْهِ رٰاجِعُون.[2]

---

١. الكافي: ٢ /٣٤٨؛ وسائل الشيعة: ٢١ /٥٠١.

٢. نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

الدعاء الثاني

في الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ

وبيان صفاته

﴿١﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِى لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ وَلاَ يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ.

﴿٢﴾ فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ.

﴿٣﴾ اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ.

﴿٤﴾ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ.

﴿٥﴾ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ.

﴿٦﴾ وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهُ.

﴿٧﴾ وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ.

﴿٨﴾ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ.

﴿٩﴾ وَأَقْصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ.

﴿١٠﴾ وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ.

﴿١١﴾ وَ وَالَى فِيكَ الأَبْعَدِينَ.

﴿١٢﴾ وَعَادَى فِيكَ الأَقْرَبِينَ.

﴿١٣﴾ وَأَذْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ.

﴿١٤﴾ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ.

﴿١٥﴾ وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ.

﴿١٦﴾ وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِك.

﴿١٧﴾ حَتَّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ.

﴿١٨﴾ وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ.

﴿١٩﴾ فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ.

﴿٢٠﴾ فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ.

﴿٢١﴾ وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ.

﴿٢٢﴾ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوَكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

﴿٢٣﴾ اَللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ.

﴿٢٤﴾ حَتَّى لاَ يُسَاوَىٰ فِي مَنْزِلَةٍ وَلاَ يُكَافَأَ فِي مَرْتَبَةٍ وَلاَ يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

﴿٢٥﴾ وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ.

﴿٢٦﴾ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

[﴿١﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ وَلاَ يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ].

محمّد سيّد الكائنات

يعجز اللسان والتعبير عن بيان صفات سيّد الكائنات وبيان الأبعاد العظيمة في شخصيّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله غير انّ المرء إذا ما أراد أن يسبر أعماق هذا البحر الواسع؛ فان كتاب الله العزيز بوّابة لهذا الموضوع.

وإلىٰ جانب ما ورد من الأحاديث والروايات التي هي واقع الأمر انعكاس متألق للآيات القرآنيّة وتفسير لمكنوناتها العميقة الغور؛ ولقد ورد في الروايات الموثقة:

١ ـ أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْعَقْلُ.[1]

٢ ـ أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ نُورى.[2]

٣ ـ أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ رُوحى.[3]

---

١. عوالي اللآلى: ٤ /٩٩؛ بحار الأنوار: ١ /٩٧.

٢. عوالي اللآلى: ٤ /٩٩؛ بحار الأنوار: ١ /٩٧.

٣. بحار الأنوار: ٥٤ /٣٠٩؛ شرح الأسماء الحسنىٰ: ١ /٢٠٣، ينابيع المودة: ١ /٤٥.

٤ ـ أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ.[١]

٥ ـ أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْمَلائِكَة.[٢]

وهذه خمس مراحل في توصيف حقيقة واحدة ونور واحد، فهي أسماء متعددة لمسمّىٰ واحد، يشغل أعلى وأرفع درجات الخلق والوجود، والذي لا يحتاج أحداً غيره؛ سوىٰ الله تبارك وتعالىٰ وهذا الوجود لا يلتفت إلىٰ أحد إلّا الله محبوبه الحق.

وما هذا الوجود الفريد سوى رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله سيّد الكائنات وأشرف المخلوقات، وهو الأكثر قرباً من الله تبارك وتعالىٰ.

أقْبَلَ إلَى الدُّنْيا وَأَهْبَطَ إلى الأَرْضِ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ.[٣]

وهذا يعني انّ نور وجوده المقدّس نافذ في باطن جميع الكائنات وهو أحبّ الأشياء واصفاها وأكثرها خلوصاً.

وكلّ من ارتبط به فهو من أهل الكمال والجنّة من استحقاقه ومن أعرض عنه فهو من أهل الشقاء ومصيره أن يكون حطباً في جهنّم.

عَنْ أبى جَعْفَرٍ عليه السلام قال: لَمّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قالَ لَهُ: أقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قالَ لَهُ: أدْبِرْ،فَادْبَرَ ثمَّ قالَ: وَعِزَّتى وجلالى ما خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إلىَّ مِنْكَ، وَلا أكْمَلْتُكَ إلّا فيمَنْ أُحِبُّ. اَما اِنِّى إيّاكَ آمُرُ وَإيّاكَ أنْهىٰ وَإيّاكَ أُعاقِبُ وَإيّاكَ أُثيبُ.[٤]

---

١. بحار الأنوار: ٥٧ /٩٣؛ تفسير القمى: ٢ /١٩٨، في تفسير آية ٣ من سورة سبأ.
٢. الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام: ٩٣.
٣. شرح أُصول الكافي، للمازندراني: ١ /٧٢.
٤. الكافى: ١ /١٠؛ وسائل الشيعة: ١٥ /٢٠٤.

نـــبيّنا آيـــاته ظـــاهره عن بعضها يعجز مـن فـاخره
أعـظمها القـرآن جـلّ الذي أنـــزله مـــعجزة بـــاهره
أطـــلعه الله عـــلىٰ عـلم مـا يكون في الدنيا وفي الآخره
علوم كلّ النـاس فـي عـلمه كـــقطرة فـي البـحر زاخـره
وفـضله أعـيا الورىٰ عـده أفهامه عـن حـصره قـاصره
صـــلّىٰ عـــليه ربّـــنا دائـماً صـــلاته الزاكـــية العـاطره
ثمّ على العـترة أهـل التـقىٰ أكرم بها مـن عـترة طـاهره
فـــنسأل الله بـــهم رحـــمة تـــعمنا بـــاطنة ظـــاهره

الحقيقة المحمّدية

هذا الروح العظيم حيث ينعكس في شخصيته النور الالهي، وتتألق في كيانه أسماء الله؛ فتمت به حجّة الله علىٰ خلقه، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياؤه؛ سيرته القصد خير البريّة وأنجبها وأطهر المطهّرين، اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء.

ومن خلال الحقيقة المحمّديّة تجلّت الذات المقدّسة وظهر السرّ التام.

فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ.[1]

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله:

١. بحار الأنوار: ٨٤/ ١٩٩؛ شرح الاسماء الحسنىٰ: ١/ ٣٧.

أبيتُ عِنْدَ رَبّى، يُطْعِمُنى وَيَسْقينى.[١]

وقوله عليه السلام:

لى مَعَ اللهِ وَقْتٌ لايَسَعُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلانَبِىٌّ مُرْسَلٌ.[٢]

وقد بلغ هذا الروح العظيم من السمو أنه أدرك الأسماء «المستأثرة التي لا يوفها إلّا هو» سبحانه وكيفيّة ظهورها وتجلّيها واطّلع علىٰ أسرار الوجود، وكيفيّة نفوذها إلىٰ صور الاستعدادات.

وشهد مقام الأحديّة ومفاتيح الأسماء المستأثرة فحفظ العهد والميثاق الالهي.

﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾.[٣]

فجسّد العبوديّة لله في أعلىٰ درجاتها:

﴿ **وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾.[٤]

﴿ **مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾.[٥]

ولمّا وقف علىٰ سرّ الأعيان والاستعدادات؛ بلغ مقام الهداية في تشريع الأحكام؛ فأعطىٰ كلّ ذي حقّ حقّه فأدرك صدور الحقائق وسرّ صدورها الناجم من الحكمة البالغة واستنادها إلى الأسماء الالهيّة وقابليتها الذاتيّة.

فَلا يَهُمُّ بِالنَّوازِلِ، وَلا يَغْتَمُّ بِالْحَوادِثِ أَصْلاً ولا تُؤَثِّرُ فيهِ، فَلايُرىٰ فى عَيْنِ

---

١. بحار الأنوار: ١٦ /٤٠٣؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١ /٢١٤.
٢. بحار الأنوار: ١٨ /٣٦٠؛ شرح اصول الكافي: ٣ /٨٢؛ سنن النبي ٩: ٤١٢.
٣. سورة يس: ٦٠. ٤. سورة يس: ٦١.
٥. سورة الأحزاب: ٢٣.

الْبَلاٰيا إِلّا هَشَّاً بَشّاً بَسّاماً مَزّاحاً كعلىّ عليه السلام.[١]

قد انفتحت نوافذ الغيب، وألهم العلم بالأسماء:

كَالْعِلْمِ بِالْأَسْماءِ الْمُسْتَأْثَرَةِ الْغَيْبِيَّةِ.

وقد جاء في حديثه ﷺ قوله:

اَللّٰهُمَّ إنّى اَسْألُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أو أنْزَلْتَهُ فى كِتابِكَ أوْ عَلَّمْتَهُ أحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأثَرْتَ بِهِ فى مَكْنُونِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ.[٢]

وتتضمّن هذه الأسماء العلوم والأسرار التي تنبئ عن الغيب والعلم والتفصيلي بالآثار ومقتضيات الأسماء الكليّة والجزئيّة والاستعدادات والقابليّات اللازمة التي تتوقّف عليها الأعيان والحقائق الخلقية.

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

إنَّ اللهَ ضَرَبَ بِيَدِهِ بَيْنَ كَتِفَىَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَ أنامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَىَّ فَعَلِمْتُ عِلْمَ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ.[٣]

وأثر هذه المفاتيح يتجلّىٰ في عالم الملكوت والأرواح والمكاشفات المعنويّة والواردات الروحانيّة والمجرّدة؛ التي تثمر في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة وفي رموزها وأسرارها.

---

١. رسائل القيصري: ١٢٧.

٢. بحار الأنوار: ٨٣/ ٣٢٤؛ المصباح، كفعمى: ٢١٤؛ مصباح المتهجّد: ٥٠٩.

وجاء في البحار: ٨٤/ ١٩٩ عن الشيخ الصدوق قوله: «ثمّ نورك فهديت» قال الوالد قدس سره: أي لما كانت كمالاتك تامّة بل تكون علاوة لها ـ المترجم.

٣. عوالى اللآلى: ١/ ٥٢، مع اختلاف يسير؛ الفتوحات المكية: ١/ ٢١٤.

وهذه المكاشفات تتجلّىٰ بصورة دحية الكلبي ومشاهدة درجات ومقامات الأنبياء في السماوات البرزخيّة لا تتنافىٰ مع كشف الحقائق المعنويّة في عالم الأرواح وشهود المقدّرات وحقائق خواصّ الأسماء في الأحديّة وقبول التجلّيات الذاتيّة في الأحديّة؛ ذلك انّه الحقيقة الكليّة الجامعة لهم جميعاً.

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وشريعته مكمّلة لكلّ الشرائع الالهيّة وقد تجلّت فيها ذات الحق واشتملت حقيقتها علىٰ جميع المراتب الوجوديّة فانّ الكتاب الذي أنزل علىٰ قلبه مشتمل علىٰ جميع درجات ومراتب الوجود.

ولذا جمع القرآن كلام الله مقام الأحديّة.[1]

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ضوء الآيات والروايات

أجل انّه المصطفىٰ من بني آدم وخلاصة عالمي الدنيا والآخرة، سراج الكائنات وزهرة الوجود، نور الحقيقة الذي أرسل رحمة للعالمين، وأسري به إلى المسجد الأقصى ﴿**سُبْحانَ الَّذى اَسْرٰى**﴾[2] وعرج به إلى السماوات العلى ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى**﴾[3] مفتاح خزائن الغيب النبي الأُمّي؛ الذي كان نبيّاً قبل خلق آدم «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الْماءِ وَالطّينِ**»[4].

مصباح الوجود، مصدر أنوار العدم والوجود ومظهر أسرار الغيب والشهود ﴿ما

١. الرسائل القيصريّة: ١٢٥ ـ ١٣٠. ٢. سورة الإسراء: ١.
٣. سورة النجم: ٣.
٤. المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ٢١٤؛ بحار الأنوار: ١٦/ ٤٠٣.

أَرْسَلْنَاكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ ﴾[١]، الذي يتجلّىٰ في «**مَنْ رَآنى**»[٢] و«**نَحْنُ الْآخِرونَ السّابِقُونَ**»[٣] رحمة للعالمين «**اِهْدِ قَوْمِى إِنَّهُمْ لا يَعْلَمون**»[٤] الذي تنام عيناه وقلبه يقظان «**لا يَنامُ قَلْبى**»[٥] صاحب منزل «**أَبيتُ عِنْدَ رَبّى**»[٦] وله مع الله ميقات «**لى مَعَ الله وقت**»[٧] صاحب المقام المحمود، الشفيع في يوم الجزاء، الأُسوة العظمىٰ أبو القاسم المصطفىٰ محمّد صلى الله عليه وآله.

من أوّل درجة الكائنات وهو العقل الأوّل إلى آخر التنزّلات الانسانيّة ومن الدرجة الانسانيّة إلىٰ الدرجة الالهيّة التي آخر نقطة الدائرة التي تتصل بالأوّل، خط مستدير موهوم حيث نقطة تجدّد تعيّنات نقطة الوحدة.

وعلىٰ هذا الخط المذكور يسافر الخلق من البطون إلى الظهور ومن الظهور إلى البطون.

﴿ **كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾.[٨]

قيادة الأنبياء والأولياء

وقد اقتضت حكمة الله البالغة عدم تيسير مجيء الخلائق ورحيلها في هذا

---

١. سورة الأنبياء: ١٠٧.
٢. بحار الأنوار: ٥٨ / ٢٣٤؛ من لايحضره الفقيه: ٢ / ٥٨٥.
٣. المناقب، ابن شهر آشوب: ٣ / ٢١٩؛ كشف الغمه: ١ / ١١.
٤. الخرائج والجرائح: ١ / ١٦٤؛ اعلام الورىٰ: ٨٣.
٥. الخرائج والجرائح: ١ / ١٠٣؛ الصراط المستقيم: ١ / ٢٠٤.
٦. عوالى اللآلى: ٢ / ٢٣٢؛ المناقب ابن شهر آشوب: ١ / ٢١٤.
٧. بحار الأنوار: ١٨ / ٣٦٠؛ الكافى: ٨ / ٢٠٨.
٨. سورة الأعراف: ٢٩.

الخط الموهوم من دون قيادة تتصف بالاعتدال والكمال.

وهذه القيادة المتّصفة بالكمال هم الأنبياء أوّلاً ثمّ الأولياء من بعدهم.

وكما أن أدلّاء القوافل المسافرة يعرفون الطريق جيداً يعرفون منعطفاته وانحدراته وموانعه ويعرفون محطّاته؛ إلىٰ جانب كيفيّة سوق الابل والجمال والمحافظة على الأثقال؛ فكذلك الأنبياء يعرفون الطريق إلى الله وهداية البشر في طريق الاعتدال بعيداً عن التفريط والافراط وقيادة الناس إلى الصراط المستقيم والوصول إلى الكمال وهو المبدأ.

وفي تشبيه الانبياء بأدلّاء القوافل اشارة دقيقة إلى أن النفس الانسانيّه احياناً وبسبب استعداد للرياضة والمعارضة تدعىٰ في اصطلاح العرفاء «البقرة» وبعد الاستغراق في «السلوك» تدعى «البدنة» والبدنة هي الناقة التي تذبح في عيد الأضحى.

وخلاصة القول انّ الأنبياء هم هداة البشر في طريق الحقيقة والعودة إلى المبدأ، قد ذبحوا «بدنة» النفس بسكين «المخالفة» للأهواء وهذا هو الموت الاختياري وما بعث الأنبياء إلّا من أجل دعوة الناس إلى هذا الطريق:

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[1]

الانسان الكامل هو الجامع لأسماء الله ومظهرها، قد بلغ ذروة الكمال عن طريق التصفية والعودة إلى المبدأ، قد أفنى وجوده الموهوم وبلغ البقاء بالله.

---

١. سورة يونس: ٢٥.

وتتفاوت درجات الكمال الانساني بحسب تحقّق الصفات الالهيّة فيه؛ فكلّما زاد عدد الصفات المتحقّقة فيه زادت درجات كماله وزاد رقيه الأخلاقي.

والانسان الكامل هو من يصبح مظهراً بجميع أسماء الله وصفاته وقد تحقّقت هذه الغاية العليا في شخصيّة خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء وإن بلغوا درجة الكمال إلّا ان درجاتهم دون خاتم الرسل الذي هو سيّد الكونين ومن سبقت نشأته جميع الأنبياء.

كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الْماءِ والطّينِ.[1]

وهو من حيث الصورة متأخّر لأنّه العلّة الغائيّة «أوّل الفكر آخر العمل» «**ونَحْنُ الْآخَرُونَ السّابِقُونَ**».[2]

الحقيقة المحمّديّة والانسان الكامل

النبوّة هي الإنباء أي الإخبار، و«النبيّ» هو من يخبر عن الصفات والأسماء الالهيّة.

واذن فالأنبياء هم أهل التحقيق أوّلاً بالذات، مبعوثون عن ذلك العقل الكلّي للانباء بلا واسطة من جانب النفس الكليّة وبواسطة نحو النفوس الجزئيّة.

وكلّ نبيّ من الأنبياء من عهد آدم إلى عهد الخاتم مظهر من مظاهر النبوّة والروح الأعظم الذي هو العقل الأوّل؛ واذن فانّ النبوّة هو العقل الأوّل الدائمي

---

١. المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ٢١٤؛ بحار الأنوار: ١٦/ ٤٠٣.
٢. المناقب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٦٩؛ كشف الغمة: ١/ ١١.

الذاتي والنبوّة مظاهر زائلة عرضيّة.

والحقيقة المحمّديّة هي العقل الأوّل الذي هو الروح الأعظم:

أَوَّلُ ما خَلقَ اللهُ الْعَقْلُ.(١)

أَوَّلُ ما خَلقَ اللهُ نُوري.(٢)

أَوَّلُ ما خَلقَ اللهُ رُوحي.(٣)

والصورة المحمّديّة هي الصورة التي ظهرت فيها تماميّة الأسماء والصفات والنبوّة الذاتيّة التي هي الإخبار عن ذات وصفات الحق تعالىٰ هي أوّلاً وبالذات الروح الأعظم الذي هو حقيقة النبي صلى الله عليه وآله وفي الآخر هو خاتم النبوّة أيضاً؛ عرضي علىٰ الصورة ومعناه.

واذن هو الأوّل بالحقيقة والآخر بالصورة كائن في عمل النبوّة الذي الاخبار والاعلام وباقي الأنبياء كلّ واحد منهم مظهر لبعض من كمالات حقيقته صلى الله عليه وآله.(٤)

الأسرار العجيبة

يروي الشيخ ابن بابويه المعروف بـ«الشيخ الصدوق» وهو من كبار المحدّثين الثقاة بسنده عن الامام جعفر الصادق عليه السلام عن جدّه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

---

١. شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد: ١٨ /١٨٥؛ عوالى اللآلى: ٤ /٩٩.
٢. عوالى اللآلى: ٤ /٩٩؛ بحار الأنوار: ١ /٩٧.
٣. بحار الأنوار: ٥٤ /٣٠٩؛ شرح الاسماء الحسنىٰ: ١ /٢٠٣.
٤. مفاتيح الاعجاز في شرح «گلشن راز» (روضة الأسرار): ١٨ ـ ٢٠.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ وَاللَّوْحَ وَالْقَلَمَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَقَبْلَ أَنْ خَلَقَ آدَمَ وَنُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عليهم السلام، وَكُلَّ مَنْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَقَبْلَ أَنْ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَخَلَقَ عَزَّوَجَلَّ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ حِجَاباً حِجَابَ الْقُدْرَةِ وَحِجَابَ الْعَظَمَةِ وَحِجَابَ الْمِنَّةِ وَحِجَابَ الرَّحْمَةِ وَحِجَابَ السَّعَادَةِ وَحِجَابَ الْكَرَامَةِ وَحِجَابَ الْمَنْزِلَةِ وَحِجَابَ الْهِدَايَةِ وَحِجَابَ النُّبُوَّةِ وَحِجَابَ الرِّفْعَةِ وَحِجَابَ الْهَيْبَةِ وَحِجَابَ الشَّفَاعَةِ، ثُمَّ حَبَسَ نُورَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي حِجَابِ الْقُدْرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَفِي حِجَابِ الْعَظَمَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ عَالِمِ السِّرِّ وَفِي حِجَابِ الْمِنَّةِ عَشْرَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لا يَلْهُو وَفِي حِجَابِ الرَّحْمَةِ تِسْعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى، وَفِي حِجَابِ السَّعَادَةِ ثَمَانِيَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ دَائِمٌ لا يَسْهُو، وَفِي حِجَابِ الْكَرَامَةِ سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لا يَفْتَقِرُ، وَفِي حِجَابِ الْمَنْزِلَةِ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ الْعَلِيمِ الْكَرِيمِ، وَفِي حِجَابِ الْهِدَايَةِ خَمْسَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَفِي حِجَابِ النُّبُوَّةِ أَرْبَعَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَفِي حِجَابِ الرِّفْعَةِ ثَلاثَةَ آلافِ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَفِي حِجَابِ الْهَيْبَةِ أَلْفَيْ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، وَفِي حِجَابِ الشَّفَاعَةِ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، ثُمَّ أَظْهَرَ اسْمَهُ عَلَى اللَّوْحِ فَكَانَ عَلَى اللَّوْحِ مُنَوَّراً أَرْبَعَةَ آلافِ سَنَةٍ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ عَلَى الْعَرْشِ فَكَانَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مُثْبَتاً سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ إِلَى أَنْ وَضَعَهُ اللهُ

عَزَّوَجَلَّ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام، ثُمَّ نَقَلَهُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عليه السلام إِلَى صُلْبِ نُوحٍ عليه السلام، ثُمَّ مِنْ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ حَتَّى أَخْرَجَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ صُلْبِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب»[1].

ثمّ انتقل نور محمّد صلى الله عليه وآله من آدم إلىٰ شيث إلى انوش إلى قينان إلى مهلائيل إلى اليارذ إلى اخنوخ إلى متوشلح إلى ملك إلى نوح إلى سام إلى ارفخشد إلى شالح إلى عابر إلى فالغ إلى ارغو إلى شروغ إلى ناخور إلى تارخ إلى إبراهيم الخليل إلى إسماعيل إلى قيذار إلى حمل إلى نبت إلى سلامان إلى هميسع إلى اليسع إلى أدد إلى ادّ إلى عدنان إلى معد إلى نزار إلى مضر إلى الياس إلى مدركة إلى خزيمة إلى كنانة إلى نضر إلى مالك إلى فهر إلى غالب إلى لؤي إلى مرّة إلى كلاب إلى قصي إلى عبدمناف إلى هاشم إلى سيّد قريش عبدالمطلب إلى عبدالله وكلّهم مـؤمنون موحّدون هم وأزواجهم وفيهم أنبياء من أولي العزم.

أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالْأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ.[2]

أجل كان نور محمّد ينتقل عبر الأصلاب الطاهرة الشامخة والأرحام المطهّرة النقيّة لم تلوّثهم الجاهليّة بأدرانها ولا الوثنيّة بانحطاطها وسفاهاتها.

---

١. الخصال، الشيخ الصدوق: ٢ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣؛ معاني الأخبار: ٣٠٦ ـ ٣٠٧؛ حـياة القـلوب: ٢ / ٣.

قال بعض المحقّقين العرفاء: انّ الانسان الكامل هو سبب ايجاد العالم.
وجاء في الحديث القدسي: «وخلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي».
محمّد باقر الموسوي، لوامع الأنوار العرشيّة، ص٥١٨ ـ المترجم.

٢. الاقبال: ٦٠٧؛ بحار الأنوار: ٩٧ / ١٨٧.

عبدالمطلب

عبدالمطلب بن هاشم[١] تزعم قريش ومكّه بعد وفاة عـمّة «المـطلب» فـي رحلته إلى اليمن[٢].

كان عبدالمطلب يحظى بمنزلة رفيعة وكان يدين بدين الحنيفيّة على ملّة جدّه إبراهيم الخليل وقد سعى إلى نشر الحنيفيّة من خلال اقامته السنن الطيّبة في قومه.

وقد رأى في منامه المكان الذي كانت فيه بئر زمزم والتي اندثرت قبل عشرات السنين فأعاد حفرها.

وبظهور بئر زمزم وما رافقها من كرامة بسبب قربها من بيت الله الحرام اعرض سكان مكّة عن مياه الآبار الأُخرى واقبلوا علىٰ زمزم التي احدثت تغيّرات فـي النسيج الاجتماعي والمدني لمكّة المكرّمة.

خطب عبدالمطلب لابنه الأصغر عبدالله فتاة من بني زهرة تدعىٰ «آمنة» قُدّر لها أن تكون أُمّاً لسيّد الكائنات محمّد صلى الله عليه وآله.

---

١. هاشم بن عبدمناف زعيم مكّه الذي أسّس رحلتي الشتاء إلى اليمن والصـيف إلى الشـام التجاريتين. توفي في رحلته إلى الشام حيث دفن في مدينة غزة وما يزال قبره قائماً يقصده المسلمون للتبرّك.

وفي عهده ظهر التنافس بين أُسرته وأُسرة شقيقه أميّة وقد تمتع هاشم بمجد أخـلاقي رفيع على عكس أخيه، جاء في رسالة جوابيّة للامام علي عليه السلام إلى معاوية: «وأمّا قولك إنّا بنو عبدمناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كـالمبطل ولا المـؤمن كالمدغل» ـ المترجم.

٢. دفن في منطقة «ردمان» أو «ريمان» البداية والنهاية: ٢/ ٣١٢ ـ المترجم.

فقد محمّد ﷺ والده وهو جنين في بطن أُمّه وتزامنت ولادته المباركة مع حادثة شهيرة حيث تعرضت مكّة لغزو الأحباش في عام ٥٧٠م وظهرت كرامة زعيم مكّة عبدالمطلب وكان قد ناهز السبعين من عمره.

وطلب عبدالمطلب من السكان مغادرة المدينة المقدّسة والتوجّه إلى الجبال المحيطة أما هو فقد زار البيت الحرام وراح يتضرّع إلى الله بالدعاء.

واستجاب الله عزّوجلّ دعاء الرجل الصالح، فقد هاجمت مئات الطيور «الأبابيل» الجيش الحبشي وهو علىٰ مشارف المدينة لتحيل المعتدين إلى ما يشبه «العصف المأكول».

وأثر تمزّق الجيش الحبشي وسقوط أبرهة الأشرم ميتاً على أبواب صنعاء، هاجمت قبائل «حِمْير» بقيادة سيف بن ذي يزن صنعاء وتمكنت من طرد الأحباش واستعادة وتحرير اليمن من المحتلّين.

وقد توجه عبدالمطلب إلى صنعاء لتقديم التهاني بهذه المناسبة حيث استقبل بكل حفاوة وترحيب[1]

---

١. يقول الزبير بن بكّار في كتابه نسب قريش: «مكارم عبدالمطلب أكثر من أن يحاط بها، كان سيّد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وكمالاً وفعالاً». شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢١٨ ـ المترجم.

وفي هاشم يقول الشاعر:

يا أيّها الرجل المجدّ رحيله هلّا مررت بدار عبد مناف
ثكلتك أُمّك لو مررت بداره لعجبت من كرم ومن أوصاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه والقوم فيها مستشون عجاف
بسطوا اليك الراحتين كلاهما عند الشتاء ورحلة الايلاف

المترجم

من أقواله ان الظالم لا يموت حتّى يرى في الدنيا عاقبة ظلمه.

وتضاعفت فرحة عبدالمطلب عندما بشر بميلاد حفيده فاطلق عليه اسماً فريداً هو «محمّد»[١] ليكون محموداً في السماء.

البشارات

بشرت الكتب السماويّة والرسالات الالهيّة من خلال الرسل الكرام بظهور النبي الأكرم محمّد ﷺ ونقل جميع البشارات يتطلّب مجلّدات عديدة لذا نكتفي ببعضها:

دعاء إبراهيم وإسماعيل

وعند ما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت الحرام تضرّعا إلى الله عزّوجلّ وابتهلا إليه أن يشرق نور محمّد وجمال وجوده في الحياة.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.[٢]

---

١. يقول الشاعر:

دعني اضع كفّي في كفيك علّ الحجر يبرد

دعني اطف في السدرة الخضراء في المأوى وأبعد

دعني اسمّك باسمك الحلو المجرّد دعني اشمك يا محمد

المترجم

٢. سورة البقرة: ١٢٩.

ومن أجل ذلك كان النبي الأكرم ﷺ يقول:

أنَا دَعْوَةُ إبْراهيمَ.[١]

وكانت الغاية من بعثة النبي الأكرم ﷺ أن يتلو آيات الله على البشر، لينتبهوا من غفلتهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة أي القرآن والشريعة أو السنّة ويزكّيهم أي يطهّرهم من التلوّث النفسي بالمعاصي ويزكّيهم وتعني تطهيرهم روحيّاً وتنميتهم أخلاقياً.

وجاء في تفسير «الأمثل في تفسير الكتاب المنزل»: يطلب إبراهيم وإسماعيل من الله ظهور نبي الاسلام، يذكر ان ثلاثة أهداف لبعثته:

الأوّل: تلاوة آيات الله على الناس، أي ايقاظ الأفكار والأرواح في ظلّ الآيات الالهيّة المبشّرة والمنذرة.

«يتلو» من تلا أي اتّبع الشيء بالشيء وسمّيت «التلاوة» كذلك لأنّها قراءة وفق تتبع ونظم هي مقدّمة لليقظة والاعداد والتعليم والتربية.

الثاني: تعليم «الكتاب» و«الحكمة» ولا تتحقّق التربية إلّا بالتعليم ولعلّ التفاوت بين الكتاب والحكمة في أن الكتاب يعني الكتب السماويّة والحكمة تعني العلوم والأسرار والعلل والنتائج الموجودة في الأحكام وهي التي يعلمها النبي أيضاً.

---

١. بحار الأنوار: ٦٢/٣٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٢٣٢/١؛ تفسير الميزان: ٣٩٦/١.
جاء في سفر التكوين ١٧: ٢٠، ص٢٢ ـ ٢٣: «واسماعيل اباركه واثمّره واكثّره جداً جداً واثنا عشر اماماً يلد واجعله امة كبيرة» وتعني الفقرة بأن الرب استجاب دعوة إبراهيم في إسماعيل. أحمد الواسطي، أهل البيت في الكتاب المقدّس: ٦٠ ـ المترجم.

الثالث: «التزكية» وهي الهدف الأخير والتزكية في اللغة هي الانماء وهي التطهير أيضاً.

وبذلك يتلخّص الهدف النهائي من بعثة الأنبياء في دفع الانسان على مسيرة التكامل العلمي والعملي وينبغي التأكيد هنا على أن علوم البشر محدودة مقرونة بآلاف الفجوات المبهمة والأخطاء الكبيرة والانسان لا يطمئن بدقّة إلى معلوماته لأنّه شاهد أخطاءه وأخطاء الآخرين.

من هنا كان من الضروري مجيء الأنبياء بعلومهم الحقّة الخالية من الاخفاء فهي مستمدّة من مبدأ الوحي ليملأوا فراغات جهلهم ويبعثوا اطمئناناً بعلمهم.

ويلزم التأكيد أيضاً علىٰ أنّ الشخصيّة البشريّة تتكوّن من «عقل» و «غرائز» لذلك كان الانسان بحاجة إلى «التربية» بقدر حاجته الى «العلم» وينبغي أن يتكامل عقله وأن تتّجه غرائزه نحو هدف صحيح».[1]

النبي الأكرم ﷺ في التوراة والانجيل

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّورَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ﴾.[2]

تدلّ الآية الكريمة على انّ النبيّ الأكرم ﷺ مذكور بأوصافه في الكتب السماويّة وفي طليعتها التوراة والانجيل.

---

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٣٨٥، ذيل الآية الكريمة ١٢٩ من سورة البقرة.
٢. سورة الأعراف: ١٥٧.

فهو ﷺ مذكور في الكتب المقدّسة بصفاته الثلاث: الرسول والنبي والأُمّي.

وجاء في القرآن الكريم علىٰ لسان رسول الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾.[1]

وهنا نجد الاشارة واضحة في تسمية الرسول الذي سيأتي فيما بعد «اسمه أحمد».

وقد بلغ من مجد وعظمة وسمو مكانته أنّ الكتب السماويّة والرسالات الالهيّة كانت تبشّر بظهوره رحمة للعالمين جميعاً وسعادة لكلّ بني البشر.

جوهرة الخلق الفريدة

أجل انّه سيّدنا ونبيّنا محمّد ﷺ المعلّم العظيم وجوهرة الخلق الفريدة الذي لا تدانيه في منزلته الملائكة والجنّ والانس أجمعين، أجل انّه النبيّ الكريم الأكرم الذي اختتم الله به رسالاته وختم به أنبياءه.

العالم مخلوق من أجل محمّد ومحمّد مخلوق من أجله سبحانه وتعالى.

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾.[2]

خلقه سبحانه وتعالى وجعله الدليل إليه في الليل الأليل ماسكاً بأسبابه بحبل الشرف الأطول ناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، ثابت القدم علىٰ

---

١. سوة الصف: ٦.
٢. سورة المؤمنون: ١٤.

زحاليفها في الزمن الأوّل.[١]

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أنْ كانَ فَطيماً أعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَريقَ الْمَكارِمِ ومَحاسِنَ أخْلاقِ الْعالَمِ لَيْلَهُ ونَهارَهُ.[٢]

نور محمّد صلى الله عليه وآله

الجهل ظلمات متكاثفة لا يبددها إلّا نور العلم والرذيلة ليل دامس لا تمحوه إلّا أضواء الفضيلة والشكوك والظنون السيّئة غيوم متراكمة لا تمزقها إلّا صواعق الحقيقة وبروق اليقين، والظلم والعدوان حجب سوداء لا تزيلها إلّا أنوار العدالة، ولا تنتهي ليالي الغفلة إلّا مع طلوع الفجر، فجر الوعي والايمان.

وهكذا أشرق نور محمّد علىٰ عالم الدنيا والبشريّة كما الشمس في رابعة النهار.

أجل انّه النور الساطع والفجر الطالع والبرق اللامع، أشرق رحمة للعالمين وخلاصاً للمؤمنين.

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾.[٣]

فالمؤمنون بالله يتّبعون النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله يسيرون في هداة ويتّبعون النور

---

١. اقتباس من دعاء الصباح للامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام.
٢. نهج البلاغة، الخطبة المعروفة بـ «القاصعة».
٣. سورة البقرة: ٢٥٧.

الذي أنزل معه فينتقلون من عالم الظلمات إلى النـور الالهـي؛ نـور السـماوات والأرض.

أمّا الذين كفروا بهذا النور فمصيرهم السقوط في ظـلمات الجـهل والرذيـلة والشكّ والظلم والعدوان واللانسانيّة وأخيراً الموت الحقيقي:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.[1]

أجل هذا مصير الذي يعرض عن النور الالهي انه حائر يسير علىٰ غير هدىٰ، يدور في متاهات وقد تكاثفت الظلمة فهو كالأعمىٰ والأصمّ، لا يرى بصيصاً من النور ولا يسمع صوتاً يدلّه على الطريق.

حياة صاخبة

العنوان أعلاه، عنوان فصل في كتاب قيم موسوم بـ«أنيس الأعلام» تـأليف المرحوم حجّة الاسلام محمّد صادق فخرالاسلام، أحـد أبـرز قسـاوسة كـنيسة «اروميّة» والذي قدّر له أن يرى نور الحقيقة ويعتنق الدين الاسـلامي الحـنيف ويسير في صراطه المستقيم فعانى الكثير من المشكلات من أجل ذلك، يقول في مقدّمة كتابه:

«مؤلّف الكتاب أباً عن جد كان من عظماء القسيسين ولد في ظلال كنيسة في اروميّة ودرس لدى عظماء القسيسين والمعلّمين النـصارى مـن بـينهم «رآبـى

١. سورة الأنعام: ١٢٢.

يوحنّا» الكبير والقسّيس يوحنّا جان و«رآبي عـاز» وغـيرهم مـن المـعلّمين والمعلّمات البروتستانت ومن المعلّمين الكاثوليك رآبي تالو والقسيس كـوركز وغيرهم من الرهبان والراهبات، تخرج بعد اثني عشر عاماً وحصل على درجة قسيس.

وبعد تجوال في مختلف البلدان التقىٰ أحد كبار القساوسة وهو مـن مـطارنة الكاثوليك وكان معروفاً بالتديّن والتقوى يرجع إليه الجميع من مختلف طـبقات المجتمع المسيحي وكانوا يرسلون إليه مختلف الهدايا.

وكان يحضر دروسه زهاء الخمسمئة من رهبان وراهبات وكانوا يقيمون مـا يصطلح عليه النصارى بالـ«ربّانتا».

وكانت تربطني به ألفة ومحبّة، حتّى انه سلّمني مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشـــربه ولم يسـتثن مـن ذلك سـوى مـفتاح حـجرة صـغيرة كـانت بـمثابة «الصندوق خانه» وكنت أظنّ انّه يضم خزانة أمواله ولهذا كـنت أتـصوّر ان هـذا القسيس من أهل الدنيا وقد «**تَرَكَ الدُّنْيا لِلدُّنْيا**».

وانه يتظاهر بالزهد من أجل الحصول على بهارج الدنيا وقد لازمته حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري.

وذات يوم لم يحضر الدرس لوعكة صحيّة ألمّت به، فقال لي:

ـ أيّها الابن الروحاني اخبر التلامذة إنّني لا أحضر للتدريس.

فرجعت من عند القسيس وجئت لأخبر التلاميذ وكانوا مستغرقين في الحديث والمباحثة حول معنى كلمة «الفاراقليط» وفي السريانيّة «پيروكلوطوس».

وقد جاء في انجيل يوحنا (الانجيل الرابع) في الأبواب ١٤، ١٥، ١٦ قـول

عيسى عليه السلام انه: من بعدي يأتي «الفارقليطا» والنص الأصلي في انجيل يوحنا كما يلي:

اَنّى هُمْزِ مِلى عَمُوخُونْ كَتْ لِكْسِكْو خُونَ يْون اِينَهَوْ پارقَليطارُ وخارِ قُدْسَ هَوْبِت شارِ ربّبى شمّى هَوْبِت قِلپ لوخونْ كُل مِندى وهَوْبِت مَتخِر وخون كل مِندى دِمرونِ اِلَوْخُونْ.[1]

إنّ لي امور كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن.

وأمّا متى جاء ذاك روح القدس فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلّم من نفسه، بل كان ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأُمور آتية.

هو يمجدني لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم.[2]

يقول فخرالاسلام في كتابه «أنيس الاعلام»:

بعد أن أدّيت وظيفتي رجعت إليه، فسألني عن البحث الذي كان يدور بين الطلّاب، فأخبرته بأنّهم كانوا يتباحثون حول كلمة «فارقليط» وانها تعني روح القدس، عندها قال الاستاذ:

انّ معنى هذه الكلمة لا يفقهه إلّا أساتذة المسيحيّة المتبحّرين وهم يقولون انّ معناه هو أحمد نبي المسلمين.

ثمّ أمرني أن أحضر انجيلاً كان يحتفظ به في مكان (الحجرة) خاص وكان مكتوباً قبل ظهور الاسلام.

وفيه كانت كلمة «أحمد» موجودة بدل كلمة «فاراقليطا» وفيه أيضاً قول

---

١. انجيل يوحنّا: ٢٥ ـ ٢٧، الباب ٤.
٢. انجيل يوحنا ١٦ ٥ ـ ١٥.

السيّد المسيح: «لكنّي أقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي».[١]

فذهبت واحضرت كتابين باليونانيّة والسريانيّة ثمّ قال لي: «أيّها الابن الروحاني! اعلم انّ العلماء والمفسّرين والمترجمين المسيحيّين قبل ظهور النبي محمّد صلى الله عليه وآله لم يكن بينهم اختلاف حول كلمتي أحمد ومحمّد صلى الله عليه وآله ولكن بعد ظهوره فان القسيسين عمدوا إلى تحريف الكتاب المقدّس في كلّ اللغات وكذلك كتب التفسير وحفاظاً على مصالحهم الدنيويّة واستجابة لعقدهم النفسيّة.

ومن المؤكّد من خلال سياق الآيات في الأناجيل الموجودة حالياً انّ المعزّي لا يعني صاحب الانجيل الشريف ولا روح القدس في «يوم الدار»[٢] ذلك انّ السيّد المسيح قال: «لأنّه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزّي».[٣]

ذلك انّه لا يصح اجتماع رسولين ونبيّين صاحبي شريعة عامّة في زمن واحد.

وقد ورد في انجيل «متى» (الانجيل الأوّل) في الباب الثالث ان عيسى عليه السلام وبعد تعميده من قبل يحيى في نهر الاردن خرج ونزل عليه الروح القدس على

---

١. يقول بعض علماء الانجيل انّ المقصود بالمعزّي هنا هو روح القدس! ولكن هل يصحّ هذا؟ طبعاً لا، كيف وهم يقولون ان المسيح يقول: «لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» والمعروف ان المسيح عليه السلام كان منذ ولادته مؤيّداً بروح القدس!
ان المعزّي غير روح القدس.
عودة مهاوش الاردني، الكتاب المقدس تحت المجهر ص١٣٩ ـ المترجم.

٢. المراد «يوم پنطيكا» المعروف وفي اعتقاد المسيحيّين انّ روح القدس في ذلك اليوم هبّ بأقصى قوّته كالزوبعة على الحواريين كما انهم يفسّرون الـ «فارقليط» الموعود بذلك اليوم أيضاً (أعمال الرسل: باب ٢، ١ ـ ١٢).

٣. انجيل يوحنّا: ٧، الباب ١٦.

شكل حمامة.

وكذلك نزل لأجل اثني عشر من تلامذة المسيح عليه السلام وأنّ عيسى عليه السلام لمّا بعث تلامذته الاثني عشر إلى البلدان اليهوديّة زودهم بالقدرة على طرد الأرواح الخبيثة وشفاء المرضى.

والمراد من القدرة هي القوّة الروحيّة لا القوّة الجسمانيّة، وهي عن روح القدس.

واذن فان نزول روح القدس لم يكن مشروطاً بمضي وانطلاق المسيح عليه السلام ومن هنا يتبين انّ المراد من الـ«فارقليطا» هو أحمد ومحمّد.

قلت: ماذا تقول بشأن النصارى؟

قال: أيها الابن الروحاني! ان دين النصرانيّة قد نسخ بسبب ظهور شريعة محمّد صلى الله عليه وآله قال ذلك ثلاث مرّات!

قلت: فأين طريق النجاة والصراط المستقيم الذي يؤدّي إلى الله؟

قال: ان طريق النجاة والخلاص هو في اتباع النبي محمّد صلى الله عليه وآله.

قلت: فهل ينجو المتابعون له؟

قال: إي والله! إي والله! إي والله!

قلت: فما يمنعك من دخول دين الاسلام ومتابعة سيّد الأنام؟!

وأنت تعرف حقانيّته وفضله وتقول أنّ اتّباع النبي محمّد طريق النجاة والصراط المستقيم الذي يوصل إلى الله؟

قال: أيّها الابن الروحاني! انني لم اطلع على حقانيّة الاسلام إلّا بعد أن كبرت

في السن وتقدّمت في العمر وأنا في باطني مسلم، لكنّي لا أستطيع أن أترك الزعامة وأنت تعرف مدى منزلتي بينهم؛ ولو عرفوا رغبتي في الاسلام لقتلوني، وحتى إذا لم يقتلوني؛ فانني سأعيش أيّامي الأخيرة في أسوأ حال بائساً مسكيناً حتّى أموت جوعاً[1] وليس لي طاقة على تحمّل المصائب، فأنا أكتم إسلامي وايماني بالرسول محمّد ﷺ!

ثمّ بكى وأنا بكيت أيضاً لحاله، وبعد فترة صمت قلت: يا أبي المقدّس هل تأمرني باعتناق الاسلام؟

فقال: إن كنت تريد النجاة في الآخرة فادخل في دين محمّد ﷺ فانه الدين الحق، وأنت ما تزال شاباً في عنفوان العمر تستطيع تدبير معيشتك؛ وسوف اصلّي من أجلك فاشهد لي يوم القيامة بأنّني كنت في باطني مسلماً تابعاً لخير الأنام.

وهكذا هداني الله تبارك وتعالى إلى نور الهداية وحب خاتم الأنبياء محمّد ﷺ، فقد رأيت بأُمّ عيني الكتابين وسمعت بأذني ما قاله الاستاذ حتى انه أخبرني بأن الكثير من القساوسة يضمرون الايمان بنبي الاسلام ولا يعلنون ذلك خوفاً على مناصبهم وطمعاً بالدنيا.

فودّعت الاستاذ الذي أهداني مبلغاً من المال نفقة السفر؛ فقبلته بعد اصرار منه.

ولم أحضر معي سوى ثلاثة كتب فقد تركت مكتبتي وما لدي وسافرت إلى اروميّة فدخلتها في منتصف الليل، وتوجّهت من فوري إلى منزل السيّد حسن آقا مجتهد ﷺ فسرّ باسلامي غاية السرور، ورجوته أن يعلّمني كلمة الاسلام فكتبت

---

١. ليس من المعقول أن يتخلّىٰ المؤمنون وسوف يقفون إلى جانبه بقوّة ولكنّها فيما يبدو مخاوف ناجمة عن حبّ الرئاسة.

كلّ ما ألقاه عليّ بالسريانيّة حتّى لا أنساه وطلبت منه أن لا يعلن خبر اسلامي خوفاً من ايذاء أقاربي من المسيحيّين، ثمّ اغتسلت غسل التوبة عن عقيدة التثليث ثمّ نطقت مرّة اخرى بالشهادتين.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا ٱللَّه ﴾.[1]

حكاية اُخرى عن فخرالاسلام

أشكر الله بألف لسان ولغة أنّني لم أرحل عن هذه الدنيا وأنا على عقيدة التثليث، وبعد أن شفيت من جراحة الختان، استغرقت في قراءة القرآن وتحصيل علوم الاسلام ثمّ عزمت السفر إلى العتبات المقدّسة (في العراق) حيث امضيت مدّة في طلب العلوم الدينيّة.

وخلال زيارتي العتبات المقدّسة في كربلاء والنجف الأشرف والكاظمين وسرّ من رأى (سامراء) حدثت لي سوانح لا أرى الاشارة إليها.

من جملة ذلك انّي رأيت أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في يوم الغدير في عالم الأرواح والبرزخ والآخرة وقد انكشف لي ذلك في رابعة النهار.

وكثير ما رأيت خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسيّدنا الصادق عليه السلام وسائر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام رأيتهم في عالم المنام فاستفضت من أرواحهم المقدسة.

وقد واجهت ستّاً وعشرين مسألة في الاُصول والفروع لم أجد حلّها لدى العلماء فاتّجهت إلى الله سبحانه وتوسلت بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وفي ليلة من الليالي

---

١. سورة الأعراف: ٤٣.

رأيت رسول الله ﷺ والامام الصادق في منامي فطلبت من رسول الله ﷺ حلّها فالتفت إلى الامام الصادق عليه السلام وقال له: يا بني أجب عن مسائلة! فكشف لي الامام عليه السلام عن حلّها ورسخت في قلبي حقانيّة المذهب الامامي الاثنا عشري.[1]

يا الهي سدّد خطاي فانّي ... قد تمرّست بالضلالة غيّا
بالعذاب الأمرّ طهر فؤادي ... فيعود الصلصال دُرّاً مضيّا
هات يا شعر من عيونك واهتف ... باسم من اشبع السباسب ريا
باسم زين العصور بعد نبي ... نوّر الشرق كوكباً هاشميا
كان ربّ الكلام من بعد طه ... وأخاه وصهره والوصيا
يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي ... واخشعي انني أردت عليا
يا اله الأكوان اشفق عليا ... لا تمتني عن العذاب شقيا
مصدر الحق لم أقل غير حق ... أنت اجريته على شفتيا
أنت الهمتني مديح علي ... فهمى غيدق البيان عليا
هو فخر التاريخ لا فخر شعب ... يدّعيه ويصطفيه وليا
فاذا لم يكن علي نبياً ... فلقد كان خلقه نبويا[2]

ميلاد محمد ﷺ

اقترن عبدالله بن عبدالمطلب بالسيّدة آمنة بنت وهب سيّد بني زهرة.

---

١. أنيس الأعلام: ١/٦ ـ ٢٢.

٢. بولس سلامة ملحمة عيد الغدير؛ كمال السيد، بولس سلامه شاعر الغدير وكربلاء في الزمن الأخير: ٢٢ ـ ٢٤ الغدير ـ بيروت لبنان ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

وعلى عادة العرب يومذاك أقام العريس في بيت أهل العروس ثلاثة أيّام ثمّ انتقل واياها إلى منازل بني عبدالمطلب.

ولم تطل اقامته اذ غادر مكّة في رحلة تجاريّة إلى الشام وترك زوجته حاملاً.

واستغرقت الرحلة شهوراً وعندما عادت القافلة إلى الحجاز توقفت في مدينة يثرب للاستراحة الّا ان عبدالله شعر بوعكة صحية الزمته الفراش؛ حيث نزل عند أخواله، فتركه رفاقه وعادوا إلى مكّة وأبلغوا والده عبدالمطلب بمرضه.

وبعد شهر أوفد عبدالمطلب أكبر أبنائه «الحارث» إلى يثرب ليعود بأخيه، فاذا به يسمع خبر وفاته ودفنه، فعاد أدارجه إلى مكّة ناعياً أخاه إلى والده وإلى زوجه.

وتأثر الشيخ الوقور بالمصاب واعتصر قلبه الحزن، وزاد اهتمامه بالسيّدة آمنة التي مضى على حملها أشهر.

ترك عبدالله خمسة من الابل وقطيعاً صغيراً من الغنم وجارية هي أمّ أيمن التي ستصبح حاضنة النبي صلى الله عليه وآله فيما بعد.

وتقدّمت بالسيّدة آمنة أشهر الحمل حتّى وضعت وانطلق البشير إلى عبدالمطلب يخبره بميلاد حفيده وفاض الفرح بالشيخ الذي أسرع إلى زوج ابنه ليأخذ الطفل بين يديه ويتذكر ابنه عبدالله وعاد به إلى الكعبة وسمّاه محمّداً ولم يكن هذا الاسم معروفاً لدى العرب.[1]

يروي ابن هشام في سيرته ان السيّدة آمنة سمعت صوتاً يخاطبها ويخبرها بأنّها حامل بسيّد الأنام فاذا ولد فقولي:

---

١. ثمّ قال الحمد الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان. بحار الأنوار: ١٥ /٢٥٧ ـ المترجم.

أُعيذُهُ بِالْواحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حاسِدٍ.[١]

حديث السيّدة آمنة ـ رضي الله عنها ـ

قَالَتْ آمِنَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمَّا قَرُبَتْ وِلادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَيْتُ جَنَاحَ طَائِرٍ أَبْيَضَ قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِي فَذَهَبَ الرُّعْبُ عَنِّي وَأُتِيتُ بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ وَكُنْتُ عَطْشَى فَشَرِبْتُهَا فَأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ نِسْوَةً كَالنَّخْلِ طِوَالاً تُحَدِّثُنِي وَسَمِعْتُ كَلاماً لا يُشْبِهُ كَلامَ الآدَمِيِّينَ حَتَّى رَأَيْتُ كَالدِّيبَاجِ الأَبْيَضِ قَدْ مَلأَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَقَائِلٌ يَقُولُ: خُذُوهُ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ وَرَأَيْتُ رِجَالاً وُقُوفاً فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ وَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَرَأَيْتُ عَلَماً مِنْ سُنْدُسٍ عَلَى قَضِيبٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ قَدْ ضُرِبَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فِي ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَافِعاً إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ سَحَابَةً بَيْضَاءَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ فَسَمِعْتُ نِدَاءً طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ شَرْقَ الأَرْضِ وَغَرْبَهَا وَالْبِحَارَ لِتُعَرِّفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ، ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْهُ الْغَمَامَةُ فَإِذَا أَنَا بِهِ فِي ثَوْبٍ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ وَقَدْ قُبِضَ عَلَى ثَلاثَةِ مَفَاتِيحَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ وَقَائِلٌ يَقُولُ: قُبِضَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَفَاتِيحِ النُّصْرَةِ وَالرِّيحِ وَالنُّبُوَّةِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ أُخْرَى فَغَيَّبَتْهُ عَنْ وَجْهِي أَطْوَلَ مِنَ الْمَرَّةِ الأُولَى وَسَمِعْتُ نِدَاءً: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ وَاعْرِضُوهُ عَلَى رُوحَانِيِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ وَأَعْطُوهُ صَفَاءَ آدَمَ وَرِقَّةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ وَكَمَالَ يُوسُفَ وَبُشْرَى يَعْقُوبَ وَصَوْتَ دَاوُدَ وَزُهْدَ يَحْيَى وَكَرَمَ عِيسَى، ثُمَّ انْكَشَفَ عَنْهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ وَبِيَدِهِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ طُوِيَتْ طَيّاً شَدِيداً وَقَدْ قُبِضَ عَلَيْهَا وَقَائِلٌ يَقُولُ: قَدْ قُبِضَ مُحَمَّدٌ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ إِلّا

---

١. السيرة النبوية، ابن هشام: ١ / ١٣٥؛ الكافي: ٨ / ٣٠١.

دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ ثَلاثَةَ نَفَرٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ وُجُوهِهِمْ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ وَنَافِجَةُ مِسْكٍ وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ لَهَا أَرْبَعُ جَوَانِبَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لُؤْلُؤَةٌ بَيْضَاءُ وَقَائِلٌ يَقُولُ هَذِهِ الدُّنْيَا فَاقْبِضْ عَلَيْهَا يَا حَبِيبَ اللهِ فَقَبَضَ عَلَى وَسَطِهَا وَقَائِلٌ يَقُولُ: قُبِضَ الْكَعْبَةُ وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ مَطْوِيَّةٌ فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَماً تَحَارُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ فِيهِ فَغَسَلَ بِذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ الْإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ضَرَبَ الْخَاتَمَ عَلَى كَتِفَيْهِ وَتَفَلَ فِي فِيهِ فَاسْتَنْطَقَهُ فَنَطَقَ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَ إِلّا أَنَّهُ قَالَ: فِي أَمَانِ اللهِ وَحِفْظِهِ وَكِلاءَتِهِ قَدْ حَشَوْتُ قَلْبَكَ إِيمَاناً وَعِلْماً وَيَقِيناً وَعَقْلاً وَشَجَاعَةً، أَنْتَ خَيْرُ الْبَشَرِ طُوبَى لِمَنِ اتَّبَعَكَ وَوَيْلٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ، ثُمَّ أُدْخِلَ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِمْ سَاعَةً وَكَانَ الْفَاعِلُ بِهِ هَذَا رِضْوَانَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَجَعَلَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: أَبْشِرْ يَا عِزَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَأَيْتُ نُوراً يَسْطَعُ مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى بَلَغَ السَّمَاءَ وَرَأَيْتُ قُصُورَ الشَّامَاتِ كَأَنَّهَا شُعْلَةُ نَارٍ نُوراً وَرَأَيْتُ حَوْلِي مِنَ الْقَطَا أَمْراً عَظِيماً قَدْ نُشِرَتْ أَجْنِحَتُهَا».[1]

العجائب التي رافقت ولادة النبي صلى الله عليه وآله

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

كَانَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ يَخْتَرِقُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى عليه السلام حُجِبَ عَنْ ثَلاثِ سَمَاوَاتٍ وَكَانَ يَخْتَرِقُ أَرْبَعَ سَمَاوَاتٍ فَلَمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حُجِبَ عَنِ السَّبْعِ كُلِّهَا وَرُمِيَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنُّجُومِ وَقَالَتْ قُرَيْشٌ هَذَا قِيَامُ السَّاعَةِ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ أَهْلَ الْكُتُبِ يَذْكُرُونَهُ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْجَرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ انْظُرُوا هَذِهِ النُّجُومَ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا وَيُعْرَفُ بِهَا أَزْمَانُ الشِّتَاءِ

---

١. بحار الأنوار: ١٥ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

وَالصَّيْفِ فَإِنْ كَانَ رُمِيَ بِهَا فَهُوَ هَلاكُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ ثَبَتَتْ وَرُمِيَ بِغَيْرِهَا فَهُوَ أَمْرٌ حَدَثٌ وَأَصْبَحَتِ الْأَصْنَامُ كُلُّهَا صَبِيحَةَ وُلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لَيْسَ مِنْهَا صَنَمٌ إِلّا وَهُوَ مُنْكَبٌّ عَلَى وَجْهِهِ وَارْتَجَسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِيْوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ وَفَاضَ وَادِي السَّمَاوَةِ وَخَمَدَتْ نِيرَانُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ وَرَأَى الْمُؤْبَذَانُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي الْمَنَامِ إِبِلاً صِعَاباً تَقُودُ خَيْلاً عِرَاباً قَدْ قُطِعَتْ دِجْلَةُ وَانْسَرَبَتْ فِي بِلادِهِمْ وَانْقَصَمَ طَاقُ الْمَلِكِ كِسْرَى مِنْ وَسَطِهِ وَانْخَرَقَتْ عَلَيْهِ دِجْلَةُ الْعَوْرَاءِ وَانْتَشَرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نُورٌ مِنْ قِبَلِ الْحِجَازِ ثُمَّ اسْتَطَارَ حَتَّى بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرُ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلّا أَصْبَحَ مَنْكُوساً وَالْمَلِكُ مُخْرِساً لا يَتَكَلَّمُ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَانْتُزِعَ عِلْمُ الْكَهَنَةِ وَبَطَلَ سِحْرُ السَّحَرَةِ وَلَمْ تَبْقَ كَاهِنَةٌ فِي الْعَرَبِ إِلّا حُجِبَتْ عَنْ صَاحِبِهَا وَعَظُمَتْ قُرَيْشٌ فِي الْعَرَبِ وَسُمُّوا آلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ الصَّادِقُ عليه السلام: إِنَّمَا سُمُّوا آلَ اللهِ لأَنَّهُمْ فِي بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَقَالَتْ آمِنَةُ إِنَّ ابْنِي وَاللهِ سَقَطَ فَاتَّقَى الْأَرْضَ بِيَدِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ خَرَجَ مِنِّي نُورُ أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَسَمِعْتُ فِي الضَّوْءِ قَائِلاً يَقُولُ إِنَّكِ قَدْ وَلَدْتِ سَيِّدَ النَّاسِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً وَأُتِيَ بِهِ عَبْدُالْمُطَّلِبِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَدْ بَلَغَهُ مَا قَالَتْ أُمُّهُ فَأَخَذَهُ فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ثُمَّ عَوَّذَهُ بِأَرْكَانِ الْكَعْبَةِ وَقَالَ فِيهِ أَشْعَاراً قَالَ وَصَاحَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ فِي أَبَالِسَتِهِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: مَا الَّذِي أَفْزَعَكَ يَا سَيِّدَنَا؟ فَقَالَ لَهُمْ: وَيْلَكُمْ لَقَدْ أَنْكَرْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ لَقَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ عَظِيمٌ مَا حَدَثَ مِثْلُهُ مُنْذُ رُفِعَ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ فَاخْرُجُوا وَانْظُرُوا مَا هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي قَدْ حَدَثَ، فَافْتَرَقُوا ثُمَّ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: مَا وَجَدْنَا شَيْئاً فَقَالَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ: أَنَا لِهَذَا الْأَمْرِ ثُمَّ انْغَمَسَ فِي الدُّنْيَا فَجَالَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْحَرَمِ فَوَجَدَ الْحَرَمَ مَحْفُوظاً بِالْمَلائِكَةِ فَذَهَبَ لِيَدْخُلَ فَصَاحُوا بِهِ فَرَجَعَ ثُمَّ صَارَ مِثْلَ الصِّرِّ وَهُوَ الْعُصْفُورُ فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ حَرَى فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: وَرَاكَ لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: حَرْفٌ أَسْأَلُكَ عَنْهُ يَا جَبْرَئِيلُ، مَا هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَالَ لَهُ: وُلِدَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: هَلْ لِي فِيهِ نَصِيبٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَفِي أُمَّتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: رَضِيتُ.[1]

وجاء في بعض المدوّنات عن الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ رَحِمَهَا اللهُ جَاءَتْ إِلَى أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللهُ تُبَشِّرُهُ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَالِبٍ: اصْبِرِي لِي سَبْتاً آتِيكِ بِمِثْلِهِ إِلّا النُّبُوَّةَ وَقَالَ السَّبْتُ ثَلاثُونَ سَنَةً وَكَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ وَأَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثَلاثُونَ سَنَةً.[2]

أسماءه وألقابه الشريفة

إنّ أسماء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وألقابه انما تلقي أضواءً على أبعاد شخصيته المقدّسة، وتعكس جوانب معينة من أخلاقه ومجده.

وأضافه إلى الأسماء والألقاب تأتي الكنىٰ التي تقترن عادة بالاسم الأوّل الذي ينتخب للوليد.

---

١. بحار الأنوار: ١٥/ ٢٥٧ ـ ٢٥٩.
٢. بحار الأنوار: ١٥/ ٢٦٣.

وقد جرت العادات والتقاليد أنّ الآباء يطلقون علىٰ مواليدهم اسماً وكنية تتناسب مع الموقع الاجتماعي للأُسرة.

وتسهم الكنىٰ في تعزيز شخصيّة الفرد وتكريمه. والاسم يكشف عن شخصيّة المسمّىٰ وصفاته.

وقد حاز سيّدنا ونبيّنا محمّد ﷺ الشرف الرفيع فقد تعدّدت أسماؤه وألقابه وكناه.

أبو القاسم

وهي أولىٰ كناه ﷺ بعد زواجه من السيّدة خديجة حيث رزقه ولداً هو القاسم توفّي في صباه.

و «أبو القاسم» هي أشهر كناه التي كان غير المسلمين يخاطبونه بها بعد الهجرة.

صلّى الاله على النبيّ المصطفىٰ خير الأنام أتىٰ به التنزيل

وبفضله نطق الكتاب ونبأت بصفاته التوراة والانجيل

أسرىٰ به المولىٰ إلى أُفق السما فوق البراق وعنده جبريل

انّ محمّداً المحمود ﷺ هو واسطة الفيض الالهي الذي يغمر البشريّة ومن يرزق الله به عباده صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومن كناه الأُخرىٰ صلوات الله عليه «أبو الطاهر» و «أبو الطيّب فهو الطاهر الطيّب.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾.[١]

وبعد هجرته صلى الله عليه وآله وزواجه من مارية القبطيّة التي انجبت ابنه «ابراهيم» الذي ما لبث أن توفّي أيضاً.

﴿ سَلامٌ عَلىٰ إِبْراهِيمَ ﴾.[٢]

وقد سمّي النبي صلى الله عليه وآله ولده بهذا الاسم احتفاءً باسم جدّه إبراهيم الخليل.

صلّوا علىٰ خير الأنام كرامة وجلالة يا معشر الاسلام
فهو النبيّ المصطفىٰ علم الهدى يا خير من يدعو لسبل قوام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبذكره نشفىٰ من الآلام
صلّى عليه الله ربّي دائماً ما لاح نجم تحت جنح ظلام

يقول صلى الله عليه وآله:

كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاء وَالطّينِ.[٣]

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

نَحْنُ الْآخِرُونَ السّابِقُونَ.[٤]

كان صلى الله عليه وآله أوّل ما خلق الله سبحانه وأوّل الفكر وآخر العمل ابن ابراهيم الخليل وأبو ابراهيم ونبي التوحيد العظيم ومن كناه أيضاً «أبو السبطين» وهما الحسنان عليهما السلام وهو «أبو الأرامل واليتامى» ومن سمي في السماء بأحمد وفي

---

١. سورة الأحزاب: ٣٣. ٢. سورة الصافّات: ١٠٩.
٣. المناقب، ابن شهر آشوب: ١/ ٢١٤؛ بحار الأنوار: ١٦/ ٤٠٣.
٤. المناقب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٦٩؛ كشف الغمة: ١/ ١١.

الأرض محمّد المحمود فيهما إلى الأبد.

أمين مصطفىٰ للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

يقول صلى الله عليه وآله: أنا أشبه الناس بآدم عليه السلام وكان أبي إبراهيم أشبه الناس بي خلقاً وخُلقاً.[١]

يا سيّد الكونين أنت المصطفى يا من به تتشرف الأمصار

صلّى عليك الله في السبع العلا والآل ما عقب الظلام نهار

ومن ألقابه صلوات الله عليه وآله «العاقب» وهو من جاء بعد مسيرة الرسل والأنبياء عبر الأزمان وهو صاحب العاقبة ومن لا يأتي بعده من الأنبياء أحد فهو الخاتم والعاقب.

ومن ألقابه صلّى الله عليه وآله وسلّم «الفاتح» الذي تمّت به كلمة الله سبحانه وهو القائل:

لا نَبِيَّ بَعْدى.[٢]

فهو الفاتح للأولياء والأوصياء من بعده.

ومن ألقابه «الحاشر» ومن يحشر له جميع العالمين عالم البشر وعوالم الكائنات الأُخرىٰ.

وهو «الماحي» الذي يمحو الشرك والوثنيّة ويدعو إلى الدين الحق وينشر عقيد التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى.

---

١. البداية والنهاية: ٦/ ١١، كتاب الشمائل.

٢. وسائل الشيعة: ٢٨/ ٣٣٧؛ من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٦٣.

وهو النبي «العربي» «التهامي» «المكي» «القرشي» «المطلبي» «الهاشمي» «الزهري» وهو المصطفى المختار المرتضى، نبي التوبة ونبي الرحمة ومن أرسله الله رحمة للعالمين.

﴿وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلّٰا رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ﴾.[١]

صلّى الاله على النبي محمّد مبارك الوجه كريم المفخر

الهاشمي القرشي الأزهر صلّى عليه الله منشي الصور

وهو «عبدالله» و«رسوله» أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه.

«الصادق» «الأمين» «المبلغ» لرسالات رب العالمين «المنصور» «المؤيد» «المسدد» «وكلمة الله العليا».

«السراج المنير» «الكوكب الدري» «البشير» «النذير» «رافع لواء الوحدانيّة».

«القانع» «الرائد» «الشاهد» «المتوكّل» «الهادي» «البشير» «المنذر» «سيّد الأوّلين والآخرين» «الرسول الأمين» والسيّد المجاهد وخير الورىٰ الشفيع يوم القيامة وخيرة الخلق أجمعين.

بمكّة قد صار خير الورى المختار

وصاحب الأنوار وعمدة النساك

هذا البشير هذا النذير

هذا هو البدر المنير يا حبّذا بشراك

---

١. سورة الأنبياء: ١٠٧.

صلّوا على خير الأنام المصطفى خير الأنام

يشفع إلى كـلّ الأنـام هـو سـيّد الأفـلاك

في بادية بني سعد

الحمد لله الذي خلق نور محمّد ﷺ قبل الأرواح، وجـعل جسـمه الشـريف أحسن الصور والأشباح، والحمد لله الذي توجّه بتاج النـبوّة والامـامة وشـرّفه بشرف الرسالة والكرامة وشرح صدره بأنوار المحبّة واللطف والكرامة.

وأوضح قلبه دقائق الفهم وعلمه ما لم يعلم، فصلّى الله تبارك وتعالى على النبي الأُمي القرشي المكي الأبطحي الهاشمي؛ الذي لا تحصىٰ مـناقبه ولا تسـتقصى فضائله الذي شاء الله أن يشرق نوره على الدنيا في ربيع الأوّل في عام الفيل.

قال أبو الحسن بن عبدالله البكري (٨٩٩ ـ ٩٥٢ هـ):

«لما تم لمولد النبي ﷺ سبعة أيّام التمسوا له مرضعاً تربيه»[1] وكانت العرب ترحل إلى مكة وتنزل بنواحيها وخرجت حليمة مع نساء من بني سعد يـلتقطون من نبات الأرض ما يقتاتون به، قالت حليمة نقيم اليومين والثلاثة ولم نفطر إلّا على الماء وكنا قد شاركنا المواشي مرعاها؛ وكانت حليمة أطهر نساء بني سـعد فقدّر الله سبحانه أن تكون مرضعاً لنبيه محمّد.

فأقبلت حليمة ومعها بعلها ودخلت مكة وراحت تبحث عن رضـيع تـرضعه

---

١. الأنوار في مولد النبي محمّد: ١٩٤. منشورات المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

شأنها شأن نساء قومها.. وارشدها الله الى عبدالمطلب فقد ولد حفيده قبل أيام.

قال عبدالمطلب: من أين أقبلت؟

قالت: من البادية، قصدنا إلى بلدكم نطلب رضاعة مولود وقد ارشدت اليك.

قال عبدالمطلب: ان عندي مولود لم تلد النساء مثله، غير انه يتيم من أبيه وأنا جده؛ أقوم مقام أبيه وأكثر، فان أردت أن ترضعيه دفعته إليك.

قالت حليمة: يا سيد قريش! ان لي بعلاً فاني راجعة إليه واشاوره.

فقال عبدالمطلب: افعلي ما بدا لك.

واقبلت حليمة فأخبرت زوجها فقال لها: يرجعن نساء بني سعد بالاكرام والانعام وترجعين أنت بصبي يتيم! ولم يقبل أن ترضعه ولما رأت حليمة نساء قومها وقد رجعت كلّ واحدة منهن بمولود ترضعه شق عليها أن ترجع خائبة، فبكت وجرت دموعها فقال زوجها: ارجعي يا حليمة الى هذا الصبي اليتيم وخذيه، فعسى أن يجعل الله فيه خيراً كثيراً.

فان جده مشكور وبالاحسان مذكور.

فرجعت حليمة إلى عبدالمطلب وأخبرته بما قال زوجها، فقام عبدالمطلب وسار معها إلى بيت آمنة وأخبرها وقال لحليمة وهي تضع الصبي بين يديها:

ـ ابشري يا حليمة فانك ستسعدين بهذا المولود.

لك البشرى فطيبي يا حليمة بأحمد صاحب القدر العظيمة

لقد فزت بانعام عميمة وقد أضحت امورك مستقيمة

كفلتي المصطفى الهادي المفدىٰ يضاهي البدر وجهاً إذ تبدى

فخرجت حليمة بمحمد ﷺ وأعطاها عبدالمطلب مالاً وكسوة فلما أقبلت حليمة إلى بعلها رأىٰ نوراً مشرقاً من غرّة الطفل فتعجب من ذلك.

وألقى الله تعالى في قلبيهما الرأفة والمحبّة له فقال عبدالله لزوجه حليمة:

ـ قد فضلنا الله تعالى بهذا المولود.

فلما ارتحلت إلى قومها وركبت على اتان لها قالت: لقد سعدنا بهذا المولود.

فلما وصلت إلى الحيّ رأت آثار بركته، فقد أمطرت السماء في تلك الليلة وأعشبت الأرض بعد القحط.

فلما بلغ الرابعة[1] من العمر كان أكثر ما يسعده أن يرافق أخاه ضمرة واخته الشيماء الى المراعي وكانت الماشية قد سمنت ودرّ لبنها سخياً.

ولما رأت السيدة حليمة انه يرغب في الذهاب مع اخوته ألبسته ثوباً جديداً ووضعت في جيده قلادة فتساءل الصبي بأدب:

ـ ما هذه يا أُمّاه؟!

قالت:

---

١. مكث محمّد ﷺ سنتين كاملتين ترضعه السيدة حليمة السعدية وتحتضنه الشيماء وهو يجد في هواء الصحراء ونسائم البادية ما يضاعف في نموه ويزيده حسناً وبهاءً؛ فلما حان فصاله أخذته السيدة حليمة إلى مكة الّا ان الوباء كان قد عصف بها؛ فخافت السيّدة آمنة على ابنها وذكرى بعلها الفقيد.

وهكذا عادت حليمة تحمل الطفل الكريم ليمضي في بادية بني سعد عامين آخرين ثمّ سنة اخرى ليكمل خمس سنين. تشرّب خلالها لغة العرب فصيحة نقية حتى انه كان يقول لأصحابه:

ـ أنا أعربكم، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر ـ المترجم.

ـ قلادة تحميك من الشرور.

فنزعها الصبي وقال:

ـ ان معي من يحميني.

قالت:

ـ ومن هو؟

قال:

ـ الله الذي خلقني هو من يحميني ويرعاني.

فقبلت السيّدة حليمة الصبي المبارك بحب وقالت انطلق مع اخوتك.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾.[١]

ويعود محمّد ﷺ إلى أحضان أُمّه السيّدة آمنة بعد أن اكمل الخامسة من عمره المبارك ووجد في ظلال جدّه سيّد مكّة كلّ معاني الابوّة والرحمة والحنان.

وكان ذلك الشيخ الوقور يُفرش له في ظلال الكعبة؛ فكان بنوه وهم رجال يجلسون حول الفراش اجلالاً له؛ فاذا جاء حفيده محمد أدناه وأجلسه إلى جانبه وربت على ظهره ويبدي له عميق حبه وحنانه وعطفه[٢] وكان يقول لأبنائه: ان لأبني هذا لشأنا!!

---

١. سورة الضحى: ٦ ـ ٨.

٢. كان أبو لهب الوحيد الذي ينزعج من ذلك ويحاول ابعاد النبي الّا ان أبا طالب كان يردع أخاه القاسي ـ المترجم.

وزاد في اعزاز الجد لحفيده ان السيّدة آمنة وكانت في الثلاثين من عمرها عزمت أن تأخذ ابنها إلى يثرب لزيارة قبر زوجها ولتري ابنها أخوال أبيه من بني النجار فاصطحبت أمّ أيمن معها.

وهنا رأى محمد ﷺ المكان الذي توفي فيه والده والمكان الذي دفن فيه، فكان ذلك أول معنى لليتم ينطبع في نفسه واحساسه المرهف.

ولعل والدته حدثته بقصّة أبيه ورحلته التجارية ثمّ عودته من الشام ومكوثه عند أخواله من بني النجار ثم تدهور صحته ووفاته فيشعر الصبي بلوعه اليتم وهو يصغي إلى حديث والدته، تصف له فضائل والده وسجاياه.

وبعد شهر من الاقامة في يثرب عزمت السيّدة آمنة على العودة إلى مكّة وفي منطقة الأبواء (٢٥كم) في ضواحي مدينة يثرب شاء القدر أن يلمّ بالسيّدة آمنة المرض ليوافيها الأجل؛ حيث دفنت هناك ليفجع الصبي برحيلها ويتضاعف شعوره باليتم.

عاد محمّد ﷺ إلى مكة ليجد جدّه الكريم عبدالمطلب ذلك الشيخ الوقور وهو أكثر حناناً وعطفاً.

بلغ محمّد ﷺ من العمر ثمان سنوات أّما جدّه فقد بلغ الثمانين، فلزم الفراش وعندما شعر بدنو الأجل جمع أبناءه وأوصاهم بتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام والتفت إلى ابنه أبي طالب «عبد مناف» فأوصاه بكفالة ابن أخيه محمد ثمّ نظر إليهم جميعاً وقال:

ـ اني قد خلفت لكم الشرف العظيم الذي تسودون به الناس.

ثمّ أغمض عينيه راحلاً إلى الأبديّة.

وشعر محمّد ﷺ بأن سهماً قد أصاب قلبه المرهف فقد كان يحب جـدّه حـبّاً عظيماً.

وهكذا انتقل الصبي إلى بيت عمّه أبي طالب ليجد في ظلال هذا البيت الكريم الحب والدفئ والحنان؛ وليجد لدى السيّدة فاطمة بنت أسد كلّ مـعاني الأُمـومة والرحمة والعطف.

في ظلال أبي طالب

بالرغم من المستوى الاقتصادي المتواضع لدى أبي طالب حتى يمكن القول أنه كان فقيراً الا انه تزعم قريش وفي هذا سابقة فريدة لأن الثراء عادة هو الذي يصنع الموقع الاجتماعي وحتى السياسي.

وكان ما يتمتع به أبو طالب هو المجد الأخلاقي الرفيع وهالة الفضائل والسجايا الأخلاقيّة التي تحيط شخصيته.

يقول الامام أميرالمؤمنين: انّ أبي ساد الناس فقيراً وما ساد فقير قبله.[١]

وقد غمر أبو طالب ابن أخيه وشقيقه بالعطف والحـنان وكـان يـصطحبه فـي رحلاته.

---

١. تذكر بعض المدوّنات ان محمّداً ﷺ وهو في تلك السن كان اذا جلس إلى المائدة ويمدّ يده إلى الطعام يقول: بسم الله وإذا انتهى قال: الحمد لله وكان عمه لا يأكل حتى يحضر ابن أخيه قائلاً:

ـ لا آكل حتى يأتي ابني!

وكان العم العطوف يرى آثار بركة ابن أخيه في الطعام فيقول له:

ـ يا محمّد انك فتى مبارك ـ المترجم.

وعندما أصبح عمر النبي تسع سنوات عزم أبو طالب على المشاركة في رحلة الصيف التجاريّة إلى الشام وقرر أن يأخذ معه ابن أخيه لما رأى رغبته في مرافقة عمه.

ووصلت القافلة التجارية إلى تخوم بُصرى جنوب الشام للتتوقف عند دير لأحد الرهبان النصارى يدعى «بحيرى» وقد وجد محمّد ﷺ نفسه في عالم جديد حيث التقى الراهب «سيرجيوس» أو بحيرى.

وخلال الطريق كان محمد ﷺ يتأمل الفلوات الشاسعة نهاراً ويحدق في السماء المرصعة بملايين النجوم بعد أن يغمر الليل كلّ شيء بالظلام.

ويذكر بعض رجال الحديث والرواية في كتب السيرة ان الراهب المسيحي كان يراقب الفتى باهتمام وتساءل عن اسمه ونسبه وكان هذا الراهب يعتقد انه سيظهر نبي في بلاد العرب وقد اطلّ زمانه؛ لذلك أوصىٰ أبا طالب أن يحافظ على ابن أخيه لأنه يترقب له النبوّة؛ فقد وجد فيه بعض العلامات التي وصفته بها الكتب السماوية كالتوراة والانجيل؛ لذلك نصحه بالعودة إلى مكة وحذّره من كيد اليهود الذين اسهموا في اعتقال السيّد المسيح وصلبه.

مرحلة الشباب

تذكر بعض المدوّنات ان النبي ﷺ رعى الغنم فقد جاء في الحديث الشريف ان النبي الأكرم ﷺ قال:

مٰا مِنْ نبيٍّ إلّا وَقَدْ رَعىٰ الْغَنَمَ قيلَ وَأَنْتَ يٰا رَسُول الله، فقال: اَنا رَعَيْتُها لِأَهْلِ مَكَّةَ بالْقَرٰاريط.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٦١/ ١١٧.

واتّفق المؤرّخون انّ النبي محمّد ﷺ كان يخطو في مراحل صباه وشبابه الى الامام بخطى واسعة وأصبح في مطلع شبابه شخصيّة مرموقة فقد اجتمعت فيه كلّ الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة؛ ووجد فيه المكيون سيداً من سادات العرب ومرجعاً لحل المشكلات والفصل في النزاعات.

شارك في حرب الفجار التي نشبت بين كنانة وقيس حيث وقف مع عمه أبي طالب مسانداً للمظلومين ضد الظالمين؛ فكان النصر حليف كنانة؛ حتى ان زعيم كنانة قال: «يابن مطعم الطير وساقي الحجيج لا تغب عنّا، فانّا نرى بحضورك الغلبة والظفر، فقال: إذا اجتنبتم الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فاني لا أغيب عنكم فعاهدوه على ذلك.

حلف الفضول

وبعد ان اجتاز النبي محمّد ﷺ العشرين من عمره المبارك شارك في حلف الفضول الذي نص على مناصرة المظلوم ومواجهة العدوان من أي كان؛ فكان حلفاً اخلاقيّاً يتسامى على العصبيّة القبلية.

وبشان هذا الحلف جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ:

ـ «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب لي به حمر النعم ولو دعيت به اليوم لأجبت لا يزيده الاسلام إلّا شدّة».[1]

وقد ترك هذا الحلف انطباعاً طيباً في ذاكرة العرب استمرت إلى ما بعد ظهور

١. شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٢٥ «فضل بني هاشم على بني عبد شمس».

الاسلام[١] حتى انّ جماعة من المخلصين وابان الحكم الاموي الغاسم تمنّوا أن يعود هذا الحلف من جديد الى الحياة؛ وذلك لانسجامه مع غايات الدين الاسلامي الحنيف ومقاصد الشريعة السمحاء.

ويعود فضل التأسيس لهذا الحلف الانساني الأخلاقي الى اسرة بني هاشم وفي طليعتها النبي محمد صلى الله عليه وآله والى عمه أبي طالب رضي الله عنه.

النبي محمّد صلى الله عليه وآله والسيّدة خديجة الكبرى عليها السلام

كانت السيّدة خديجة سيّدة مكّة الاولى راجحة العقل ومن أثرياء مكة وتجارها وكانت تستعين بذي الخبرة في الشؤون التجارية في أعمالها.

واضافة إلى ثرائها فقد كانت السيّدة خديجة على جانب كبير من الأخلاق والصفات الحميدة من نبل وكرم وعفاف.

ولذا وجدت نفسها متأثرة بشخصيّة محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب التي بهرت أهل مكة بمجدها الأخلاقي، فقد عرف النبي آنذاك بـ «الصادق الأمين» فاقترحت عليه أن يذهب في تجارتها إلى الشام، لقاء أجر محدد يعادل ضعف ما كانت تعرضه لغيره.

---

١. جاء في البداية والنهاية ان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان اغتصب أرضاً للامام الحسين عليه السلام مستغلاً سلطته فقال الامام الرحسين مهدداً: اقسم بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثمّ لأقومنّ في مسجد رسول الله وادعو لاحياء حلف الفضول.

ولما شاع حديث الامام الحسين وتفكيره في احياء هذا الحلف وتأييد العديد من الشخصيات لذلك تراجع الوليد وأعاد إليه حقوقه؛ وقد اقلق هذا الحادث معاوية بن أبي سفيان! ـ المترجم.

واستجاب النبي ﷺ لاقتراحها وانطلق إلى الشام مع غلام لها يدعى «ميسرة» كمعاون له في ادارة شؤون القافلة التجاريّة.

وقد نجحت الرحلة نجاحاً باهراً وتعود القافلة تحرسها عناية الله سبحانه وتعالى؛ وعلى مقربة من مكة ترك ميسرة القافلة ليسرع إلى سيدته يقصّ عليها أخبار الرحلة وما شاهده من كرامات محمّد ﷺ المدهشة.

وفي اليوم التالي وصل النبي ﷺ مكة واتّجه مباشرة إلى السيّدة خديجة ليؤدّي الأمانة فاستقبلته بحفاوة بالغة وهنأته بسلامة العودة ونجاح رحلته وشكرت له جهوده.

وقد ترك اللقاء أثره في قلب السيّدة خديجة فباتت تفكر بشأن هذا الانسان النبيل الذي تحيط وجهة هالة من النور.

وروى اليعقوبي في تاريخه عن عمّار بن ياسر تفاصيل ما حدث بعد عودته من الشام، فقد كان النبي ﷺ يتمشى مع صديقه عمار بن ياسر بين جبلي الصفا والمروة وإذا بالسيّدة خديجة واختها «هالة» في الطريق، فجاءت هالة وقالت لعمار: ما لصاحبك حاجة في خديجة؟

فقال: والله لا أدري!

وكان النبي قد تركه يتحدث مع هالة وواصل طريقه، فلحق عمار بالنبي ﷺ وذكر له ما قالته هالة.

ويعرض النبي ﷺ على عمه اقتراح السيدة خديجة فشجعه عمه الكريم لما يعرفه عن شخصية السيّدة خديجة بنت خويلد.

وقد جاء في الحديث الشريف:

حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ.[1]

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.[2]

وتقدّم النبي صلى الله عليه وآله إلى خطبتها ومعه نفر من عمومته وعلى رأسهم شيخ البطحاء أبو طالب الذي قال في خطبته:

«الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم وذرية اسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه.

وان ابن أخي محمد بن عبدالله لا يوازن برجل من قريش إلّا رجح عليه ولا يقاس بأحد إلّا كان أعظم منه، وان كان في المال قل، فان المال رزق حائل وظل زائل؛ وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وصداق ما سألتموه عاجله من مالي وله والله خطب عظيم ونبأ شائع.

وتمّ الزواج وكان زواجاً مباركاً عاشا متحابين متآلفين وصديقين حميمين؛ وقد وقفت السيدة خديجة إلى جانب بعلها وساندته ووضعت كلّ ثروتها تحت تصرّفه وقد انجبت له ستّة أولاد ما بين ذكور واناث، القاسم وكان يكنى به وزينب ورقية وأُمّ كلثوم وعبدالله وفاطمة.

وقد توفي الذكور أطفالاً صغاراً وتوفيت بناته في حياته باستثناء السيّدة

---

١. بحار الأنوار: ٤٣/ ٥١.
٢. بحار الأنوار: ٤٣/ ٥١.

فاطمة الزهراء التي توفيت بعد وفاة أبيها ببضعة أشهر.

توفيت السيدة خديجة قبل هجرته ﷺ بسنة أو سنتين، وقد ظلّ النبي ﷺ وفياً لذكراها؛ ويذكرها فتتجمع الدموع في عينيه، بل ظل على علاقة مع معارفها يرسل لهم الهدايا؛ ما أثار غيرة بعض أزواجه فقد قالت احداهنّ انها كانت عجوزاً وقد أبدلك الله خيراً منها!

فيقول ﷺ: لا والله ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس.

جدير ذكره انه ﷺ لم يتزوّج باخرى في حياتها، فقد كانت رفيقه العمر المخلصة الوفية، التي كانت تغمره بحنانها وتخفف عنه ما كان يعانيه من أذى قومه.

ثلاث سنوات من الحصار امضتها السيدة خديجة داخل شعب أبي طالب فعلت فعلها وتدهورت صحتها الى أن لازمت فراش المرض، منهكة القوى وحيدة الّا من حنان الزوج العظيم والنبي الكريم والانسان الذي بلغ ذروة الانسانيّة.

وفي ذلك البيت المضيء برسالات الله كانت السيّدة خديجة علىٰ موعد مع القدر الالهي فقد آن لتلك الروح أن ترحل إلىٰ بارئها، راحت تنظر إلىٰ زوجها فرأت الحزن في عينيه، حزن الأنبياء المقهورين ودعته بعيينيها فتمتم:

ـ رضي الله عنك يا خديجة.

رفرفت أجنحة الملائكة في فضاء الحجرة الطينيّة، قال رسول الله وآخر الأنبياء في تاريخ الانسان:

ـ هذا جبرئيل قد دخل وانّ الله يقرئك السلام!

أشرقت ابتسامه علىٰ وجهها وقالت بصوت واهن:

اِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ ومِنْهُ السَّلامُ وَإلَيْهِ السَّلامُ وَعَلىٰ جَبْرئيلَ السَّلام.[1]

ثمّ شهدت لله بالوحدانيّة وللنبي محمّد ﷺ بالرسالة وأغمضت عينيها يعرج روحها إلىٰ الرفيق الأعلىٰ.

بناء الكعبة

بلغ محمّد ﷺ الخامسة والثلاثين أو دونها بقليل وفي هذه الفترة اجتمعت زعامات قريش لتقرّر اعادة بناء الكعبة[2] وكان النبي يعمل في نقل الصخور إليها واستمرّت اعمال البناء فيه دون أيّة مشكلة، حتّى إذا حان إعادة الحجر الأسود الى مكانه اندلع نزاع خطير في من يتولّى هذا الشرف العظيم وحدث اصطفاف بين بطون قريش ووصلت الأزمة إلى حافة حرب أهلية.

وتمّ الاتّفاق على تأجيل اعادة الحجر عدّة أيّام للبحث عن حل سلمي للأزمة.

وأخيراً توصلوا الى اتفاق في أن يتحاكموا الى أوّل وافد يدخل المسجد الحرام

---

١. بحار الأنوار: ١٦ /٧؛ تفسير العياشي: ٢ /٢٧٩.

٢. يورد اليعقوبي روايتين في سبب هدم الكعبة واعادة بنائها من جديد، الاولى ان السيول احدثت أضراراً في جدرانها والثانية ان امرأة كانت تجمّر الكعبة فتطاير الشرر منها فأحرق بابها وقد تهيبوا البدء فبادر بعملية الهدم الوليد بن المغيرة إلى ذلك غير انهم عندما انتهوا إلى الاسس وإلى القواعد التي رفعها ابراهيم الخليل وقلعوا منها حجر أعاد الحجر إلىٰ مكانه فتوقفوا عن العمل، ثمّ خرج إليهم ثعبان يحول دون استئناف العمل فاجتمعوا إلى أبي طالب فقال لهم: ان هذا الأمر لا يصلح أن ينفق إلّا من طيب المكاسب فلا تدخلوا فيه مالاً من ظلم أو عدوان.

من باب بني شيبة، فكان أول الوافدين محمّد بن عبدالله فلما رأوه استبشروا وهتفوا جاءكم الصادق الأمين.

وكان الحلّ أن طلب النبي ﷺ منهم احضار قطعة قماش كبيرة، فرشت فوق الأرض يوضع في وسطها الحجر الأسود ثمّ يمثل كلّ قبيلة شخص يمسك بطرف من القماش ثمّ يقوم الجميع برفعها إلى محاذاة مكانه.

واستصوب الجميع هذا الحل واختارت كلّ قبيلة رجلاً يمثلها فأخذوا بأطراف قطعة القماش ورفعوها إلى مكانه فأخذ النبي الحجر الأسود ووضعه في مكانه واستأنفوا العمل في استكمال البناء.

وهكذا انقذ النبي أهل مكة من حرب أهليّة لتعود أجنحة السلام ترفرف فوق ذلك الوادي المقدس.

وقد اثارت حكمة النبي ﷺ في حل الأزمة اعجاب قبائل قريش وبطونها فلو لا حكمته لسالت دماء كثيرة وانتهكت حرمة البيت الحرام.[1]

تشاجرت الاخيار في فصل خطة جرت بينهم بالنحس من بعد اسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة واوقد ناراً بينهم شر موقد

---

١. لقد أثارت حكمة النبي ﷺ في حل الأزمة اعجاب مؤرخي الغرب يقول أحدهم: «ولقد راح بعض المستشرقين يعلق على هذا الحادث تعليقات مليئة بالتقدير والاعجاب لهذه الشعلة العبقريّة المتوقدة التي مكنت محمداً من تفهم الموقف بسرعة بالغة حيث اقترح هذه الفكرة وتمكن من ارضاء جميع زعماء قريش».

افسطينوس موللر، الاسلام: ٤٧ بالاستناد إلى العماد مصطفى اطلاس، رسالة الاسلام، الكتاب الأول، محمد رسول الله: ١٤٩، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق ـ سوريا ـ المترجم.

فلما رأينا الأمر قد جدّ جدّه ولم يبق شيء غير سلّ المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع يجيء من البطحاء في غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد فقلنا رضينا بالأمين محمد

نداء جبرئيل

لا توجد حادثة على مدى التاريخ البشري الطويل ترقى إلىٰ مستوى هذه الحادثة الكبرى في عظمتها وبركاتها.

كان محمّد بن عبدالله ﷺ قد بلغ الأربعين وما انفك يذهب إلىٰ جبل حراء في ضواحي المدينة المقدّسة، يقطع كلّ هذه المسافات ثمّ يصعد الجبل (جبل حراء) ليأوي إلى غار في السفوح.

كان يفكر وكان يتأمل في الأرض وفي السماء في الآفاق وفي الأعماق وفي ما حوله باحثاً عن الحقيقة، فسطع سرّ الوجود في أعماقه.

وذات يوم (٢٧ رجب ٦١٠م) وفيما كان محمّد عليه السلام غارقاً في تأملاته وقد غمر الوجود صمت مهيب اذا به يسمع نداءً عظيماً:

ـ اقرأ!

﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.[1]

١. سورة العلق: ١ ـ ٥.

وتنفذ كلمات السماء في قلبه فتضيء نفسه بنور الله ثمّ سمع النبي ﷺ الملاك يخاطبه:

ـ يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل!

ويهبط النبي من سفوح جبل حراء أو جبل النور حاملاً رسالة الله الأخيرة.

فاستقبلته زوجته ورفيقة دربه وما أن أخبرها بما جرى حتى صدّقته وصدّقت رسالته.

وكيف تتردّد في صدقه وقد عاشت معه أكثر من خمسة عشر عاماً، لم تر في سيرته شائبة واحدة كان باراً باليتامى والمساكين يساعد البؤساء والمحتاجين وكان يفك ديون الغارمين.

ومن المؤسف أن بعض أرباب السير يذكرون روايات تاريخية تتحدث عن تردد النبي ﷺ وانه لم يكن واثقاً بأن جبرئيل قد جاءه بالرسالة، وان السيّدة خديجة استعانت بورقة بن نوفل، الذي كان يدين بالنصرانيّة وقرأ الكتب السماويّة فطمأنه وأكد له انه نبي هذه الامة!

ان كلّ هذا لا يليق بالنبي الأكرم ﷺ وشخصيته العظيمة.

رواية الامام الحسن العسكري عليه السلام

جاء في تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام حول بعثة الرسول الأكرم ﷺ ما يلي:

قَالَ عَلِيُّ (الهادي) بْنُ مُحَمَّدٍ الجواد عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تَرَكَ التِّجَارَةَ إِلَى

الشَّامِ وَتَصَدَّقَ بِكُلِّ مَا رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ تِلْكَ التِّجَارَاتِ كَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى حِرَاءَ يَصْعَدُهُ وَيَنْظُرُ مِنْ قُلَلِهِ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ وَإِلَى أَنْوَاعِ عَجَائِبِ رَحْمَتِهِ وَبَدَائِعِ حِكْمَتِهِ وَيَنْظُرُ إِلَى أَكْنَافِ السَّمَاءِ وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالْبِحَارِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْفَيَافِي فَيَعْتَبِرُ بِتِلْكَ الْآثَارِ وَيَتَذَكَّرُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ وَيَعْبُدُ اللهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَنَظَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى قَلْبِهِ فَوَجَدَهُ أَفْضَلَ الْقُلُوبِ وَأَجَلَّهَا وَأَطْوَعَهَا وَأَخْشَعَهَا وَأَخْضَعَهَا أَذِنَ لِأَبْوَابِ السَّمَاءِ فَفُتِحَتْ وَمُحَمَّدٌ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَأَذِنَ لِلْمَلَائِكَةِ فَنَزَلُوا وَمُحَمَّدٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ أَمَرَ بِالرَّحْمَةِ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنْ سَاقِ الْعَرْشِ إِلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ وَغُرَّتِهِ وَنَظَرَ إِلَى جَبْرَئِيلَ الرُّوحِ الْأَمِينِ الْمُطَوَّقِ بِالنُّورِ طَاوُسِ الْمَلَائِكَةِ هَبَطَ إِلَيْهِ وَأَخَذَ بِضَبْعِهِ وَهَزَّهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! اقْرَأْ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! ﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْعُلُوِّ وَنَزَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْجَبَلِ وَقَدْ غَشِيَهُ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللهِ وَوَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ كَبِيرِ شَأْنِهِ مَا رَكِبَهُ الْحُمَّى وَالنَّافِضُ يَقُولُ وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ مَا يَخَافُهُ مِنْ تَكْذِيبِ قُرَيْشٍ فِي خَبَرِهِ وَنِسْبَتِهِمْ إِيَّاهُ إِلَى الْجُنُونِ وَأَنَّهُ يَعْتَرِيهِ شَيَاطِينُ وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ أَعْقَلَ خَلْقِ اللهِ وَأَكْرَمَ بَرَايَاهُ وَأَبْغَضَ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَأَفْعَالُ الْمَجَانِينِ وَأَقْوَالُهُمْ فَأَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ وَيُشَجِّعَ قَلْبَهُ فَأَنْطَقَ اللهُ الْجِبَالَ وَالصُّخُورَ وَالْمَدَرَ وَكُلَّمَا وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا نَادَاهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ فَضَّلَكَ وَجَمَّلَكَ وَزَيَّنَكَ وَأَكْرَمَكَ فَوْقَ الْخَلَائِقِ

أَجْمَعِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لا يَحْزُنُكَ أَنْ تَقُولَ قُرَيْشٌ إِنَّكَ مَجْنُونٌ وَعَنِ الدِّينِ مَفْتُونٌ فَإِنَّ الْفَاضِلَ مَنْ فَضَّلَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالْكَرِيمَ مَنْ كَرَّمَهُ خَالِقُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ فَلا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ مِنْ تَكْذِيبِ قُرَيْشٍ وَعُتَاةِ الْعَرَبِ لَكَ فَسَوْفَ يَبْلُغُكَ رَبُّكَ أَقْصَى مُنْتَهَى الْكَرَامَاتِ وَيَرْفَعُكَ إِلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ وَسَوْفَ يُنَعِّمُ وَيُفَرِّحُ أَوْلِيَاءَكَ بِوَصِيِّكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَسَوْفَ يَبُثُّ عُلُومَكَ فِي الْعِبَادِ وَالْبِلادِ بِمِفْتَاحِكَ وَبَابِ مَدِينَةِ حِكْمَتِكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَسَوْفَ يُقِرُّ عَيْنَكَ بِبِنْتِكَ فَاطِمَةَ وَسَوْفَ يُخْرِجُ مِنْهَا وَمِنْ عَلِيٍّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسَوْفَ يَنْشُرُ فِي الْبِلادِ دِينَكَ وَسَوْفَ يُعَظِّمُ أُجُورَ الْمُحِبِّينَ لَكَ وَلِأَخِيكَ وَسَوْفَ يَضَعُ فِي يَدِكَ لِوَاءَ الْحَمْدِ فَتَضَعُهُ فِي يَدِ أَخِيكَ عَلِيٍّ فَيَكُونُ تَحْتَهُ كُلُّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ وَشَهِيدٍ يَكُونُ قَائِدَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فَقُلْتُ فِي سِرِّي يَا رَبِّ مَنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا وُلِدَ عَلِيٌّ عليه السلام وَهُوَ طِفْلٌ أَهُوَ وَلَدُ عَمِّي وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا تَحَرَّكَ عَلِيٌّ وَلِيداً وَهُوَ مَعَهُ أَهُوَ هَذَا فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْ ذَلِكَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِيزَانُ الْجَلالِ فَجُعِلَ مُحَمَّدٌ فِي كِفَّةٍ مِنْهُ وَمُثِّلَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام وَسَائِرُ الْخَلْقِ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي كِفَّةٍ فَوُزِنَ بِهِمْ فَرُجِّحَ ثُمَّ أُخْرِجَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْكِفَّةِ وَتُرِكَ عَلِيٌّ فِي كِفَّةِ مُحَمَّدٍ الَّتِي كَانَ فِيهَا فَوُزِنَ بِسَائِرِ أُمَّتِهِ فَرُجِّحَ بِهِمْ وَعَرَفَهُ رَسُولُ اللهِ بِعَيْنِهِ وَصِفَتِهِ وَنُودِيَ فِي سِرِّهِ يَا مُحَمَّدُ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَفِيِّيَ الَّذِي أُؤَيِّدُ بِهِ هَذَا الدِّينَ يُرَجِّحُ عَلَى جَمِيعِ أُمَّتِكَ بَعْدَكَ فَذَلِكَ حِينَ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي

بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَخَفَّفَ عَنِّي مُكَافَحَةَ الْأُمَّةِ وَسَهَّلَ عَلَيَّ مُبَارَزَةَ الْعُتَاةِ الْجَبَابِرَةِ مِنْ قُرَيْشٍ.[١]

رسالة الاسلام

وببعثة النبي صلى الله عليه وآله تمّت رسالات الله وكانت رسالة الاسلام هي الرسالة الأخيرة، فالاسلام هو دين الفطرة البشريّة:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.[٢]

والتعاليم الاسلاميّة تعاليم عالية سامية تشمل الناس جميعاً لأنّه لا تبديل لخلق وفطرتهم، وهي تعاليم عقلانيّة أيضاً تزخر بالحكمة الخالدة؛ فالقرآن الكريم يزخر بالدعوة إلى التفكير العقلي وتحصيل الحكمة ويعدّ اسم «الحكيم» من أبرز الصفات الفعليّة للحق تبارك وتعالى.

وخلاصة القول ان البشر قد جبل في تكوينه على البحث عن الطمأنينة والسعادة والسلام؛ وهذا يقتضي أن يحيط الانسان بنزعاته وأن يعي غاياته، لذلك يتعيّن علينا أن نسلك الطريق الصحيح والّا نضيع في متاهات الحياة.

وهنا تبرز الحاجة إلى «الدليل» الذي يقود الناس إلى جادة الصواب ويسلك بهم الطريق المستقيم.

لذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله امته بالتمسّك بشيئين لا يفترقان أبداً وهما التمسّك

---

١. بحار الأنوار: ٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧.
٢. سورة الروم: ٣٠.

بالقرآن الكريم وبأهل البيت الكرام عليهم السلام فالنبي صلى الله عليه وآله والامام المعصوم من بعده هو الدليل على ارادة الله تبارك وتعالى وهو الهادي يقود الناس إلى الحق والخير والكمال[١].

وعلى المسلم المعاصر اليوم أن يلتزم بتعاليم الاسلام يتلقاها من نبعها الصافي العذب وأن يرتفع بأخلاقه وسلوكه الى مستوى الالتزام بتعاليم الاسلام وقيمه الأخلاقيّة والانسانيّة الرفيعة.

لقد ظهرت رسالة الاسلام في عصر كان يعيش فيه الناس الجاهليّة بكلّ أنواعها من انحطاط فكري وأخلاقي، فالناس كانوا يعبدون أوثاناً حجريّة وأوثاناً بشريّة، وكان العالم بأسره غارقاً في الشرك والعقائد الضالّة، والمجتمعات البشريّة خاضعة لسطوة الطغاة والجبابرة؛ ونيران الحروب متأججة هنا وهناك والصراعات محتدمة ثمّ سطع النور من غار حراء وفاض على جزيرة العرب لينتشلها من ظلمات الجاهليّة إلى نور الاسلام.

واليوم عادت الجاهليّة من جديد وظهرت الوثنيّة وعبادة الأصنام البشريّة ووصل الانحطاط والسقوط الأخلاقي إلى مستويات مخيفة ومقلقة.

واشتعلت نيران الحروب هنا وهناك وظهرت الفتن الطائفيّة وفقدت مناطق واسعة من العالم الاسلامي نعمة الأمن والاستقرار.

---

١. لقد تعددت نسخ الاسلام وظهرت «اسلامات» متناقضة وبعضها نسخ في غاية البشاعة تشكل خطراً على الانسانية جمعاء كما نلاحظ اليوم في تشكيلات «داعش» و «النصرة» التي شوهت صورة الاسلام المشرقة.

لذلك فان الاسلام الأصيل يكمن في مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يتمسّك بوصيّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوّة ـ المترجم.

لذا يتعيّن على كلّ من يحمل هموم الدعوة إلى الحق والخير والكمال أن ينهض بمسؤوليّته ويقوم من خلال ما يتاح له من امكانات ووسائل أن يجسّد قيم الاسلام العليا من خلال سلوكه وتعامله وسيرته وأن يمهّد الطريق إلى تحقّق وعد الله تبارك وتعالى في نصرة رسوله ورسالته:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.[١]

ان الاسلام الحنيف هو دين الله الحق الذي يرسم لابناء البشر وللانسانيّة جمعاء الطريق إلى التكامل وبلوغ الهدف المنشود.

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾.[٢]

ينبغي بيان صورة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الحقيقيّة وسيرته المشرقة من أجل تقديم القدوة الحقيقيّة لجميع البشر:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَاللهَ كَثِيراً ﴾.[٣]

وجاء في الحديث الشريف:

مَنْ اَحْيىٰ سُنَّتي فَقَدْ أَحَبَّني وَمَنْ أَحَبَّني كانَ مَعي فِى الجنَّةَ.[٤]

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

---

١. سورة التوبه: ٣٣.
٢. سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.
٣. سورة الأحزاب: ٢١.
٤. ضعفاء العقيلى: ٢ /٣؛ ميزان الاعتدال: ١ /٦٢٧.

اني لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت خلّة من خلال رسول الله ﷺ لم يـأت بها.(١)

وجاء في الحديث الشريف:

خَيْرُ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.(٢)

أدَّبَنى رَبّى فَأحْسَنَ تَأْديبى.(٣)

أخلاق النبي ﷺ في القرآن الكريم

بيّن القرآن الكريم في العديد من آياته أخلاق رسول الله ﷺ ورسم له صورة بهية متألقة في وجدان الانسان:

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِـنْ حَوْلِكَ ﴾.(٤)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.(٥)

﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.(٦)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾.(٧)

﴿ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ

---

١. بحار الأنوار: ٦٧/٧٣؛ وسائل الشيعة: ١٣/٢١.
٢. بحار الأنوار: ١٣٥/٧٤؛ تفسير القمى: ٢٩٠/١، خطبة النبى ﷺ.
٣. بحار الأنوار: ٣٨٢/٦٨؛ شرح نهج البلاغة ابن ابى الحديد: ٢٣٣/١١.
٤. سورة آل عمران: ١٥٩.
٥. سورة القلم: ٤.
٦. سورة آل عمران: ٣١.
٧. سورة الأعراف: ١٩٩.

﴿ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.[١]

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ﴾.[٢]

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ ﴾.[٣]

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.[٤]

﴿ ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.[٥]

أخلاق النبي الأكرم ﷺ في الروايات

روى الشيخ المفيد عن الامام محمّد الباقر عليه السلام انّ رسول الله ﷺ قال قبيل وفاته:

لانَبِيَّ بَعْدى ولا سُنَّةَ بَعْدَ سُنَّتى.[٦]

وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ:

أكْرِمُوا أوْلادى وَحَسِّنُوا آدابى.[٧]

وقال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

---

١. سورة النحل: ٩٠.
٢. سورة النحل: ١٢٧.
٣. سورة لقمان: ١٧.
٤. سورة المائده: ١٣.
٥. سورة فصّلت: ٣٤.
٦. بحار الأنوار: ٢٢ /٤٧٥؛ مستدرك الوسائل: ١٨ /١٧٢.
٧. مستدرك الوسائل: ١٢ /٣٧٦؛ جامع الأخبار: ١٤٠.

فَاقْتَدُوا بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّها أَشْرَفُ السُّنَنِ.(١)

وقال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَقْطَبِ الْأَقْطَهَرِ ﷺ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ وَلَقَدْ كَانَ ص يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً وَلا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً وَلا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ص مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ

١. تحف العقول: ١٤٩؛ الخطبة المعروف بالديباج؛ بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٩٢.

الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ وَإِلّا فَلا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ص عَلَماً لِلسَّاعَةِ وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ.[١]

وكان رسول الله ﷺ طالما يتضرّع إلى الله عزّوجلّ ويدعوه بحسن الخلق:

اَللّهُمَّ حَسِّنْ خَلْقِي وَخُلُقِي، اللّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلاقِ.[٢]

ولقد بهر رسول الله ﷺ كلّ من رآه بأخلاقه الرفيعة؛ أمّا الذين لم يعاصروه ويتساءلون عن سيرته وأخلاقه صلوات الله عليه؛ فانّ صورته وسيرته تتألّق بين آيات القرآن الكريم.

يقول سعيد بن هشام سألت زوج رسول الله ﷺ عن خلقه فقالت:

ألا تقرأ القرآن؟!

قلت: بلى، قالت: كان خلقه القرآن.[٣]

سفانة بنت حاتم الطائي

وقعت هذه المرأة في أسر قوّات الاسلام بقيادة الامام علي عليه السلام عام ٩ هـ فيما تمكّن أخوها عدي بن حاتم من الفرار ومعه أسرته!

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٩.

٢. المحجة البيضاء: ٤/١١٩؛ فيض القدير: ٢/١١٠.

٣. المستدرك على الصحيحين: ٢/٦١٣.

وضعت «سفانة» في المكان الذي يوقع فيه الأسرىٰ، جلست مستسلمة لقدرها، لم تفقد وقارها الذي زاد في نفوس من يراها احتراماً كانت تنتظر مجيء النبي صلى الله عليه وآله للصلاة، فمرّ بها قبيل انتصاف النهار وعندما رأته نهضت وقالت:

ـ يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك!

قال النبي صلى الله عليه وآله: ومن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم.

قال صلى الله عليه وآله: الفار من الله ورسوله؟!

ومضى النبي في طريقه إلى المسجد.

وفي اليوم التالي جاء النبي صلى الله عليه وآله ومرّ بها فاكتفت بالنظر إليه لكنّها لمحت الامام علي عليه السلام يشير إليها أن قومي فكلّميه فنهضت وقالت:

ـ يا محمّد! ان رأيت أن تخلّي عنّي ولا تشمت بي أحياء العرب فانّي ابنة سيّد قومي وأن أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرّج عن المكروب ويطعم الطعام ويعين على نوائب الدهر ولم يرد طالب حاجة قط.. أنا ابنة حاتم الطائي!

قال النبي صلى الله عليه وآله: يا جارية! هذه صفة المؤمن حقّاً، ولو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه.

التفت النبي صلى الله عليه وآله إلى عليّ وقال له:

ـ خلّوا عنها، فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق.

ثمّ قال لسفّانة:

ـ لا تعجلي حتّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك.

وأقامت سفّانة ضيفة كريمة تنتظر أحد الثقاة من قبيلتها ليصطحبها إلى بلادها، وكان النبي ﷺ قد وهبها نفقة السفر وأمر بتجهيزها.[١]

النبي الأكرم ﷺ صورة مشرقة وسيرة عطرة

تألّقت شخصيّة النبي ﷺ قبل البعثة بأكثر من عشرين سنة وفي مجتمع كان يموج بالرذائل ويعاني من انحطاط أخلاقي وثقافي.

كان ﷺ الصادق الأمين، كان في مطلع شبابه انساناً نبيلاً حكيماً سمحاً كريماً يتدفّق حناناً على الفقراء والبؤساء.

وعندما بعثه الله رسولاً رحمة للعالمين كان النبض الحي للفكر الاسلامي وكانت كلماته وأحاديثه وخطبه ترجمة لبيان الرسالة، وكان خلقه الكريم وسجاياه تجسّد آيات القرآن الكريم.

فكانت حياته اليوميّة صورة صادقة للتعاليم الاسلاميّة.[٢]

يقول أنس بن مالك: لم يدع رسول الله ﷺ نصيحة جميلة إلّا وقد دعانا إليها

---

١. مستدرك الوسائل: ١١/ ١٩٣ ـ ١٩٤؛ المحجة البيضاء ٤/ ١٢١.

٢. يقول أحد المستشرقين «إدوارد مونتيه» في كتابه «محمّد والقرآن» ان طبيعة محمّد الدينيّة تدهش كلّ باحث مدقق نزيه المقصد لما يتجلّى فيها من شدّة الاخلاص، فقد كان محمّد مصلحاً دينيّاً ذا عقيدة راسخة ولم يقم إلّا بعد أن تأمّل كثيراً وبلغ سنّ الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع الأنوار الانسانيّة في الدين.
محمد شريف الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقيّة المنصفة: ٢٦٥ ـ المترجم.

وأمرنا بها ولم يدع غشاء (أو عيباً) ولا شيناً إلّا حذّرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كلّه هذه الآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلِاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

وقال معاذ بن جبل: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ أوصيك باتّقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الايمان والتفقّه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإيّاك أن تسبّ حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي اماماً عادلاً.[2]

وعن الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً، ولا يخشىٰ عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الاخلاق فانها ممّا تدلّ علىٰ سبيل النجاة.

فقال له رجل: اسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال عليه السلام: نعم وما هو خير منه، لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمّد إن رأيت أن تخلّي عنّي ولا تشمت بي أحياء العرب، فانّي بنت سيّد قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يردّ طالب حاجة قطّ أنا ابنة حاتم طي.

---

١. سورة النحل: ٩٠.
٢. المحجّه البيضاء: ٤/١٢٢، اخلاق النبوّة.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فانّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق وان الله يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة بن دينار فقال: يا رسول الله! الله يحبّ مكارم الأخلاق؟ فقال صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنّة إلّا حسن الأخلاق».[1]

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

انّ الله تعالى حفّ الاسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.[2]

ومن خلال الروايات التاريخيّة التي جمعها أرباب السير ترتسم صورة مشرقة مضيئة متألّقة لرسول الانسانيّة والسلام؛ فقد كان رسول الله أحلم الناس وأشجع الناس واعدل الناس وأعفّ الناس لا يسأل أحد منه شيئاً إلّا أعطاه.

وكان يخصف النعل ويرقّع الثوب ويخدم في مهنة أهله.

أشدّ الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة الحرّ والعبد ويقبل الهدية ولو أنّها جرعة لبن، ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين.

يغضب لربه عزوجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه.

عُرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلّة وحاجة إلى انسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: لا أستنصر بمشرك.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع لم يشبع من خبز بر (قمح) ثلاثة أيّام

---

١. المحجّة البيضاء: ٤/١٢٢.
٢. المحجّة البيضاء: ٤/١٢٣ ـ ١٢٤.

متوالية حتّى لقي الله عزّوجلّ إيثاراً علىٰ نفسه لا فقراً ولا بخلاً.

يعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي بين أعدائه وحده بلا حارس، أشدّ الناس تواضعاً وأسكتهم في غير كبر وأبلغهم من غير تطويل.

يركب ما أمكنه مرّة فرساً ومرّة بعيراً ومرّة بغلة شهباء ومرّة حماراً، ومرّة يمشي حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة.

يعود المرضى في أقصى المدينة، يحبّ الطيب، ويكره الروائح الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين.

يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرّ لهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

يمزح ولا يقول إلّا حقا ويضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره وترفع الأصوات عليه فيصبر.

جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامّة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجبل والصحاري والقفر، وفي رعاية الغنم لا أب له ولا أم، فعلّمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأوّلين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا.

وجاء أيضاً:

ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة وما لعن امرأة ولا خادماً بلعنة وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم (أعداءه) يا رسول الله! فقال: إنّما بعثت رحمة مهداة، لم أبعث لعّاناً.

قال أنس: والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء كرهه: لم فعلته؟ ولا لامني أحد من اهله إلّا قال: دعوه إنّما كان هذه بكتاب وقدر.

وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه، في السِفر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح؛ مولده بمكه وهجرته بطابة (طيبة).

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، وما أخذ أحد بيده (يصافحه) فيرسل يده حتى يرسلها الآخر؛ وكان اذا لقي احداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثمّ اخذ بيده فشابكه ثمّ شدّ قبضته وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلّي إلّا خفّف صلاته وأقبل عليه (بوجهه) فقال: ألك حاجة؟ فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته.

يجلس حيث ما انتهى به المجلس، يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه له ويؤثره بالوسادة التي تحته.

يقسم نظراته على الجالسين دون تمييز لأحد تسود مجلسه حالة من الوقار والحياء والأمانة والتواضع.

قال تعالى:

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾.[1]

يدعو أصحابه بكناهم اكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكنّيّ من ليس له كنية.

وكان يكنّيّ النساء اللاتي لهنّ أولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهنّ الكنى

---

١. سورة آل عمران: ١٥٩.

وكان يكنّيّ الصبيان.

وكان إذا قام من مجلسه قال: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

ثمّ يقول: علمنيهنّ جبرائيل.

كان أوجز الناس كلاماً، وكان مع الايجاز يجمع كلّ ما أراد، لا فضول ولا تقصير في كلامه يتبع بعضه بعضاً جهير الصوت أحسن الناس نغمة.

كان طويل السكوت لا يتكلّم في غير حاجة، كان أكثر تبسّماً في وجوه أصحابه وربما ابتسم ابتسامة عريضة حتى تبدو نواجذه فاقتدى به أصحابه الأتقياء فكان ضحكهم تبسماً.[1]

وتنتهي الكلمات يا رسول الله أما أنت فلا نهاية لمجدك.

---

١. ورد في سيرته صلوات الله عليه ان رجلاً من أعراب البادية جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأراد أن يسأله شيئاً فحذّره بعض الصحابة من الاقتراب منه، فقد كانت ملامح وجهه متغيّرة أي انه في حالة ليست عادية!

فقال الأعرابي: دعوني! والذي بعثه بالحقّ نبيّاً لا أدعه حتّى يتبسّم!

فاقترب من النبي صلى الله عليه وآله وقال له:

ـ يا رسول الله! بلغنا ان المسيح (الدجّال) يأتي على الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً؛ افترى لي بأبي أنت وأُمي أن أكفّ عن ثريده تعفّفاً وتنزّهاً حتّى أهلك جوعاً أم أضرب في ثريده حتى اذا شبعت آمنت بالله وكفرت به؟!

فابتسم رسول الله ابتسامة عريضة حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: لا، بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين. المحجّة البيضاء ٤/ ١٣٤ ـ المترجم.

رسول الرحمة

بعث الله تبارك وتعالى محمّد رحمة للعالمين.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.[١]

بعثه الله سبحانه والعالم غارق في الجهل والجاهليّة والظلم والظلام.

يعتدي القوي على الضعيف ويدفن بعضهم أطفالهم أحياءً إذا كنّ اناثاً.[٢]

وكانت الغارات من أجل النهب والسلب ظاهرة عادية في شبه الجزيرة العربيّة.

وكان الأثرياء يتحكّمون بمصير الفقراء ويتدخّلون في كلّ صغيرة وكبيرة من حياتهم ويحدّدون عقائدهم فساقوهم باتجاه الوثنيّة والشرك وعبادة الأصنام وكانت المجتمعات العربيّة على حافة الجحيم.

﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾.[٣]

---

١. سورة الأنبياء: ١٠٧.

٢. يقول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في بلاط نجاشي الحبشة وكان الأخير سأل: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني؟

فقال جعفر الطيّار رضي الله عنه:

كنّا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف؛ فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة.

هاشم معروف الحسني سيرة المصطفى: ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ المترجم.

٣. سورة آل عمران: ١٠٣.

وفي تلك الظلمات المتكاثفة المتراكمة أشرق النور الالهي فوق جبل حراء وبعث محمّد بن عبدالله رسولاً ونبيّاً ورحمة للعالمين جميعاً.

وجاء يحمل البشارة للعالم بالسعادة في الدارين.

يقول صلى الله عليه وآله:

فَإِنّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.[١]

أجل جاء يحمل الخير والنور والمحبّة والسلام.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.[٢]

وعندما أشرق صلى الله عليه وآله أشرق نور الفكر والمعرفة وتألقت شمس الأخلاق والقيم الانسانيّة وتبددت ظلمات الجهل وانقشعت سحب الظلم والظلام وولد مجتمع جديد ينعم بالأمن والاستقرار والاخوة الايمانيّة والعلاقات الطيّبة ويرفل بالمحبّة وكانت تحيّة أفراده السلام.[٣]

---

١. بحار الأنوار: ١٨ /١٩٢؛ الأمالى، شيخ طوسى: ٥٨٣.

٢. سورة آل عمران: ١٦٤.

٣.

وأشرقت فاهتزّت نواويس في الدجى ... وأوشك موتى أن يهبّوا وينشروا

نبي الهدىٰ يا نفحة الله للورى ... ويا خير ما جاء الزمان المقترُ

إذا ما افتخرنا كنت للفخر أوّلاً ... وإن جاءنا نصر فذاكرك تنصرُ

ولولاك ما اندكّت عروش ولا هوى ... صليب على كفيه كنّا نسمّرُ

ويا مولد المختار ميلاد امة ... وميعاد بعث أنت فيها مقدّرُ

أجل كان العالم قبل بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ضلال مبين وفي ضياع وتيه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ ـ يتلو آيات الله؛

٢ ـ ويزكّيهم؛

٣ ـ ويعلّمهم الكتاب والحكمة.

الانسان يعيش في غفلة عن الله الواحد الأحد وعن المعرفة الحقّة وعن نفسه أيضاً لا يفكر بالمصير ولا يعرف أين يسير، غارق في مستنقع الشهوات وبات أسيراً لغرائز الحيوانات، قد تسلّط الشيطان على روحه وفكره وعقله فهو والميت سواء.

الرسالة الخالدة

جاء رسول الله خاتم الأنبياء ليوقظ العقول من سباتها والضمائر من غفلتها لينطلق الانسان في عالم رحب من المعرفة المشرقة.

وأنزل الله قرآنه العظيم فيه آيات تتحدّث عن:

١ ـ الطبيعة وآفاقها؛

➲ نبي الهدى عذرا إذا الشعر خانني ولكنّة قلبي بما فيه يقطرُ
نبي الهدى كن لي لدى الله شافعاً فاني ككل الناس عان محيّرُ
تمرّست بالآثام حتّى تهدّمت ضلوعي وحتى جنتي ليس تثمرُ
ولكنّ من ينجده طه فقد نجا ومن يهده والله هيهات يخسرُ

ديوان بدر شاكر السباب: ٢ / ٥٧٥ ـ ٥٧٧ ـ المترجم.

٢ ـ النفس وأعماقها؛

٣ ـ عن شريعة الاسلام ومكنوناتها.

آيات الآفاق

وما أكثرها وأوسعها وبالغ تأثيرها:

﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ ﴾.[١]

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَٱلسَّماءِ وَمَا بَنَاهَا * وَٱلأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾.[٢]

﴿ وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾.[٣]

﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَىٰ ٱلإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾.[٤]

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾.[٥]

﴿ وَٱلسَّماءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾.[٦]

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّماءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ

---

١. سورة الليل: ١ ـ ٣.
٢. سورة الشمس: ١ ـ ٧.
٣. سورة الفجر: ١ ـ ٤.
٤. سورة الغاشيه: ١٧ ـ ٢٠.
٥. سورة الأعلى: ٢ ـ ٥.
٦. سورة الطارق: ١ – ٢.

لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَامَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾.[1]

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَاداً * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾.[2]

ظاهرة الحياة

ظاهرة الحياة في هذا الكوكب وظهور أنواع الكائنات من جمادات ونباتات وحيوانات وكائنات، لا يمكن أن ترىٰ ممّا يفوق أعدادها تصوّر البشر، هذه الظواهر المحيّرة، ألا تدعو العقل البشري إلىٰ أن يتأمّل ويفكّر؟ أليس الانسان مدعوّ إلىٰ التأمّل في ما حوله من ظواهر الوجود وآثار الخلق.

ولعلّ سائل يسأل ما هي العلاقة بين الدراسات الغربيّة وكشوفاته العلميّة بالقرآن الكريم؟ والجواب أنّ الغرب إلىٰ خمسمئة عام مضت كان يعيش في ظلام العصور الوسطىٰ وإن ما حصل من نهضة علميّة وفكريّة وثقافيّة إنّما كان بسبب ثقافة الاسلام وحضارته.

فكلّ ما أبدعه الغرب إذا ما تأمّلنا فيه نجد له جذوراً في ما انتجه علماء المسلمين في العديد من حقول العلم والمعرفة.

---

١. سورة النازعات: ٢٧ – ٣٣.
٢. سورة النبأ: ٦ ـ ١٦.

يقول البروفيسور رذرفورد:

بعد قرون من البحث والتنقيب والدراسات العميقة حول ظهور الحياة علىٰ سطح الكرة الأرضيّة توصّلنا إلىٰ حقيقة مثيرة جداً أكثر اثارة من نظريّة داروين التي تفيد بأنّ الانسان ينحدر من القرد!

انّ الدراسات العلميّة استطاعت في النهاية حل اللغز المحيّر وهي ان بداية ظهور البشريّة وجميع الكائنات الحيّة كانت قعر مياه البحار.[١]

وقد مرّت الاشارة إلى هذا الموضوع في خطبة للامام أميرالمؤمنين عليه السلام جاء فيها: «ورمىٰ بالزبد ركامه».[٢]

السماوات والأرض

قال تعالىٰ في محكم كتابه العزيز:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾.[٣]

﴿وَٱللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[٤]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة الأُولىٰ.

٢. دانستنی های جهان (المعارف العالميّة): ١١.

٣. سورة الأنبياء: ٣٠.

٤. سورة النور: ٤٥.

جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾.[١]

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم * مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.[٢]

أجل انّ أوّل أهداف الرسالة المحمّديّة تلاوة آيات الحقّ، آيات الآفاق والأعماق والأنفس وآيات القرآن الكريم، من أجل تنبيه الغافلين ويقظة النائمين واثارة كوامن العقول من أجل التفكير في غائيّة الخلق والوجود.

هذه السماوات البعيدة التي لا يمكن للعقل البشري أن يتصوّر مساحاتها وأبعادها وحدودها.

فقد تعلّمنا من علم الفلك انّ السماء الصافية تظهر لنا مجاميع هائلة من الشموس التي لا يمكن احصاءها؛ كما لو كانت جزيئات غازيّة في حالة حركة مستمرّة في اتّجاهات عديدة مختلفة في لوحة مساحتها ٣٥ × ٤٥ سم موجودة في مرصد هافارد تشتمل علىٰ الفي مجرّة ويقدّر علماء الفلك ان الكون يشتمل على ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مجرّة!!

وتشتمل مجرّتنا (درب التبانة) وحدها على أكثر من ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أي مئة مليار نجم.

ولنفترض ان حجم الأرض يعادل جسماً قطره نصف ملميتر (١/٢ ملم) أي تصغيرها إلىٰ درجة ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ مرّة فان الأبعاد والمسافات بينها تكون كما يلي:

---

١. سورة الشورى: ٢٩.
٢. سورة هود: ٥٦.

ـ تبعد الأرض عن القمر ١٦ ملم.

ـ تبعد الأرض عن الشمس ٦ أمتار.

ـ تبعد الأرض عن أبعد كوكب في السماء مسافة ١٦١٧كم.

ـ قطر مجرّتنا يبلغ ٣٧,٦٠٠كم.

ـ تبعد الأرض عن مجرّة «المرأة المسلسلة» ٧٥٢,٣٧٠,٠٠٠كم!![1]

أجل مع كلّ هذا التصغير تكون المسافة بهذا الرقم الكبير!!

فكم هو واسع وعظيم هذا الكون؟! وكم هي بعيدة سحيقة شموسه وكم هي هائلة مجرّاته وسدمه؟!!

وكم هي معدّلات توسّعه وكم هي سرعة نجومه وهي تفرّ باتّجاه المجهول؟!

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً * وَٱللهُ أَنبَتَكُم مِنَ ٱلأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَٱللهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطاً * لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾.[2]

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانِ * وَٱلأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلأَكْمَامِ * وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾.[3]

---

١. المصدر السابق.

٢. سورة نوح: ١٥ ـ ٢٠.

٣. سورة الرحمن: ٥ ـ ١٢.

﴿ وَٱلسَّماءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَٱلأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ * وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.[1]

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾.[2]

﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّماءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.[3]

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ * ٱللهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[5]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّماءِ

---

١. سورة الذاريات: ٤٧ ـ ٤٩.
٢. سورة ق: ٦ ـ ١١.
٣. سورة الجاثيه: ٣ ـ ٥.
٤. سورة البقرة: ٢٢.
٥ـ اخلاص (١١٢): ١ ـ ٤.

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.[١]

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.[٢]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِن أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٱنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِياءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.[٤]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.[٥]

﴿ ٱللهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾.[٦]

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ

---

١. سورة البقرة: ٢٩.
٢. سورة الأنعام: ٣٨.
٣ـ سورة الأنعام: ٩٩.
٤. سورة يونس: ٥.
٥. سورة يونس: ٦٧.
٦. سورة ابراهيم: ٣٢ – ٣٣.

﴿ بِخَازِنِينَ ﴾.[١]

وآيات تتعلّق بأعماق النفس الانسانيّة:

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.[٢]

الموت نقطة الانطلاق من هذا العالم المحدود إلىٰ عالم لا نهائي؛ وهنا في هذا العالم يتحدّد مصير الانسان في العالم الآخر؛ فإمّا نعيم خالد أو جحيم أبدي.

الموت هذه البوابة الرهيبة إلىٰ عالم آخر، وخلال لحظات الانتقال يخلع الانسان رداء الجسد وتنطلق الروح إلىٰ ذلك العالم الرحب عالم بشّر بوجوده آلاف الأنبياء والأوصياء والأولياء.

وخلال مسيرة التاريخ أضاءت النبوّات طريق الحضارة الانسانيّة وكانت رسالات الله تترىٰ من خلال أنبيائه ورسله الذين تعاقبوا مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الايمان بالله الواحد الأحد واقامة العدل والتفكير بالمصير الانساني والمستقبل الحقيقي الذي ينتظر الانسان بعد الموت.[٣]

---

١. سورة الحجر: ٢٢.
٢. سورة الملك: ٢.
٣. وقف قس بن ساعدة الراهب المسيحي الذي توفّي قبل البعثة المباركة في سوق عكاظ بمكّة يعظ الناس قائلاً:
ـ أيّها الناس! اسمعوا وعوا وإذا سمعتم شيئاً فانتفعوا!
ان من عاش مات، ومن مات فات وكلّ ما هو آت آت!
ليل داج وسماء ذات أبراج!
مالي أرىٰ الناس يذهبون فلا يرجعون؟!
أرضوا بالمقام فأقاموا؟!
أم تركوا هناك فناموا؟! ـ المترجم.

يقول نورمان فنسن پول:

عندما توفّيت أُمّي ذهبت إلى الكنيسة لأخلو مع نفسي في ذلك المكان المقدّس.

كنت أُريد أن أشعر بحضورها، فطالما كانت تهمس في أُذني وتقول، كلّما جئت إلى الكنيسة للصلاة سأكون معك.

وقفت وراء المنضدة وكنت أتأمّل في كتاب الانجيل بأوراقه القديمة رفيقي الوفي في جميع أسفاري؛ وضعت كفي فوق الكتاب المقدّس وكنت أحدق في نقطة مبهمة، فجأة شعرت بكفين رقيقتين جداً تمسحان فوق رأسي بلطف، فاستغرقت في سعادة لا توصف.

لدي حسّ الاستطلاع حتّى في حوادث الطريق من تصادم وغيره كنت أسعىٰ إلى أن أحلّل ما يقع ومعرفة الأسباب، لذلك قلت في نفسي انّني أعيش وهماً ولا شكّ ان ذلك مجرّد خيال لا أكثر، ومردّة إلى صدمة فقدان الأم.

ومع ذلك فقد كان حضورها قويّاً بحيث لم اقتنع بأن ما حصل كان وهماً وخيالاً، ومن ذلك اليوم فأنا واثق جداً بأن أُمّي ما تزال حيّة بروحها وسوف تبقى حيّة إلى الأبد.

انّني على يقين راسخ لا يتزعزع بوجود الحياة الخالدة، انّني مؤمن جداً بأنّني سوف التقي أصدقائي وأحبّائي بعد الموت؛ وسوف لن نفترق مرّة أُخرىٰ وإلى الأبد.[1]

---

١. جاء في دعاء الامام علي عليه السلام المعروف بـ «دعاء كميل»: «واجتمع في جوارك مع المؤمنين».

كما انّني اعتقد بقوّة إن كلّ انسان سوف يحفظ شخصيّته في أعماق هذا العالم الجديد الواسع حيث لن يواجه أهل الحقيقة في ذلك العالم الفسيح أيّاً من ألوان العذاب».[١]

ومن المؤكّد انّ الانسان سوف يواصل مساره التكاملي هناك[٢] ذلك انّه لا يمكن تصوّر الحياة من دون أي رقي روحي وستغدو بلا طعم ولا رائحة ولا لون.

قبل سنوات قرأت لأحد الفلاسفة قوله: «في لحظة الموت، تنتهي حياة الانسان ويفنىٰ كشمعة تنطفئ».

وفي تلك الفترة التي وصل فيها مدّ الفلسفة المادية ذروته كانت هكذا مقولة تبدو رائعة ومقنعة تخطف الفكر!

ولكن اليوم يسأل الكثيرون هذا الفيلسوف ما هو الدليل على ما تقول؟ وكيف توصلت إلىٰ هذه النتيجة؟!

والحقيقة ان مقولات الفلسفة المادية مجرد مزاعم لا يمكن اثباتها أبداً.

ان ما هو حقيقي هو الاحساس الفطري في أعماقنا وهو الذي يقودنا إلى الحقيقة.

وعندما يريد الله أن يهدي الانسان إلى الحقيقة فانه يودع في عمق ضميره بذرة الحقيقة.

انّ الانسان ينشد الخلود والبقاء وهذا الظمأ البشري للحياة الخالدة دليل على وجودها.

---

١. ﴿ألاَ تَخافُوا وَلاٰتَحْزَنُوا وَ اَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. سورة فصّلت: ٣٠.
٢. ﴿يالَيْتَ قَوْمى يَعْلَمُونَ بِمٰا غَفَرَلى رَبِّى وَجَعَلَنى مِنَ الْمُكْرَمينَ﴾. سورة يس: ٢٦ ـ ٢٧.

ان على الانسان ألّا يتوسّل بالدليل الرياضي للوصول إلى حقائق ماوراء الطبيعة وإنّما يعتمد الايمان؛ والالهام وذلك التوجّه الفطري المودع في ضميره.

ولقد أذعن فلاسفة الغرب إلى حقيقة الالهام في تلقّي الحقائق؛ يقول الفيلسوف هنري برجسون:

«طالما يسعى العالم عن طريق البحث والتدقيق والقيام بمحاولات كثيرة وفي آخر مرحلة يهبط الالهام ويتوصّل إلى الحقيقة.

وعلى عكس البحث العلمي فان التوصّل إلى الايمان عن طريق الوحي والالهام هو الأكثر قوّة ورسوخاً.

لقد انهارت صورة العالم المادي، بعد أن باتت صورته متهرئة بالية.

يقول السيرجيمس جان؛ انّ العالم بأسرة في حالة حركة واهتزاز.

وقد أثبتت معادلة انتشتاين بوضوح ان الطاقة والمادة قابلتان للتحول وكلاهما شيء واحد.

تحدّثت شخصيّاً مع زوجة اديسون المخترع الكبير حول زوجها سألتها ماذا يعتقد زوجك بشأن العالم الآخر؟

قالت: انه يؤمن يشدّة بأن الروح ماهيّة حقيقيّة وأنّها تنفصل عن الجسد في لحظة الموت.

وقد لاحظ طبيبه أثناء احتضاره انه كان يحاول أن يقول شيئاً لذلك أحنى رأسه فسمعه يقول: كلّ شيء في هذا المنزل جميل.

وما أكثر الذين همهموا في لحظات الاحتضار، لحظات الانتقال إلى عالم

الأبديّة أو وادي الصمت، وكانت كلماتهم الواهنة ولمحات وجوههم تحكي عن مشاهدتهم لعالم جميل مشرق النور.

تروي احدى الممرّضات انها شهدت العديد من حالات الاحتضار؛ كان بعضهم يتحدّث عن أضواء مشرقة وانغام جميلة، وبعضهم يتحدّث عن رؤيته لأشخاص يعرفهم؛ وغالباً ما تنعكس دهشتهم من خلال نظرات عيونهم.

لقد شهدت لحظات احتضار أحد الأصدقاء، وعندما حان الأجل قال لابنه: أرىٰ بنايات عالية في أحدها أضاء النور انه لي ما ابهاه؟! ثمّ سكت وأسلم الروح.

قال ابنه: أبي من أهل العلم وله فكر مستنير، وقد أمضىٰ عمره كلّه على هذا النهج ومن المستحيل أن يتغيّر في آخر لحظة من حياته؛ ان ما قاله كان عين الحقيقة.

يقول الدكتور تسلي واتزرهيد وهو من أطبّاء لندن:

جلست إلى أحدهم وكان في اللحظات الأخيرة من حياته كانت يده الواهنة في يدي، قال: ارسل يدي يا له من منظر خلّاب؟!

أما جان جاك روسو فقد همس في اللحظات الأخيرة من حياته:

ـ يا لها من سماء صافية انها رائعة، أنا ذاهب إلىٰ هناك.[1]

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

محجوبة عن كلّ مقلة ناظرٍ ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك فربما ... كرهت فراقك وهي ذات تمنّع

---

١. دانستنی‌های جهان علم (معارف عالم العلم): ٢٠٣.

ألفت وما سكرت فلما واصلت كرهت مفارقة الخراب البلقع
وأظنّها نسيت عهوداً بالحمى ومنازل بفراقها لم تقنع
علقت بهامات الثقيل فأصبحت بين المعالم والرسوم الخضّع
تبكي إذا ذكرت عهوداً بالحمى بمواقع تهمي ولم تتقطّع
وتظلّ ساجمة على المدن التي اندرست بتكرار الرياح الأربع
قد عاقها الشرك الكثيف وصدّها نقصاً عن الريح النسيج المربع
حتّى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقه لكلّ مخالف عنها حليف الترب غير متبّع
هجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجّع
وغدت تغرّد فوق دوح شاهق والعلم يرفع كلّ من لم يرفع

«ابن سينا»

آيات أُخرى في النفس

﴿أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ﴾.[1]

﴿قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ * مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.[2]

---

١. سورة القيامة: ٣٦ ـ ٣٩.
٢. سورة عبس: ١٧ ـ ٢١.

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ ﴾.[١]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.[٢]

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ﴾.[٣]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾.[٤]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾.[٥]

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾.[٦]

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.[٧]

انّ قصّة خلق الانسان قصّة مدهشة مثيرة؛ هذا الكائن الذي ينطوي في تكوينه على آيات محيّرة في كلّ جزء من أجزاء يتيه فيه علم العلماء، ولا يمكن لأيّ كان وعلى عشرات السنين أن يستقصي عجائب خلق الانسان.

مخلوق في ظاهره يثير الاعجاب وفي باطنه يثير الدهشة خلقه الله في أحسن

---

١. سورة البلد: ٨ ـ ٩.
٢. سورة التين: ٤.
٣. سورة الطارق: ٥ ـ ٧.
٤. سورة المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.
٥. سورة الفرقان: ٥٤.
٦. سورة الانسان: ٢.
٧. سورة النحل: ٤.

تقويم؛ فانطوى تكوينه على الهداية والقابليّة على التكامل والرقي والكرامة والشرف.

وينطوي على الارادة في اتخاذ القرار والشعور بالحرية والاحساس بالمسؤوليّة وعلى قانون أخلاقي في وجدانه وضميره وعلى أهليّة حمل الأمانة وخلافة الله.

﴿ فَتَبارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخالِقينَ ﴾.[1]

آيات التشريع

أرسل الله رسوله محمّد ﷺ ليتلو آيات القرآن الكريم على الناس ويعلّمهم الكتاب والحكمة من أجل أن يدلّهم على طريق الحق من أجل أن يتعرّف البشر على حقوق الفرد وعلى حقوق المجتمع وبالدرجة الأُولى على حقوق الخالق تبارك وتعالى خالق السماوات والأرض واقامة العدل وبالتالي سلوك الطريق الذي يؤدّي إلى رحمة الله الواسعة.

وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة من عمر الرسالة كانت آيات القرآن الكريم تترى على فؤاده، في حلّه وترحاله في أيّام الحرب وفي فترات السلام في المساجد والأسواق في الطرق والممرّات الجبليّة والصاحري والقفار في الليل والنهار.

كان ﷺ يتلقى الوحي الالهي ويتشرّب آيات الله يعيها فؤاده وعقله وكلّ ذرّة في كيانه.

---

١. سورة المؤمنون: ١٤.

فأدى رسالات الله على أكمل وجه فقد بين للناس شريعة الله تبارك وتعالى ومعالم الدين الاسلامي والطريق إلى الله سبحانه وأنّ الدنيا ليست إلّا مزرعة الآخرة وأنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

قد بيّن فيه حلال الله وحرامه وفرائضه وما فيه من العبر والأمثال فيه تبيان كلّ شيء في ظاهر أنيق وباطن عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تبدد ظلمات الجهل إلّا به.

وهو أحسن الحديث وربيع القلوب وشفاء الصدور وأنفع القصص.

وهو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضلّ، فيه الشفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال.

النور لا تنطفئ مصابيحه أبداً والبحر الذي لا يسبر غوره؛ وحبل الله المتين بين الأرض والسماء وبين المخلوق والخالق.

ومع وضوح رسالة الله وآياته وانسجام تعاليم الاسلام مع الفطرة والوجدان والعقل إلّا انّ رسول الله ﷺ واجه عناداً شديداً وتمرّداً من قبل المشركين والوثنيّين في مكّة، بل وسخروا واستهزءوا وقالوا أساطير الأوّلين.

فتحدّاهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن وأعلن أنه معجزة السماء الخالدة:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾.[1]

---

١. سورة الإسراء: ٨٨.

ويعلن القرآن الكريم أنّ الناس متساوون وانّ أكرم الناس عند الله هو الأكثر تقوى:

﴿إِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقاكُمْ﴾[١].

وانّ هذه الدنيا دار اختبار وامتحان وابتلاء وان الحياة الحقيقيّة هي الحياة الأُخرى.[٢]

وفي يوم القيامة يقف الانسان أمام ربّه حاملاً صحيفة أعماله فيحاسب ويثاب أو يعاقب ويهان.

وقد زخر القرآن الكريم بعشرات بل مئات الآيات التي تتحدّث عن البعث والمعاد والحساب والجزاء والجنّة والنعيم والنار والعذاب الأليم.

ففي ذلك العالم وفي ذلك اليوم الرهيب، حيث يقف الناس للحساب، ترى الظالمين يرتعدون فرقاً وترى المجرمين مذعورين وهم يرون صحائف أعمالهم ملطخة بدماء الأبرياء مسودّة بدخان الحرائق ونيران الحروب ان كلّ ما اقترفت أيديهم مسجّل بالتفصيل فيصرخون هلعاً:

﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.[٣]

هنالك ينقسم الناس إلى فريقين، ويمتاز الأخيار والأشرار، ودعاة السلام عن

---

١. سورة الحجرات: ١٣.

٢. يقول الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام في خطبة تدعو إلى التأمّل: «فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من أبناء الآخرة، فانه منها قدم وإليها ينقلب». نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤ ـ المترجم.

٣. سورة الكهف: ٤٩.

قادة الحروب ومتسببي الآلام، فيتجه الفريق الأول جماعات جماعات إلى تلال خضراء ترفل في ربيع دائم وإلى عالم مغمور بالنعيم.

ويتّجه الفريق الثاني زمراً زمراً إلى هاوية الجحيم ووديان العذاب.

وهكذا تصوّر آيات القرآن الكريم ما يجري يومئذٍ في يوم القيامة أبلغ تصوير من أجل أن يعتبر الانسان ويفكر بشكل جاد بمصيره الذي يواجهه بعد حين.

وما أكثر القصص وأعظمها تلك التي رواها القرآن الكريم عن مصير الطغاة والطغيان والظلم والعدوان؛ وما حلّ بتلك الأقوام الغابرة التي تمرّدت على رسل الله وأنبيائه.

روى القرآن الكريم قصّة الطوفان العظيم وما حلّ بقوم نوح من العذاب؛ وكيف عصفت الرياح العاتية بقوم عاد حتى تركتهم اعجاز نخل خاوية؛ والصيحة السماويّة التي أبادت قوم ثمود؛ وما حلّ بقوم لوط حيث أمطرت السماء حجارة وزلزلت الأرض حتى أصبح عاليها سافلها؛ وما جرى على أهل مدين.

أجل كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله وما فيها من القصص والعبر من أجل أن يعتبروا ويفكّروا ويذعنوا للحق والحقيقة.

ويذكر التاريخ كيف رأى طغاة قريش الآيات والمعجزات ولكنّهم كفروا وأصرّوا واستكبروا استكبارا؛ مع أنّهم في قرارة أنفسهم كانوا قد أيقنوا بها، ولكنّه الطغيان والعناد والقلوب الملوّثة والعقد النفسيّة.

وفي المقابل نرى أشخاصاً سمعوا من بعيد أنباءً عن ظهور نبي جديد في مكّة فشدّوا الرحال نحو النور بحثاً عن الحقيقة.

هذا أبوذرّ الغفاري يبحث عن الحقّ ويتحمّل في سبيل ذلك الأذىٰ والمشاق.

وهذا سلمان الفارسي يغادر قريته وحياة الرغد قبل ظهور الاسلام يبحث عن الحقيقة فكانت قصّته مليئة بالعبر.

الباحث عن الحقيقة

كان سلمان فتى من بلاد فارس اسمه «روزبه» يعيش في منطقة بين شيراز واصفهان، روزبه كلمة فارسيّة معناه «سعيد» نشأ في أسرة زرادشتيّة ثريّة، والزرادشتيّون يقدّسون النار ويعتقدون انّها رمز النور.

عندما تفتح عقله علىٰ الحياة استنكر هذه الديانة فمن غير المعقول أن تكون النار الاله الذي خلق هذا الوجود.

وخلال تجواله في الحقول لاح له بناء أبيض فاتّجه إليه فاذا هي الكنيسة الوحيدة في تلك الأنحاء، وهناك عرف انها معبد النصارىٰ يصلّون فيه.

رأىٰ شخصاً يرتدي ثياباً بيضاء ويصلّي أمام الصليب، وهكذا تعرّف «سلمان» علىٰ الدين الحقّ.

وراح الراهب يتحدّث إلىٰ الفتىٰ عن قصّة السيّد المسيح الذي ولد من دون أب فقد ولدته السيّدة مريم العذراء وكان ذلك آية من آيات الله.

وحدّثه عن الانجيل كتاب الله وبشارة السيّد المسيح بظهور نبي جديد اسمه «أحمد».

وعندما اكتشف الأب تردّد ابنه علىٰ الكنيسة وايمانه بالنصرانيّة قام بسجنه في الاسطبل إلىٰ أن يتوب ويعود إلىٰ دين الآباء والأجداد ويترك دين الأعداء.

وشاء الله أن يفلت من هذا السجن ويعود إلىٰ الكنيسة فنصحه الراهب بالسفر إلىٰ انطاكيا في بلاد الروم وعرّفه بوجود راهب في دير في ضواحي المدينة.

وحصل اللقاء في انطاكيا، حيث عاش سلمان الفارسي سنوات في هذا الدير.

ويتقدّم العمر بالراهب ويصبح شيخاً طاعناً في السنّ وكان الوحيد من بين سائر الرهبان يعبد الله لا يشرك به شيئاً وعندما شعر بدنو الأجل نصح سلمان الفارسي بالهجرة إلىٰ مدينة عموريّة حيث يوجد في احدى كنائسها راهبا علىٰ دين المسيح، فسافر إلىٰ هناك ليعيش في تلك الكنيسة.

وهناك اطّلع علىٰ بعض الأناجيل التي تتحدّث عن بشارة السيّد المسيح بمجيء نبي اسمه أحمد؛ وهذا النبي يظهر في جبل فاران وهو من نسل سيّدنا إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

ومن ذلك ما ورد في العهد القديم حول دعاء إبراهيم عليه السلام إنّ الربّ استجاب دعوة إبراهيم في إسماعيل:

«وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه هاأنا اباركه واثمّره وأكثّره كثيراً جدّاً، اثنا عشر رئيساً يلد، واجعله أمة كبيرة».

وينصح الراهب سلمان الفارسي بالسفر إلىٰ الشام حيث ظهر المسيح عليه السلام.

ويشدّ الرحال إلىٰ هناك حيث التقىٰ أحد الرهبان الصالحين؛ كان شيخاً طاعناً في السنّ تقيّاً، وعندما شعر بالأجل يقترب نصح سلمان أن يسافر إلىٰ الحجاز فقد اقترب ظهور النبي العربي الذي بشر به السيّد المسيح.

قال له: إنّي وجدت اسمه في الانجيل وأنّ مولده قرب جبل فاران وهجرته إلىٰ أرض فيها نخل كثير.

وأخبره بعلامات ثلاث: لا يقبل الصدقة، ويقبل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوّة.

وفي فصل الصيف وهو موسم قدوم القوافل التجاريّة القادمة من أرض الحجاز التقىٰ سلمان مع إحدىٰ القوافل واتّفق معهم علىٰ أن يأخذوه إلىٰ الحجاز مقابل العمل في خدمتهم ورعاية الجمال وجمع الحطب.

وفي طريق العودة سكروا وقدموا لسمان الخمر فرفض أن يشربها، فحنقوا عليه وغدروا به وهدّدوه بالقتل أو يقرّ بالعبوديّة لهم.

وهكذا باعوا سلمان إلىٰ رجل يهودي في إحدىٰ القرىٰ وبعد مدّة قام الرجل اليهودي ببيعه إلىٰ صديق له من قبيلة قريظة التي تسكن في مدينة يثرب.

شعر سلمان بالفرحة والامل فقد تأكّد له أنّ النبي الموعود سوف يهاجر إلىٰ أرض يكثر فيها النخيل.

وخلال تلك الفترة كان سلمان يعاني الكثير من مشاق العمل ومعاملة ذلك الرجل اليهودي الفظة.

وذات يوم وفيما كان سلمان يعمل في اصلاح الأرض سمع طرفاً من أحاديث يتبادلها أناس يعملون بالقرب منهم، سمع منهم بظهور نبي جديد في مدينة مكّة من قبيلة قريش من أشرف بيوتها من بني هاشم، فازداد أمله بلقاء النبي الذي بشّر به المسيح.

وبعد مدّة سمع بأنّ النبي وصل قرية «قبا» مهاجراً من مكّة وانه ينتظر قدوم ابن عمّه علي بن أبي طالب، شعر بالفرحة تدخل قلبه؛ فقرية قبا قريبة جداً ويستطيع أن يصل إليها سوف يلتقيه ويتعرّف عليه من خلال العلامات الثلاث: «لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوّة».

عندما وصل قبا عرف ان النبي قد غادرها واتّجه إلى يثرب لذلك لم يواصل طريقه وعاد من حيث أتىٰ، وظل يتابع الأخبار.

وبعد ثلاثة أسابيع فوجئ سلمان بسبعة رجال يقتربون من البستان الذي كان يعمل فيه ورأىٰ غيمة تظلّهم.

جلس الرجال في ظلال أشجار النخيل.

وضع سلمان بعض الرطب في طبق من خوص النخيل صنعه بنفسه من السعف وتوجّه إليهم وقال:

ـ احضرت لكم هذا الطبق من الرطب صدقة.

أخذ النبي الطبق ووزع الرطب على أصحابه أمّا هو فلم يتناول منه.

فقال سلمان في نفسه هذه العلامة الأُولىٰ انّه لا يأكل من الصدقة.

فعاد إلىٰ البستان ووضع بعض الرطب في الطبق وجاء إليهم وقال: هذا هدية لكم.

وهنا شاهد سلمان النبي ﷺ وهو يتناول من الرطب ويأكل فقال في نفسه هذه العلامة الثانية.

راح سلمان يتأمّل في وجه النبي ﷺ ويفكّر! فقال النبي ﷺ:

ـ لعلّك تريد النظر إلىٰ خاتم النبوّة؟!

وهنا أيقن سلمان بأنّه النبيّ الموعود الذي بشّر به السيّد المسيح فقال علىٰ الفور:

ـ أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّك يا محمّد رسول الله.

وعانق سلمان رسول الله ودمعت عيناه فرحاً وقال:

ـ ليتني أُرافقك يا رسول الله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه:

ـ أعينوا أخاكم سلمان!

وتمّ الاتّفاق مع الرجل اليهودي علىٰ زراعة ثلاثمئة فسيل من أشجار النخيل مقابل حريّة سلمان؛ وأسهم عشرات من الصحابة في احضار العدد المطلوب حيث قام النبي بغرسها بنفسه، وتعجّب الجميع لأنّها نبتت جميعاً ونمت.

وهكذا استعاد سلمان حريته لينتقل إلىٰ المدينة المنوّرة ويعيش قرب النبي صلى الله عليه وآله، لقد تحقّقت أمنيته القديمة التي انتظرها منذ عشرات السنين.

وفي السنة الخامسة من الهجرة تقدّمت قوّات الغزو الوثنيّة بقيادة أبي سفيان لاحتلال المدينة المنوّرة والقضاء رسالة الاسلام واطفاء النور، واجتمع النبي صلى الله عليه وآله بأصحابه للتداول والتشاور، كيف يمكن مواجهة عشرة آلاف مقاتل مجهّزين بالسلاح والعتاد؟!

وهنا نهض سلمان ليطرح خطّته في حماية المدينة وذلك بحفر خندق ليكون خط الدفاع ضد العدو ونجحت الخطّة نجاحاً باهراً واخفق العدو الذي انسحب بعد حصار طويل:

وهتف الأنصار: سلمان منّا!

ونادىٰ المهاجرون: سلمان منّا!

فقال النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت!

الرسالة

كان علىٰ النبي ﷺ أن يبلغ العالم رسالات الله مبشّراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله باذنه، وكانت آيات الله يحملها الوحي الأمين تترىٰ؛ وكان النبي ﷺ يسعىٰ جاهداً في اقناع الناس أجمعين بالاذعان لمشيئة الله عزّوجلّ وارادته والايمان برسالة الله.

ونهض رسول الله يدعو إلى دين الله الحقّ يتلو آيات القرآن وكانت سيرته المضيئة واخلاقه العظيمة وصفاته النبيلة تجسيداً لشريعة الله وتعبيراً عن القرآن الكريم فكان يدعو الله سبحانه بالرحمة والمغفرة وينبّه الناس إلىٰ حقيقة الحياة الدنيا ويشير إلىٰ وجود عالم آخر وإلىٰ الحياة بعد الموت وإلىٰ الحساب والثواب والعقاب.

وهذه آيات القرآن الكريم شاهدة علىٰ دعوة النبي الأكرم ﷺ الناس أجمعين إلىٰ الحقّ والخير والكمال.

﴿نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾.[1]

كما بيّن لهم استجابة دعائهم إذا دعوا الله مخلصين:

﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِىْ وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.[2]

وأن كلمات الله لا نهاية لها ولا نفاد أبداً:

---

١. سورة الحجر: ٤٩ ـ ٥٠.
٢. سورة البقرة: ١٨٦.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾.[١]

وإلىٰ حقيقة الايمان بالله:

﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَاوَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.[٢]

والايمان بالغيب:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.[٣]

والدين الحقّ:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللهِ ٱلْإِسْلاَمُ ﴾.[٤]

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّماءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ ﴾.[٥]

وإلىٰ دين إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلٰكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ

---

١. سورة الكهف: ١٠٩.
٢. سورة البقرة: ٢٨٥.
٣. سورة البقرة: ٣ ـ ٥.
٤. سورة آل عمران: ١٩.
٥. سورة الأنعام: ١٢٥.

ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[١]

﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً و ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكينَ ﴾.[٢]

وإلىٰ ما ينبغي أن تكون عليه صفات المؤمنين والمسلمين الحقيقيّين:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.[٣]

وهؤلاء هم المفلحون الفائزون في النهاية ولهم المستقبل المشرق في العالم الآخر:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.[٤]

---

١. سورة آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨.
٢. سورة البقرة: ١٣٥.
٣. سورة الحج: ٧٧ ـ ٧٨.
٤. سورة المؤمنون: ١ ـ ١١.

وانّ صفات المؤمنين والمؤمنات هي التسليم لله والعبادة المخلصة:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.[١]

وانّ حقيقة الايمان أعمق بكثير من الاسلام الظاهري السطحي:

﴿قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[٢]

وانّ المؤمن الحقيقي هو من يرتجف قلبه عند ذكر الله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[٣]

وانّه ينبغي المسارعة إلى الاستغفار والتوبة والعودة إلىٰ الذات والوعي الحقيقي:

---

١. سورة الأحزاب: ٣٥.
٢. سورة الحجرات: ١٤.
٣. سورة الأنفال: ٢ ـ ٤.

﴿ وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّماوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ ﴾.[1]

وانّ الله سبحانه يحبّ المحسنين، فلا يضيع أجرهم وثوابهم وهو سبحانه من يكافئهم علىٰ احسناتهم:

﴿ لايُضيعُ أجْرَ الْمُحْسِنينَ ﴾.[2]

﴿ يَجْزى الْمُحْسِنينَ ﴾.[3]

﴿ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ ﴾.[4]

وما الاحسان إلّا السعي في طاعة الله وبذل الجهد ما أمكن حتّى النهاية وعدم التراخي والضعف والتقصير والاخلاص في العمل قلباً وروحاً وجوارح.

وقد ذكر القرآن الكريم مفردات الايمان والاسلام والاحسان مراراً وتكراراً وعلىٰ نحو يشير إلىٰ الوشائج فيما بينها.

---

١. سورة آل عمران: ١٣٢ ـ ١٣٦.

٢. سورة التوبة: ١٢٠؛ سورة هود: ١١٥؛ سورة يوسف: ٩٠.

٣. سورة الأنعام: ٨٤؛ سورة يوسف: ٢٢؛ سورة القصص: ١٤.

٤. سورة آل عمران: ١٣٤.

وقد جاء في السيرة النبويّة الشريفة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِساً فَأَتَاهُ جَبْرَئِيلُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ لِلهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْمَلَ لِلهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.(١)

وَعَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ بِأَسَانِيدَ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِساً مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ السَّفَرِ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِسْلَامُ؟ وَسَاقُوا الْحَدِيثَ مِثْلَ مَا مَرَّ إِلَى قَوْلِهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَأَدْبَرَ الرَّجُلُ فَذَهَبَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ بِالرَّجُلِ فَاتَّبَعُوهُ يَطْلُبُونَهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: ذَلِكَ جَبْرَئِيلُ جَاءَكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ.(٢)

ولم يكتف الرسول الأكرم ﷺ بابلاغ آيات الله ورسالاته وإنّما كانت حياته

---

١. بحار الأنوار ٥٦ / ٢٦٠ ـ ٢٦١.
٢. بحار الأنوار ٥٦ / ٢٦١.

كلّها تطبيقاً تامّاً للشريعة الالهيّة وتعاليم السماء فكان خير أُسوة وقدوة وكان المثل الأعلىٰ وكانت حياته اليوميّة بكلّ تفاصيلها تسير في ضوء الرسالة الاسلاميّة رسالة الله الاخيرة للبشريّة جمعاء.

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا ٱلأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ ٱللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.[1]

فبيّن صلوات الله عليه وآله الحلال والحرام وحثّ المسلمين على التحلّي بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة.

وفتح لهم آفاقاً جديدة واخبر صلوات الله عليه وآله بما يجري علىٰ الانسان بعد الموت.

البرزخ أو عالم ما بعد الموت

سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوماً فقال: هل رأىٰ أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكنّي رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلىٰ الأرض المقدّسة، فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتّى يبلغ قفاه، ثمّ يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيضع مثله.

---

١. سورة النحل: ٩١ ـ ٩٢.

قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتّىٰ أتينا علىٰ رجل مضطجع علىٰ قفاه ورجل قائم علىٰ رأسه بنهر أو صخرة فيشدخ به رأسه، فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه، ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتّىٰ يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه!

قلت من هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلىٰ ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، يتوقّد تحته ناراً فاذا اقترب ارتفعوا حتّىٰ كان أن يخرجوا، فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة!

فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتّىٰ أتينا علىٰ نهر من دم فيه رجل قائم علىٰ وسط النهر ورجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر؛ فاذا أراد أن يخرج، رمىٰ الرجل بحجر في فيه فردّه حيث كان، فجعل كلّما جاء ليخرج رمىٰ في فيه، فيرجع كما كان!

فقلت ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتّىٰ أنتهينا إلىٰ روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان؛ وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثمّ أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب!

فقلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عمّا رأيت؟

قالا: نعم، أمّا الذي رأيته يشق شدقه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتّى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلىٰ يوم القيامة.

والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه

بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة.

والذي رأيته في الثقب، فهم الزناة.

والذي رأيته في النهر آكلوا الربا.

والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس.

والذي يوقد النار مالك خازن النار.

والدار الأولى التي دخلت دار عامّة المؤمنين وأمّا الدار هذه فدار الشهداء، وأنا جبرئيل وهذا ميكائيل.[١]

دروس قرآنيّة

الدين والحياة

الدين أمر جاد ومصيري ولذا ينبغي على الانسان أن يفكّر في فلسفة الحياة والمصير ويحذّر من الاستغراق في اللهو واللعب وعدم التعمّق في وعي الحياة.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَيُؤْخَذْ مِنْهَا أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.[٢]

---

١. صحيح البخارى: ٢/١٠٤، باب ما جاء فى عذاب القبر، باب ٣٣؛ آيينهٔ اسلام (مرآة الإسلام): ١٧٧.

٢. سورة الأنعام: ٧٠.

يوم ينفخ في الصور

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.[١]

الإنذار

﴿ وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.[٢]

أحد أحد

﴿ ذٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمْ لاَإِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لاَتُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ * قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾.[٣]

---

١. سورة الأنعام: ٧٣.
٢. سورة الأنعام: ٩٢.
٣. سورة الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٤.

اتباع الوحي

﴿ اِتَّبِعْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.[١]

قبح الشتيمة

﴿ وَلاَ تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ فَيَسُبُّوا ٱللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[٢]

الحكم العدل

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾.[٣]

العمل الصالح

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴾.[٤]

---

١. سورة الأنعام: ١٠٦.
٢. سورة الأنعام: ١٠٨.
٣. سورة الأنعام: ١١٤.
٤. سورة الكهف: ١ ـ ٣.

قول الحقّ

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.(١)

الخير الحقيقي

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.(٢)

الخاسرون

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً * ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً * إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾.(٣)

---

١. سورة الكهف: ٢٩ ـ ٣٠.
٢. سورة الكهف: ٤٦.
٣. سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٨.

الصلاة والزكاة

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾.[١]

العقل

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.[٢]

الوحدانيّة

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾.[٣]

الموت

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.[٤]

النقاء النفسي

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.[٥]

---

١. سورة مريم: ٥٤ ـ ٥٥.
٢. سورة الأنبياء: ١٠.
٣. سورة الأنبياء: ٢٥.
٤. سورة الأنبياء: ٣٥.
٥. سورة آل عمران: ١٦٤.

والمراد من النفس في الآيات والروايات التي أمر النبي بتزكيتها حقيقة هي مركز ومحور القوىٰ الحيوانيّة من شهوة وغضب وغرائز وميول وما لم يتم السيطرة عليها وتزكيتها تتحول إلى «الهوىٰ» حيث تعمل «الأهواء» علىٰ ايجاد اضطرابات تعصف بالعقل والقلب والروح وتفضي علىٰ دنيا الانسان وآخرت.

وما نراه من الناس فاسقين وفجار وأشرار وكذابين ومخادعين وقذرين أخلاقياً وظالمين وعدوانيّين وطغاة وجبابرة وعصاة وخاطئين وذئاب بشريّة متوحّشة ومصاحي دماء و... إنّما هي نتائج لعاصفة الأهواء المدمّرة التي تطيح بمراكز التفكير المنطقي والعقلائي وتقضي علىٰ صوت الضمير والوجدان وتحيل الانسان من كائن آدمي إلىٰ حيوان متوحّش مفترس.

ومن هنا تأتي التعاليم الاسلاميّة لضبط النفس والسيطرة علىٰ الأهواء وتوجيه الغرائز الانسانيّة ضمن معادلة أخلاقيّة واشباع الرغبات في اطار الشرعيّة الدينيّة والأخلاقيّة.

جهاد النفس

يقول الغزالي:

يُطْلَقُ النَّفْسُ عَلَى الْجامِعِ الصّفاتِ الْمَذْمُومَةِ أيْ القوى الحيوانية الْمُضادَّةِ لِلْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ.[1]

وما لم يتمّ السيطرة على الغرائز الحيوانيّة فانّها تقوم باحتلال العقل وتسخير

١. مجمع البحرين: ١/ ٤١٩، نقلاً عن الغزالى.

طاقاته الكبرىٰ في طريق الاستجابة العمياء للغرائز الحيوانيّة.[١]

ومن هنا نرىٰ رسول الله ﷺ يطلق علىٰ جهاد النفس «الجهاد الأكبر» لأن مواجهة النفس هي أصعب من المواجهات الميدانيّة وخوض المعارك العسكريّة.

جاء في السيرة النبويّة الشريفة:

اِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً فَلَمّا رَجَعُوا قالَ: مَرْحَباً بِقَوْمٍ قَضَوُا الْجِهادَ الْأَصْغَرَ وبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهادُ الْأَكْبَرُ. قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ ومَاالْجِهادُ الْأَكْبَرُ؟ قالَ: جِهادُ النَّفْسِ. ثُمَّ قالَ ﷺ: أَفْضَلُ الْجِهادِ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ الَّتى بَيْنَ جَنْبَيْهِ.[٢]

توصيفات للحالة البهيميّة

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾.[٣]

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[٤]

---

١. يقول الامام علي عليه السلام: كم من عقل أسير تحت هوىً أمير.
ويقول عليه السلام: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ـ المترجم.
٢. بحار الأنوار: ٦٧ / ٦٥؛ وسائل الشيعة: ١٥ / ١٦٣.
٣. سورة محمّد: ١٢.
٤. سورة الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

توصيفات للحالة الشيطانيّة

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.[١]

وثمّة عناصر أُخرىٰ مكوّنة للنفس من قبيل العقل الذي يمتلك صفات ملكوتيّة:

العَقْل ما عُبِدَ بِهِ الرَّحْمٰنُ، وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنانُ.[٢]

وبسبب خطورة العوارض الناجمة عن سيطرة الأهواء النفسيّة يتعيّن على الانسان مواجهة النفس والتصدّي للنزعات البهيميّة التي يحاول الشيطان استغلالها وإلّا فانّ حياته تستحيل إلىٰ غاية تضجّ فيها أصوات الحيوانات الضارية.

وقد جاء في الحديث الشريف:

أعْدىٰ عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتى بَيْنَ جَنْبَيْكَ.[٣]

والنفس تعلم إني لا اصادقها ... ولست أرشد إلّا حين أغصبها

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطفيها

وغنى النفوس هو الكفاف وإابت ... فجميع ما في الأرض لا يكفيها

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ... ان السلامة منها ترك ما فيها

---

١. سورة الحشر: ١٦.

٢. بحار الأنوار: ١/ ١١٦؛ وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٠٥.

٣. بحار الأنوار: ٦٧/ ٦٤؛ عوالى اللآلى: ٤/ ١١٨.

وما أقلّ الناس الذين جاهدوا أنفسهم وواجهوا غرائزهم في ضوء تعالى رسول الاسلام صلى الله عليه وآله!

قيل لبهلول: أتعرف عد المجانين في المدينة؟ فقال: كثيروان جداً حتّىٰ انه يصعب عدّهم، ولكن اسألوني عن عدد العقلاء!

ولذا ينبغي التخفف عن اثقال الاثم والمعاصي والذنوب وما تتبعه الأهواء النفسيّة من خسائر أخلاقيّة، وهذا الطريق إلى الحريّة الحقيقيّة لأنّ النزعات الغرائزيّة الحيوانيّة تنشدّ الاشباع بأيّة طريقة وعلى الانسان أن يتعامل مع هذه النزعات من خلال العقل والشريعة والتعاليم الدينيّة، وينظم حياته في اطار من الالتزام والتمسّك بالقرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام وهما الثقلان اللذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما كما ورد في الحديث الشريف وهما الضمان لعدم انحراف الانسان وضلاله وضياعه.

حكاية عن العلّامة الطباطبائي

يروي العلّامة الطباطبائي الفيلسوف والمفسّر الشهير قائلاً:

كنت أُصلّي في مقام إدريس النبي صلى الله عليه وآله في مسجد السهلة فقرأت بعد سورة الحمد السورة المباركة (ص)، فجأة رأيت نفسي أرتفع في الفضاء بينما بدني ما يزال علىٰ الأرض وقد بقيت في هذه الحالة لحظات ثمّ عادت نفسي إلىٰ وضعها الأوّل.

جاء في القرآن الكريم بشأن إدريس النبي عليه السلام قوله تعالىٰ:

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾.[١]

أشجار عالم الملكوت

يقول العارفون الواعون الوالهون والسالكون إلى الله انّه في ضوء الحقائق القرآنيّة والمعارف الالهيّة ان في عالم الملكوت شجرتين: الأُولىٰ شجرة طوبىٰ والثانية شجرة الزقوم ولكلّ منهما أغصان في عالم الحياة الدنيا، فالفضائل الأخلاقيّة غصن من أغصان شجرة طوبىٰ، والرذائل الأخلاقيّة غصن من أغصان شجرة الزقّوم.

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

السَّخاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ كانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها، فَلَمْ يَتْرُكْهُ ذٰلِكَ الْغُصْنُ حَتّىٰ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. وَالشَّحُّ شَجَرَةٌ فِي النّارِ، فَمَنْ كانَ شَحيحاً أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها، فَلَمْ يَتْرُكْهُ حَتّىٰ يُدْخِلَهُ النّارَ.[٢]

فالذين تركوا لغرائزهم الحيوانيّة العنان تقتحم بهم المحرمات، وتنتهك بهم حدود الله فإنّما يحرقون أنفسهم وبيادر حياتهم وحياة الآخرين؛ وهنا يتألّق مجد الرسالة التي جاء بها سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله لتزكية النفس وترشيد حركتها: ﴿ وَيُزَكّيهِمْ ﴾.[٣]

قال أحد الحكماء:

---

١. سورة مريم: ٥٧.

٢. كنز العمال: ٦/ ٣٩١؛ تفسير الثعالبي: ٥/ ٤٢٢؛ مجموعة ورام: ١/ ١٧٠.

٣. سورة البقرة: ١٢٩.

كما أنّ الحبّ المادي والعشق المجازي يفضي بالانسان إلىٰ أن يخرج من حالة العقم ويصبح له ولد ويكون بقاء النوع واستمرار النسل؛ فانّ الحبّ الحقيقي يخرج بالروح والعقل عن حالة العقم والانغلاق إلىٰ حالة الادراك والاشراق.

وتلقي الحياة الخالدة يعني نيل معرفة الجمال الحقيقي والخير المطلق والحياة الروحانيّة.[1]

وجاء في الحديث النبويّ الشريف انّ رسول الله ﷺ قال:

النّاسُ اِثنانِ: واحِدٌ أراحَ، وَآخَرُ اسْتَراحَ. فامّا الذى اسْتَراحَ فَالمُؤمِنُ، اذا ماتَ اِسْتَراحَ مِنْ الدُّنيا وبَلائِها، واَمَّا الّذي اَراحَ فَالْكافِرُ اِذا ماتَ اَراحَ الشَّجَرَ وَالدَّوابَّ وَكَثيراً مِنَ النّاسِ.[2]

وجاء في السيرة الشريفة انه:

دَخَلَ رَجُلٌ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ اسْمُهُ مُجاشِعُ فَقال: يا رَسُولَ اللهِ ﷺ كَيْفَ الطَّريقُ إلى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ؟ فَقالَ: مَعْرِفَةُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ الطَّريقُ إلى مُوافَقَةِ الْحَقِّ؟ قالَ: مُخالَفَةُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى رِضَا الْحَقِّ؟ قالَ: سَخَطُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى وَصْلِ الْحَقِّ؟ قالَ: هَجْرُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى طاعَةِ الْحَقِّ؟ قالَ: عِصْيانُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى ذِكْرِ الْحَقِّ؟ قالَ: نِسْيانُ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى قُرْبِ الْحَقِّ؟ قالَ: التَّباعُدُ مِنَ النَّفْسِ.

---

١. هزار نكته (ألف إشارة): ١٨٦.
٢. بحار الأنوار: ٦/ ١٥١؛ الخصال: ١/ ٣٩.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى أُنْسِ الْحَقِّ؟ قالَ: الْوَحْشةُ مِنَ النَّفْسِ.

فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! فَكَيْفَ الطَّريقُ إلى ذٰلِكَ؟ قالَ: الْإِسْتِعانَةُ بِالْحَقِّ عَلَى النَّفْسِ.(١)

وروى الامام علي أميرالمؤمنين قال:

إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إلّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُمْسِي وَلا يُصْبِحُ إلّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.(٢)

وروى الامام جعفر الصادق عليه السلام قال:

كُنْتُ مَعَ أبى حَتَّى انْتَهَيْنا إلى الْقَبْرِ والْمِنْبَرِ وإذا أُناسٌ مِنْ أصْحابِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وقالَ: وَاللهِ إنّى لَأُحِبُّكُمْ وأُحِبُّ ريحَكُمْ وأَرْواحَكُمْ، فَأعينُونا عَلى ذٰلِكَ بِوَرَعٍ وَاجْتِهادٍ، فَإنَّكُمْ لَنْ تَنالُوا وَلايَتَنا إلّا بِالْوَرَعِ وَالْاِجْتِهادِ.(٣)

أجل لا يمكن بلوغ درجة الولاية إلّا بجهاد النفس، والتقوىٰ والورع وتطهير القلب من الرذائل الأخلاقيّة وسلوك طريق الذين أنعم الله عليهم وهم الأئمّة من

---

١. بحار الأنوار: ٦٧ /٧٢؛ عوالى اللآلى: ١ /٢٤٦؛ مستدرك الوسائل: ١١ /١٣٨.
٢. بحار الأنوار: ٦٧ /٧٨.
٣. الأمالى، شيخ طوسى: ٧٢٢؛ ارشاد القلوب، للديلمى: ١ /١٠١؛ مجموعة ورّام: ٢ /٩٠.

آل رسول الله ﷺ:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.[١]

وعلى الانسان أن يلاحظ ما في نفسه من العيوب ويسعىٰ إلى تطهيرها من الرذائل وتنميتها أخلاقيّاً؛ ذلك أن طريق التكامل الانساني يكمن في تزكية النفس وتصفية الباطن من الشوائب ومعالجة الأمراض النفسيّة من حسد ونفاق وغيبة ونميمة بل والارتقاء بها إلىٰ أن يجعلها كريمة تتسامى عن سفاسف الحياة.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[٢]

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.[٣]

ومن خلال القرآن الكريم تمكّن رسول الله ﷺ أن يصقل نفوس الذين آمنوا به، فظهر بلال الحبشي وصهيب الرومي وأبوذر العربي وسلمان الفارسي فتآلفت قلوبهم وأصبحوا اخواناً متحابين.

وفي دنيا المرأة ظهرت خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وزينب الحوراء.

---

١. سورة الزمر: ٢٢.
٢. سورة يونس: ٥٧.
٣. سورة المائده: ١٥ ـ ١٦.

سلّم الرقي الأخلاقي

جاء في كتاب «الانسان الكامل»:

ان الرقي الانساني والتكامل الأخلاقي يتحقّق بأربعة اُمور:

١ ـ تشرّب المعارف الالهيّة من خلال الآيات القرآنيّة وأحاديث الرسل والأنبياء والأئمّة والأولياء؛

٢ ـ الأقوال الحسنة؛

٣ ـ الأفعال الحسنة؛

٤ ـ الأخلاق الحسنة.

وهذه الاُمور الأربعة تتوقّف على مجاهدة النفس وتبلغ أهميّتها انّ الانسان إذا افتقدها فليس بانسان ويخرج عن اطار الآدميّة؛ ومن تحقّقت فيه هذه الاُمور فقد بلغ درجة الكمال الانساني.

وخلال استغراق الانسان في جهاد نفسه فان نوراً ينبثق في أعماقه يضيء طريقه ويرشّد حركته.[١]

هذا النور الذي يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه:

اَللّهُمَّ اجْعَلْ لى فى قَلْبى نُوراً وَفى لِسانى نُوراً وفى بَصَرى نُوراً وفى سَمْعى نُوراً وعَنْ يَمينى نُوراً وعَنْ يَسارى نُوراً ومِنْ فَوْقى نُوراً وَمِنْ تَحْتى نُوراً وَمِنْ أمَامى نُوراً ومِنْ خَلْفى نُوراً، وَاجْعَلْ لى فى نَفْسى نُوراً وأعْظِم لى نُوراً.[٢]

---

١. قال تعالىٰ: ﴿ والَّذين جاهَدُوا فينا لَنَهدينَّهُم سُبُلَنا ﴾.

٢. صحيح مسلم: ٢ / ١٨٢؛ ميزان الحكمة: ٤ / ٣٣٨٨.

وقال العرفاء: انّ المراد من النور القرآن والتوفيق الالهي الخاص ومراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من هذا الدعاء القرآن وباطن القرآن وسرّ سرّ القرآن وحقيقة الآيات، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الله سبحانه أن يملأ نفسه بنور القرآن.

كن غريباً واجعل الدنيا سبيلاً للعبور

واعدد النفس طوي الدهر من أجل القبور

وارفض الدنيا ولا تركن إلىٰ دار الغرور

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

الْعارِفُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَها ونَزَّهَها عَنْ كُلِّ ما يُبْعِدُها.[1]

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سروراً وأنعما

كبان بنى بنيانه فأتمه فلما استوى ما قد بناه تهدّما

فينبغي على المرء أن يعرف عيوب نفسه ومن استبصر وتعمّقت بصيرته لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه تنقية نفسه لأن معرفة المرض نصف الدواء.

فالعُجب بالنفس والنرجسيّة والانانيّة والتكبّر والحرص والبخل كلّها سدود بين النفس وبين الحق وهي حجب تحول دون تلقّي القلب الاشراق والفيض الربّاني والنفحات الرحمانيّة.

---

١. غرر الحكم: ٢٣٩؛ هزار نكته: ١ / ٦٩ (ألف كلمة).

النفس لدى الميبدي

يقول الميبدي في الفتح الثالث: انّ الشيخ سعد الدين الحموي صادف نهراً فامتنعت الفرس من خوض الماء فأمر بتكدير النهر فعبرت الفرس حالاً، فقال الشيخ: مادامت ترىٰ نفسها فلن تعبر هذا الوادي.

وبعد أن يعالج مرض العجب بالنفس والانانيّة وتحلّ حالة حبّ الله تتحرّك النفس نحو مقام القرب الالهي واللقاء بالله عزّوجلّ وهذا يبدأ من الطاعات والعبادات إلى أن يصل الانسان الدرجة التي يقول عنها الامام الصادق عليه السلام:

اِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ لَأشَدُّ اتِّصالاً بِرُوحِ اللهِ مِنِ اتّصالِ شُعاعِ الشَّمْسِ بِها.[١]

ومن هنا يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في توصيف العارفين:

صَحِبُوا الدُّنْيا بِأبْدانٍ أرْواحُها مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأعْلٰى.[٢]

وروى الامام محمّد الباقر عليه السلام ان أنا سأمرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا:

السلام عليكَ يٰا رسول الله، فَقٰالَ صلى الله عليه وآله: ما اَنْتُمْ؟ فقٰالُوا نَحْنَ مُؤمِنُونَ، قٰالَ: فَمٰا حَقيقةُ اِيمانِكُمْ؟ قٰالوا: الرِّضٰا بِقَضٰاءِ اللهِ وَالتَّفْويضُ اِلىَ اللهِ والتَّسْليمُ لِاَمْرِ اللهِ، فقٰالَ رَسول الله صلى الله عليه وآله: عُلَماءُ حكماءُ كادُوا اَنْ يَكُونُوا مِنَ الحِكْمَةِ انبِياءَ، فَاِنْ كُنْتُمْ صٰادِقينَ فَلا تَبْنُوا مٰا لٰا تَسْكُنُونَ وَلٰا تَجْمَعُوا مٰا لٰا تَأكُلُونَ واتَّقُواللهَ الّذي اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[٣]

---

١. الكافي: ٢ /١٦٦؛ الاختصاص، شيخ مفيد: ٣٢.
٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧؛ بحار الأنوار: ١ /١٨٨؛ الأمالي، شيخ مفيد: ٢٤٧.
٣. بحار الأنوار: ٦٤ /٢٨٦؛ الكافي: ٢ /٥٣.

انّ استلهام الحقائق القرآنيّة وتشرّب المعارف الالهيّة هو الطريق في تزكية النفس، حيث يتجلّى الاسلام بمعناه الحقيقي ونفوذ الايمان في القلب، وحينئذٍ تتدفّق ينابيع الحكمة من خلال مجاهدة النفس.

«وكن غريباً واجعل الدنيا سبيلاً للعبور» فهي دار ممر عابر الى مقر دائم، وهي مزرعة الآخرة، وما يزرع الانسان في دنياه يحصده غداً في أُخراه، إن خيراً فخير أو كان شرّاً فشرّ، وزارع الشوك يحصد شوكاً وزارع الورد يحصد ورداً.

وروى الشيخ الطوسي في كتابه «الأمالي» عن الامام محمّد الباقر عليه السلام انّ رسول الله لما قضى مناسكه من حجّة الوداع ركب راحلته وقال:

لايَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاّمَنْ كانَ مُسْلِماً. فَقامَ إليه أَبُوذَرٍّ: فقال يا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْإِسْلامُ؟ فقال: الْإِسْلامُ عُرْيانٌ ولِباسُهُ التَّقْوىٰ وزينَتُهُ الْحَياءُ، وَمِلاكُهُ الْوَرَعُ وكَمالُهُ الدِّينُ وثَمَرُهُ الْعَمَلُ الصّالِحُ ولِكُلِّ شَيْءٍ أساسٌ وأساسُ الْإِسْلامِ حُبُّنا أَهْلَ الْبَيْتِ.[1]

وروى أبو حمزة الثمالي عن الامام الباقر عليه السلام قوله:

اَربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كَمُلَ اِسلامُهُ، وأُعينَ عَلىٰ اِيمانِهِ، وَمُحِّصَتْ عَنْهُ ذُنوبُهُ وَلَقِيَ رَبَّهُ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ وَلَوْ كانَ فيما بَيْنَ قَرَنِهِ اِلىٰ قَدَمِهِ ذنوبٌ حَطَّهَا اللهُ تعالى عَنْهُ وَهِيَ: الوَفاءُ بِمٰا يَجْعَلُ عَلىٰ نَفْسِهِ بِلله وصِدْقُ اللِسان مَع الناسِ والحياءُ مِمّا يَقْبَحُ عندالله وعند الناس وحسن الخُلْقِ مع الأَهْلِ والناسِ.[2]

---

١. بحار الأنوار: ٦٥ / ٣٧٩؛ الأمالى، شيخ طوسى: ٨٤.

٢. مستدرك الوسائل: ٨ / ٤٦٢؛ الأمالى، شيخ طوسى: ١٨٩.

الصفات الحميدة

جاء في كتاب «آداب النفس» انّ صفات الانسان الصالح أربع: العفاف والتقوى والزهد في حطام الدنيا والورع عن ارتكاب المعاصي والذنوب.

فلا تصادق النفس فتتبع ميولها وتستجيب لمطالبها وشهواتها ولا ترافق الشيطان وتتبع خطواته؛ وكن على حذر منهما ما عشت، فانّهما لا يفتحان لك باب خير أبداً ويعملان على ايقاعك في الفخ المنصوب لك.

فان دعيت إلى الدنيا فقل انما المصير إلى فناء وزوال؛ وان دعيت إلى شهوة في معصية فقل انما مصير ذلك الندم الشديد وإن دعيت إلى العجب بالنفس والاغترار بها فقل ما أملك من نفسي شيئاً وإنّما المالك هو الله وما أنا إلّا مملوك.

وروى أحد العرفاء قال: وصف لي أحد العبّاد فأحببت لقاءه، فلما رأيته كلّمته فما جاوبني فأعدت عليه كلامي فما ردّ عليّ فقلت: بحق معبودك إلّا ما نظرت إليّ، فنظر إليّ فرأيت حاجباه قد تهدلا على عينيه.

فقلت له: أوصني! فأشار إليّ إنّي عن الكلام لمعذور، واللسان يزل بالانسان إلى العصيان!

ذهبت إليه يوماً فسمعت منه كلمتين:

ـ عجبت لمن أنس بك كيف يلتفت إلىٰ غيرك؟!

ـ عجبت لمن علم أن خزائن كلّ شيء عندك كيف يطلب من غيرك؟!

فقلت في نفسي لقد أبلغ في الوعظ، فسألت عنه من أهل القربة فقالوا ما سمعناه

تكلّم منذ خمسين سنة إلّا بذكر الله.[١]

وجاء في بحار الأنوار:

وَ قَدْ رَوَى بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ مَوْلانَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ عَلِيّاً عليه السلام فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُ أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسِي؟ قَالَ: يَا كُمَيْلُ وَأَيَّ الْأَنْفُسِ تُرِيدُ أَنْ أُعَرِّفَكَ؟ قُلْتُ: يَا مَوْلايَ هَلْ هِيَ إِلّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؟ قَالَ: يَا كُمَيْلُ إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ و الْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ وَالْكُلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ خَمْسُ قُوَى وَخَاصِيَّتَانِ:

فَالنَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً مَاسِكَةٌ وَجَاذِبَةٌ وَهَاضِمَةٌ وَدَافِعَةٌ وَمُرَبِّيَةٌ وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْكَبِدِ.

وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ، وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ الرِّضَا وَالْغَضَبُ وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْقَلْبِ.

وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَى فِكْرٌ وَذِكْرٌ وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاثٌ وَهِيَ أَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِالنُّفُوسِ الْفَلَكِيَّةِ وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ النَّزَاهَةُ وَالْحِكْمَةُ.

وَالْكُلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً بَهَاءٌ فِي فَنَاءٍ وَنَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ وَفَقْرٌ فِي غَنَاءٍ وَصَبْرٌ فِي بَلاءٍ وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ.

وَهَذِهِ الَّتِي مَبْدَؤُهَا مِنَ اللهِ وَإِلَيْهِ تَعُودُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ

---

١. آداب النفس.

رٰاضِيَةً ﴾ وَالْعَقْلُ فِي وَسَطِ الْكُلِّ.[١]

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه اذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء بهم إلى المزبلة، فيقول انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطّهم صار إلى ما ترون.

وسأل رجل الفضيل: ما أعجب الأشياء؟

قال: قلب عرف الله ثمّ عصاه!

وقال مرّة: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليّ من أن يصحبني عابد سيّء الخلق، لأنّ الفاسق إذا حسن خلقه خفّ على الناس وأحبّوه، والعابد إذا ساء خلقه ثقل على الناس ومقتوه.

---

١. بحار الأنوار: ٥٨ / ٨٤ ـ ٨٥؛ مستدرك سفينة البحار: ١٠ / ١١٣؛ تفسير الصافي: ٣ / ١١١.

وقد علّق صاحب البحار على الرواية بما يلي:

أقول: هذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الأخبار المعتبرة المتداولة وهي شبيهة بأضغاث أحلام الصوفية وقال بعضهم في شرح هذا الخبر: النفسان الأوليان في كلامه عليه السلام مختصان بالجهة الحيوانية التي هي محل اللذة والألم في الدنيا والآخرة والأخيرتان بالجهة الإنسانية وهما سعيدة في النشأتين وسميا الأخيرة فإنها لا حظ لها من الشقاء لأنها ليست من عالم الشقاء بل هي منفوخة من روح الله فلا يتطرق إليها ألم هناك من وجه وليست هي موجودة في أكثر الناس بل ربما لم يبلغ من ألوف كثيرة واحد إليها وكذلك الأعضاء والجوارح بمعزل عن اللذة والألم ألا ترى إلى المريض إذا نام وهو حي والحس عنده موجود والجرح الذي يتألم به في يقظته موجود في العضو ومع هذا لا يجد ألما لأن الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى البرزخ فما عنده خير فإذا استيقظ المريض أي رجع إلى عالم الشهادة ونزل منزل الحواس قامت به الأوجاع والآلام فإن كان في البرزخ في ألم كما في رؤيا مفزعة مولمة أو في لذة كما في رؤيا حسنة ملذة انتقل منه الألم واللذة حيث انتقل وكذلك حاله في الآخرة. انتهى ـ المترجم.

وقال هارون (الرشيد) للفضيل بن عياض: وما أزهدك؟!

قال: أنت يا هارون أزهد مني، لأني زهدت في دنيا فانية وأنت زهدت في آخرة باقية.[١]

روى الشيخ الصدوق قال:

سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ التَّابِعِينَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قَالَ الرَّجُلُ: فَأَتَيْتُ عَلِيّاً لِأَنْظُرَ إِلَى عِبَادَتِهِ فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ أَتَيْتُهُ وَقْتَ الْمَغْرِبِ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ الْمَغْرِبَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا جَلَسَ فِي التَّعْقِيبِ إِلَى أَنْ قَامَ إِلَى عِشَاءِ الْآخِرَةِ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلْتُ مَعَهُ فَوَجَدْتُهُ طُولَ اللَّيْلِ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ ثُمَّ جَدَّدَ وُضُوءَهُ وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلاةَ الْفَجْرِ ثُمَّ جَلَسَ فِي التَّعْقِيبِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَصَدَهُ النَّاسُ فَجَعَلَ يَخْتَصِمُ إِلَيْهِ رَجُلانِ فَإِذَا فَرَغَا قَامَا وَاخْتَصَمَ آخَرَانِ إِلَى أَنْ قَامَ إِلَى صَلاةِ الظُّهْرِ قَالَ فَجَدَّدَ لِصَلاةِ الظُّهْرِ وُضُوءاً ثُمَّ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ ثُمَّ قَعَدَ فِي التَّعْقِيبِ إِلَى أَنْ صَلَّى بِهِمُ الْعَصْرَ ثُمَّ أَتَاهُ النَّاسُ فَجَعَلَ يَقُومُ رَجُلانِ وَيَقْعُدُ آخَرَانِ يَقْضِي بَيْنَهُمْ وَيُفْتِيهِمْ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ فَخَرَجْتُ وَأَنَا أَقُولُ: أَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ.[٢]

الآثار النفسيّة للحسنات والسيّئات

يتأثر القلب الذي هو الجزء النابض ومركز العاطفة في الانسان بالأعمال سلباً

---

١. شرح نهج البلاغة: ٢/ ٩٦.
٢. بحار الأنوار: ٤١/ ١٣ ـ ١٤.

وإيجاباً، فالقلب يشبه المرآة؛ ذلك انه يتلقى النور والفيض؛ فاذا ارتكب الانسان أعمالاً مشينة فانه يصدأ حيث يترك العمل السلبي والذنب نقطة سوداء؛ فاذا شعر الانسان بالندم وعزم على عدم تكرار الخطيئة زالت هذه النقطة وعاد القلب إلىٰ صفائه ولكن إذا كرّر الخطيئة وارتكب المعصية كبرت هذه النقطة وتمدّدت وعندما يتمادى الانسان في المعاصي اظلمّ القلب.

جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

وَجَدْتُ الْحَسَنَةَ نُوراً فِي الْقَلْبِ وَزَيْناً فِي الْوَجْهِ وَقُوَّةً فِي الْعَمَلِ. وَوَجَدْتُ الْخَطيئَة سَواداً فِي الْقَلْبِ ووَهْناً فِي الْعَمَلِ وشَيْناً فِي الوَجْهِ.[1]

سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ: أيُّ حَسَنَةٍ أفْضَلُ عِنْدَ اللهِ؟ قالَ: حُسْنُ الْخُلْقِ والتَّواضُعُ والصَّبْرُ عَلَى الْبَلِيَّةِ، وَالرِّضا بِالْقَضاءِ. قالَ: أيُّ سَيِّئَةٍ أعْظَمُ عِنْدَاللهِ؟ قالَ: سُوءُالْخُلْقِ وَالشُّحُّ الْمُطاعُ.[2]

حكاية

يتحدّث ابن عربي عن أمير جاء في موكبه وحوله فرسانه وخدمه إلى أحد الأولياء وقال له: يا شيخ أتصح الصلاة بهذه الحلل؟! فضحك الشيخ، فسأله الأمير عن سبب ضحكه؟ فقال الشيخ: اضحك من قلّة عقلك، إنّما مثلك مثل كلب وقع في جيفة فهو متلوّث بالنجاسات ثمّ أراد قضاء حاجته فهو يحذر من أن يصيبه البول.

---

١. كنز العمال: ١٦/ ١١٠؛ ميزان الحكمة: ١/ ٦٣٦.

٢. كنز العمال: ١٦/ ١٢٩.

ان بطنك قد امتلأ من الحرام ومظالم العباد في رقبتك والظلم سوّد صفحات أعمالك ثمّ تخشىٰ الصلاة بهذه الثياب ؟!

فبكى الأمير وترجّل عن جواده وجلس على التراب وترك الدنيا وزهد فيها.

فلمّا مرّت أيام ثلاثة، أعطاه الشيخ حبلاً وقال: الضيافة ثلاثة أيّام فاخرج واحتطب واكسب عيشك، فخرج إلى الفلاة يحتطب وكان الناس ينظرون إليه ويبكون.

قال ابن عربي وهذا الأمير هو خالي.

وكان مصداق قوله تعالى:

﴿ وَأَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ ﴾.[1]

العبوديَّة الحقيقيّة

جاء في مصابيح القلوب:

انّ محمود الغزنوي ذهب إلى الصيد ومعه بعض فرسانه وجنوده فلمّا ارتفعت الشمس وأحسّوا حرارتها لمحوا غمامة قد سقط ظلّها على بقعة من الأرض فتراكضوا نحوها يستظلّون بها، إلّا حاجبه ظلّ في مكانه فقال له محمود: لِمَ لا تلجأ إلى الظلّ ؟ فقال: وأي سعادة أكبر وأنا أعيش في ظلّك ؟!

واني لاقسم بجلال ذي الجلال لو أنّ الانسان ترك غيره (غير الله) فلن يقف في طريق تكامله شيء حتّى يبلغ درجة العبوديّة الحقّة؛ فاذا بلغها فتلك ذروة

---

١. سورة النازعات: ٤٠.

السعادة والنعيم الخالد وسوف يجتاز المراحل الست جميعاً:

١ ـ ﴿ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ ﴾.[١]

٢ ـ فَتَمُرُّ فاطِمَةُ وشيعَتُها عَلَى الصِّراطِ كَالْبَرْقِ الْخاطِفِ.[٢]

٣ ـ ﴿ حَتّى إذا جاؤُوها و فُتِحَتْ أَبْوابُها ﴾.[٣]

٤ ـ ﴿ وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾.[٤]

٥ ـ ﴿ وَحُورٌ عينٌ * كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾.[٥]

٦ ـ ﴿ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ﴾.[٦]

أحبّ الخلق إلى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنَّ اللهَ تَعالٰى يُباهى بِالشّابِّ الْعابِدِ الْمَلائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إلٰى عَبْدى تَـرَكَ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلى.[٧]

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

إنَّ أَحَبَّ الْخَلائِقِ إلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ شابٌّ حَدَثُ السِّنِّ فى صُورَةٍ حَسَنَةٍ جَـعَلَ شَبابَهُ وجَمالَهُ لِلّهِ وفى طاعَتِهِ، ذٰلِكَ الَّذى يُباهى بِهِ الرَّحْمانُ مَلائِكَتَهُ، يَقولُ:

---

١. سورة الحديد: ٤.

٢. بحار الأنوار: ٤٣ /٢٢٣؛ ثواب الاعمال: ٢٢٠.

٣. سورة الزمر: ٧٣.

٤. سورة الزمر: ٧٣.

٥. سورة الواقعه: ٢٢ ـ ٢٣.

٦. سورة التوبة: ٧٢.

٧. كنز العمال: ١٥ /٧٧٦؛ نهج الفصاحة: ٣٠٣.

هٰذا عَبْدى حَقّاً.[١]

وقال الامام محمّد الباقر لسليمان بن جعفر الهذلي: يا سليمان من الفتى؟

قال: جعلت فداك، الفتى عندنا الشاب.

قال عليه السلام: أما علمت انّ أصحاب الكهف كانوا كلّهم كهولاً فسمّاهم الله فتية بايمانهم.

يا سُلَيْمانُ، مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاتَّقىٰ فَهُوَ الْفَتىٰ.[٢]

وصايا أبي ذر

يابن آدم! اجعل الدنيا مجلسين:

ـ مجلساً في طلب الحلال ومجلساً للآخرة، ولا تزد الثالث فانه لا ينفعك.

ـ واجعل مالك درهمين، درهم تنفقه على عيالك ودرهم لآخرتك والثالث لا ينفعك.

ـ واجعل الدنيا ساعة من ساعتين، ساعة مضت بما فيها فلست قادراً على ردها وساعة آتية لست على ثقة من ادراكها والساعة التي أنت فيها ساعة عملك، فاجتهد فيها لنفسك واصبر فيها عن معاصي ربك، فان لم تفعل فقد هلكت.[٣]

---

١. كنز العمال: ١٥ /٧٨٥.

٢. بحار الأنوار: ١٤ /٤٢٨؛ تفسير العياشي: ٢ /٣٢٣.

٣. مجموعة ورام: ٢ /٢٠؛ المواعظ العددية: ١٠٧.

الزينة في حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في رواية مهمّة:

زِينَةُ الدُّنْيا ثَلاثَةٌ: الْمالُ والْوَلَدُ والنِّساءُ.

وَزِينَةُ الْآخِرَةِ ثَلاثَةٌ: الْعِلْمُ وَالْوَرَعُ وَالصَّدَقَةُ.

وَأَمّا زِينَةُ الْبَدَنِ: قِلَّةُ الْأَكْلِ وَقِلَّةُ النَّوْمِ وَقِلَّةُ الْكَلامِ.

وَأَمّا زِينَةُ الْقَلْبِ: فَالصَّبْرُ وَالصَّمْتُ وَالشُّكْرُ.[1]

حـــياتك أنـــفاس تـــعد فكـــلّما مضى نفسٌ منها انتقصت به جـزءا

ويحييك ما يفنيك فـي كـلّ حـالة ويحدوك حادٍ ما يـريد بك الهـزءا

فتصحب في نفسٍ وتمسي بـغيرها ومالك من عـقل تـحس بـه رزءا

الجواهر الأربعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أَرْبَعَةُ جَواهِرَ تُزيلُها أَرْبَعَةٌ: أَمَّا الْجَواهِرُ: فَالْعَقْلُ وَالدِّينُ وَالْحَياءُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ: أَمَّا الْغَضَبُ فَيُزيلُ الْعَقْلَ وَأَمَّا الْحَسَدُ فَيُزيلُ الدِّينَ، أَمَّا الطَّمَعُ فَيُزيلُ الْحَياءَ وَأَمَّا الْغَيبَةُ فَيُزيلُ الْعَمَلَ الصّالِحَ.[2]

وصايا الأنبياء:

أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام قال:

---

١. المواعظ العددية: ١٢٧. ٢. المواعظ العدديّة: ٢١١.

يا موسى ستّة أشياء في ستّة مواضع والناس يطلبونها في ستّة أشياء فلم يجدوها أبداً:

ـ إنّي وضعت الراحة في الجنّة والناس يطلبونها في الدنيا.

ـ إنّي وضعت العلم في الجوع والناس يطلبونه في الشبع.

ـ إنّي وضعت العزّ في قيام الليل والناس يطلبونه في أبواب السلاطين.

ـ إنّي وضعت الرفعة والدرجة في التواضع والناس يطلبونها في التكبّر.

ـ إنّي وضعت إجابة الدعاء في لقمة الحلال والناس يطلبونها في القيل والقال.

ـ إنّي وضعت الغنى في القناعة والناس يطلبونه في كثرة العروض ولم يجدوه أبداً.[١]

تعلّمت من الصادق

روي عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال لبعض تلامذته يوماً: أيّ شيء تعلمت مني؟ فقال: ثماني مسائل، قال قصّها عليّ لأعرفها قال:

الأولى: رأيت كلّ محبوب يفارقه حبيبه عند الموت، فصرفت همّتي إلى ما لا يفارقني وبل يؤنسني في وحدتي وهو فعل الخير وهو قوله تعالى:

﴿ **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً** ﴾.[٢]

---

١. المواعظ العدديّة: ٣٠٩، باب ٦، في السداسيات.

٢. سورة المزمّل: ٢٠.

قال: أحسنت والله.

الثانية: رأيت قوماً يفخرون بالحسب والآخرون بالمال والولد، وإذا ذلك الفخر لا فخر فيه، فرأيت الفخر العظيم في قوله:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.[١]

قال: أحسنت والله.

الثالثة: رأيت لهو الناس وسمعت قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.[٢]

فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتّى استقرّت في مرضاة الله.

قال عليه السلام: أحسنت والله.

الرابعة: رأيت كلّ من وجد شيئاً مكرماً اجتهد في حفظه وسمعت قول الله تعالى:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾.[٣]

فاحببت المضاعفة ولم أر احفظها يكون عنده، فلما وجدت شيئاً مكرماً عندي وجهت به إليه ليكون لي ذخراً إلى وقت حاجتي.

قال عليه السلام: أحسنت والله.

الخامسة: رأيت حسد الناس بعضهم لبعض في الرزق وسمعت قوله تعالى:

---

١. سورة الحجرات: ١٣.
٢. سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١.
٣. سورة الحديد: ١١.

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.[١]

ما حسدت أحداً ولا أسفت على ما فاتني.

قال عليه السلام: أحسنت والله.

السادسة: رأيت عداوة الناس بعضهم لبعض في دار الدنيا والحزازات التي في صدورهم وسمعت قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾.[٢]

فاشتغلت بعدواة الشيطان عن عداوة غيره.

قال عليه السلام: أحسنت والله.

السابعة: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق وسمعت قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾.[٣]

فعلمت أنّ وعده حق وقوله صدق فسكنت إلى وعده ورضيت بقوله واشتغلت بما له عليّ من مالي عنده.

قال عليه السلام: أحسنت والله.

الثامنة: رأيت قوماً يتكلون على صحّة أبدانهم وقوماً على كثرة أموالهم وقوماً على خلق مثلهم وسمعت قوله تعالى:

---

١. سورة الزخرف: ٣٢.
٢. سورة الفاطر: ٦.
٣. سورة الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾.[١]

فاتكلت على الله وزال اتكالي علىٰ غيره.

فقال عليه السلام: والله ان التوراة والانجيل والزبور والفرقان وسائر الكتب يرجع إلى هذه المسائل.[٢]

يا عاشق الدنيا لغيرك وجهها ولتندمنّ إذا أرتك قفاها

* * *

تحرز من الدنيا فانّ فناءها محلّ فناء لا محلّ بقاء

فصفوتها ممزوجة بكدورة وراحتها مقرونة بعناء

الرذائل الأخلاقيّة؛ الجذور والعلاج

العارفون الواعون الذين زكوا أنفسهم في ضوء آيات القرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومعارف أهل البيت الكرام عليهم السلام يشيرون إلى أن جذور الرذائل الأخلاقيّة ثلاثة:

الشهوة ـ والغضب ـ الهوى.

ومن هذه الجذور تخرج ادغال مرّة هي: الحرص والبخل والعُجب والكبر والبدعة والكفر والحسد.

---

١. سورة الطلاق: ٢ ـ ٣.

٢. المواعظ العدديّة: ٣٤٢، باب ٨، فى الثمانيات.

العلاج

ان سورة الحمد إذا ما تعمّق الانسان في معانيها تتضمّن علاج هذه الرذائل، فـ «بسم الله الرحمن الرحيم» تنطوي على ثلاثة أسماء: الله ـ الرحمن ـ الرحيم.

فمن تجلّى في قلبه مقام معرفة الله وأشرق هذا المعنى في وجوده؛ فان اسم الله ذات تستجمع جميع صفات الكمال، فهو المعبود والمحبوب والمدبّر ومن بيده مقاليد الوجود، فمن تشرّب هذه المعاني تحرر من عبادة الهوى؛ وما عبادة الأهواء إلّا نتيجة الابتعاد عن الحق ومن استسلم للهوى؛ استحالت حياته إلى هباء منثوراً.

يا مُوسىٰ! خالِفْ هَواكَ فَإنّى ما خَلَقْتُ خَلْقاً نازَعنى فى مُلْكى إلاَّ الْهَوىٰ.[1]

ومن توجّه بقلبه إلى الحقيقة الرحمانيّة فان نورها يشرق على قلبه ويكتسب هذه الصفة فيشعّ قلبه على وجوده ويستنير عقله بهذه الحقيقة، هنالك لا يبقى مجال في وجوده لنار الغضب ويبقىٰ عقله وروحه وقلبه بمأمن من أخطارها فالغضب ريح عاتية تطفئ سراج العقل.

﴿ **ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ** ﴾.[2]

فلا يبقىٰ من الغضب إلّا ما كان له سبحانه وتعالىٰ فيتحوّل من نار إلىٰ نور؛ لأنّه لا يحصل من أجل الهوىٰ وإنّما من أجل الله وفي سبيل الله تعالىٰ.

ومن بلغ حقيقة الرحيميّة وتشرّب قلبه هذه الصفة فانّه يبقىٰ بمأمن من ظلمه لنفسه وظلمه للآخرين.

---

١. التفسير الكبير، فخر رازى: ١ /٢٦٧. ٢. سورة الفرقان: ٢٦.

وبالنظر إلىٰ حقيقة «الحمد لله» التي تدلّ علىٰ انحصار الشكر بالله تعالىٰ ولله تعالىٰ فانّ من بلغ مقام الشكر الذي هو الاعتراف بالنعم والمنعم واستشعار الانسان بالطاعة للمنعم والتسليم له، فانه يتحرّر من الرغبات الخاطئة والشهوات المنحرفة، ومن بلغ مقام الشكر نجا من أخطار البخل والحرص وأمن من هاتين الآفتين.

وبـ ﴿**اَلرَّحْمٰن الرَّحيم**﴾[١] و ﴿**مالِكِ يَوْمِ الدّين**﴾[٢] تجتثّ جذور الغضب وبـ ﴿**إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٣] تجتثّ أشواك العُجب والتكبّر!

فاذا بلغ «الصراط المستقيم» تحرّر المرء من شرّ الهوى فاذا أزال خطر الهوىٰ نجا الانسان من آفة الكفر وآفة البدعة.

فاذا وعى ما عليه من مصير بائس يكتنف المغضوب عليهم والضالين بسبب انحرافهم عن صراط أولياء الله الذين أنعم الله عليهم؛ فانّ المرء ينجو من مرض الحسد ويفلت من براثنه كما يفلت الطائر السجين من القفص، فتسمو الروح في الفضاء الرحب بعيدة عن أسار الحسد وناره فانّ الحسد نار شديدة الأوار تحرق الصفات الحميدة في الانسان وتحيل كلّ ما هو أخضر زاه إلى رماد ودخان.

ينبغي علينا أن نخلو مع أنفسنا في كلّ ليلة ساعة ونفكّر في أعمالنا وأقوالنا وخفايا أفكارنا ونحاكم أنفسنا ونلومها وننتقدها.

كان ابن سمّاك يخاطب نفسه كلّ ليلة قائلاً:

يا نَفْسُ تَقولينَ قَوْلَ الزّاهِدينَ وتَعْمَلينَ عَمَلَ الْمُنافِقينَ وفِي الْجَنَّةِ تَطْمَعينَ!

---

١. سورة الفاتحة: ٣.
٢. سورة الفاتحة: ٤.
٣. سورة الفاتحة: ٥.

هَيْهاتَ، إنَّ لِلْجَنَّةِ اقواماً آخَرينَ ولَهُمْ أعْمالٌ غَيْرُ ما تَعْمَلينَ.[١]

فاذا تركت النفس علىٰ هواها فانّها سرعان ما تقع في أسر الشيطان الذي يقودها إلىٰ أن تكون حطب جهنّم.

يقول القرآن الكريم:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.[٢]

يقول الإمام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآية أعلاه:

مِنْ بَيْنِ أيْديهِمْ: مَعْناهُ اُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ أمْرَ الْآخِرَةِ.

وَمِنْ خَلْفِهِمْ: آمُرُهُمْ بِجَمْعِ الْأمْوالِ وَالْبُخْلِ بِها عَنِ الْحُقوقِ لِتَبْقىٰ لِوَرَثَتِهِمْ.

وَعَنْ أيْمانِهِمْ: اُفْسِدُ عَلَيْهِمْ أمْرَ دينِهِمْ بِتَزْيينِ الضَّلالَةِ وَتَحْسينِ الشُّبْهَةِ.

وَعَنْ شَمائِلِهِمْ: بِتَحْبيبِ اللَّذّاتِ إلَيْهِمْ وتَغْليبِ الشَّهَواتِ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ.[٣]

هي حالان شدّة ورخاء ... وسجالان نعمة وبلاءُ

إنّ المت مـلمّة بي فاني ... في الملمّات صخرة صمّاءُ

عالم بالبلاء علماً بأن ... ليس يدوم النعيم واللأواءُ

---

١. روضة الواعظين، للنيشابوري: ٢/ ٤١٥.

٢. سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٨.

٣. ترجمة تفسير مجمع البيان: ٢/ ٤٠٣، ذيل آية ١٧ سورة اعراف؛ بحار الأنوار: ١١/ ١٣٢.

حالات النفس

عندما نهمل النفس الانسانيّة فلا يتمّ اخضاعها للتعاليم الدينيّة والتربية الاسلاميّة؛ فانّها تشهد تقلّبات مدهشة واضطرابات معقدة يصعب علاج أمراضها وعقدها وما تتعرّض له من حالات وتغيّرات.

وقد تصل في آخر الأمر إلىٰ أن تتّبع الشيطان فيما كلّ ما يريد بل تكون رفيقاً له وهي تتخبّط في متاهات مظلمة وترتكب الخطيئة والجريمة علىٰ نحو عادي.

يشير القرآن الكريم إلىٰ سبع حالات للنفس البشريّة:

١ ـ النفس الأمّارة؛

٢ ـ النفس المتحسّرة؛

٣ ـ النفس الرهينة؛

٤ ـ النفس الأهوائيّة؛

٥ ـ النفس الدسّاسة؛

٦ ـ النفس السفهيّة؛

٧ ـ النفس التسويليّة.

وهذه الحالات أشار إليها القرآن الكريم في آياته:

١ ـ النفس الأمّارة:

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾.[١]

٢ ـ النفس المتحسّرة

﴿ وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ ٱللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ ﴾.[٢]

٣ ـ النفس الرهينة

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ ﴾.[٣]

٤ ـ النفس الأهوائيّة

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾.[٤]

٥ ـ النفس الدسّاسة

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾.[٥]

---

١. سورة يوسف: ٥٣.
٢. سورة الزمر: ٥٥ ـ ٥٦.
٣. سورة المدّثّر: ٣٨ ـ ٣٩.
٤. سورة النازعات: ٤٠.
٥. سورة الشمس: ١٠.

٦ ـ النفس السفهيّة

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾.[١]

٧ ـ النفس التسويليّة

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.[٢]

النفس هو مركز الميول والرغبات والأهواء والنزعات والشهوات والتي يتوجب أن تكون تحت سيطرة القوانين الدينيّة الشرعيّة؛ ذلك انّ القواعد الربّانيّة التي هي تحدّ من تمردّها واندفاعها الأهوج من أجل اشباع غرائزها وتلبية رغباتها ويحكى أن تاجراً من تجّار همدان جاء إلىٰ «بابا طاهر عريان» (من مشاهير المتصوّفة في همدان، له ديوان شعر) وقال له:

ـ إنّ الله قد أغناني من مال الدنيا، فأخبرني أي فتاة تحبّ حتّىٰ أزوّجك؟

ولم يكن سنّ بابا طاهر مناسباً وكان بامكانه أن يوافق لكنّه فكّر انّه سوف يؤدّي إلىٰ اضطراب الحياة العاطفيّة لأحد عباد الله فضبط نفسه وقال:

«مسّني حب، سيّدي ومولاي.

فضاعف الهوى في بستان الروح.

كففت يدي عن هذه الدنيا لأفوز في ذلك العالم.

---

١. سورة البقرة: ١٣٠.
٢. سورة يوسف: ١٨.

موعظة النفس

جاء في الأثر:

أوْحَى اللهُ إلىٰ عيسى بْنَ مَرْيَمَ عليهما السلام: عِظْ نَفْسَكَ، فَإنْ اتَّعَظْتَ فَعِظِ النّاسَ وإلاّ فَاسْتَحْيِ مِنّي.[1]

انّ النفس المريضة يجب معالجتها بالقرآن الكريم وسنّة الرسول الأكرم ﷺ وأن يكون المرء جادّاً في ذلك والويل لمن استخفّ بكلام الله تعالى وحديث رسوله ﷺ ولم يأخذ بالمواعظ والوصايا الالهيّة فيذعن لنصائح البشر الماديّة ويعرض عن التحذيرات الروحيّة والحقيقيّة.

يقول «محسن الفيض» ذلك العالم الجليل القدر والحكيم الكبير لو أنّ طبيباً يهوديّاً حذّرك من ألذّ الأطعمة وقال لك انّ في تناولها ضرر علىٰ بدنك، فانّك ستبادر إلىٰ الامتناع عن كلّ ما حذرك من تناوله.

غير انّك تعرض عن قول الأنبياء وقد أيّدهم الله سبحانه بالمعجزات والتصديق.

فيا عجبا منك إذ تصدّق طفلاً إن أخبرك انّ في ثيابك عقرباً فتبادر من فورك إلىٰ تفتيش ثيابك وملابسك من دون أن تطلب من الطفل دليلاً وبرهاناً؛ ولكن يصعب عليك أن تصدق ما أخبر به الأنبياء فهل أن أقوال الأنبياء أقل قيمة وشأناً من كلام الأطفال؟!

تخشىٰ النار في عود الثقاب ولا تخشىٰ نار جهنّم ولا صديدها وسلاسلها

---

١. فيض القدير: ١ / ١٠٤؛ الدرّ المنثور: ٢ /٢٨؛ جامع السعادات: ٢ /١٨٧.

وأغلالها وزقومها وقد قال النبي ﷺ انّ قطرة من الزقّوم تقتل جميع الأحياء في مياه البحار.[١]

حبّ النفس

جاء في الحديث النبوي الشريف:

قالَ رَسُولُ الله ﷺ: سَيَأتي زَمانٌ عَلىٰ اُمَتي يُحِبُّونَ خَمْسَاً وَيَنْسَوْنَ خَمْسَاً: يُحِبُّونَ الدُّنيا وَيَنْسَوْنَ الآخِرَةَ وَيُحِبُّونَ الْمالَ وَيَنْسَونَ الْحِسابَ وَيُحِبُّونَ النِّساءَ وَيَنْسَوْنَ الْحُورَ وَيُحِبُّونَ القُصُورَ وَيَنْسَوْنَ القُبُورَ وَيُحِبُّونَ النَّفْسَ وَيَنْسَوْنَ الرَّبَّ اُولئِكَ بَريئُونَ مِنّي وَاَنَا بَرئٌ مِنْهُمْ.[٢]

يقول ملا صدرا «صدر المتألّهين» في كتابه «هداية الطالبين»:

انّ النفس إمّا أن تكون:

ـ شريفة أو خسيسة.

ـ قويّة أو ضعيفة.

ـ أو تكون جامعة يعني تكون شريفة وقويّة.

والنفس الشريفة هي من ربّاها صاحبها علىٰ أساس المعارف الالهيّة فهي تتمتّع بالحكمة والحريّة.

والحكمة فيها معرفة الله، ومعرفة النفس، والطاعة ومعرفة الاخطار.

---

١. عن المحجّة البيضاء: ٨/ ٣١٩، ٣٥٨، ٣٦١، بتصرّف.

٢. المواعظ العددية: ٢٥٦، باب ٥، فى الخماسيات؛ الحكم الزاهرة، ترجمة الأنصارى: ١٢٨.

والحريّة أي انّها تحرّرت من أسر الميول والغرائز والشهوات.

وتقابل هذه النفس الخسيسة التي تعيش الحرمان من الحكمة والحريّة والحرمان من الفضائل ومن رحمة الله تبارك وتعالى.

والنفس القويّة وهي النفس المتشرّبة بالحقائق الالهيّة وتقابلها النفس الضعيفة التي تصبح مركباً للشيطان والنفس الجامعة هي نفوس الأنبياء والأولياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وقال «حاجي سبزواري»:

الانسان عزيز الوجود واندر النوادر، أفلا ترىٰ تدبير القدرة الالهيّة؛ فمن بين جميع الجمادات التي لا يعرف مقدارها جعل من بينها قدراً ضئيلاً من النبات؛ ومن بين كلّ هذه الكائنات الحيّة جعل قلّة منها أناساً؛ ومن بين الناس جميعاً جعل قلّة منهم عقلاء ومن بين العقلاء جميعاً جعل منهم عدداً ضئيلاً من المسلمين ومن بين جميع المسلمين جعل منهم عدداً ضئيلاً من المؤمنين؛ ومن بين جميع المؤمنين جعل منهم عدداً ضئيلاً من العابدين؛ ومن بين جميع العابدين جعل عدداً ضئيلاً منهم زهاداً؛ ومن بين جميع الزهاد جعل منهم عدد ضئيلاً علماء؛ وبين جميع العلماء جعل منهم عدداً ضئيلاً عرفاء؛ ومن بين جميع العرفاء جعل عدداً ضئيلاً أولياء؛ ومن بين الأولياء عدداً ضئيلاً من الأنبياء؛ ومن جميع الأنبياء اختار خمسة من أُولي العزم؛ ومن بين هؤلاء الخمسة اصطفىٰ واحداً هو المختار خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله فاعرفوه واستلهموا منه الدروس والعبر والمواعظ واستجيبوا لدعوته حتّى تطهر قلوبكم وتتقرّبوا إلى الله بنفوس زكيّة وبالعمل الصالح.

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[١]

وجاء في الحديث الشريف:

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: اَللّهُمَّ إنّى أعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ وَدُعاءٍ لا يُسْمَعُ.[٢]

وللنفس ثلاث صفات: الكفر والنفاق أو الرياء وهـذه الصـفات لا تـزول إلّا بالرياضة وليست الرياضة؛ إلّا أداء الواجبات وترك المحرّمات والمداومة علىٰ ذلك يطهر النفس ويزكّيها.

وقد جاء في تاريخ صدر الاسلام انّ حبراً يهوديّاً يدعى «مخيريق» خاطب قومه يوم السبت وكان رسول الله ﷺ في جبل أُحد حيث اصطف جيش المسلمين لمواجهة المشركين فقال لهم:

ـ يا معشر اليهود! والله انكم لتعلمون أنّ محمّداً نبي وأن نصره عليكم لحقّ!

فقالوا: ويحك اليوم يوم سبت!

فقال: لا سبت!

ثمّ أخذ سلاحه وحضر مع النبي ﷺ فأُصيب فقال رسول الله ﷺ:

ـ مخيريق خير يهود.

وكان مخيريق قد أوصىٰ ان قتل في المعركة فأمواله للنبي ﷺ يتصرّف بها: «إن أصبت فأموالي لمحمّد يضعها حيث أراه الله».

---

١. سورة الأحزاب: ٢١.

٢. بحار الأنوار: ٨٣/ ١٨؛ مستدرك الوسائل: ٥/ ٧٠.

فهي عامّة صدقات النبي ﷺ.[١]

أيــقظان أنت اليـوم أم أنت نـائم وكـــيف النـــوم حـــيران هـــائم

قد كـنت يـقظان الغـداة لحـرقك مدامع عينيك الدمـوع السـواجـم

نـــهارك يـا مـغرور لهـو وغـفلة وليـــــلك نـــوم والردىٰ لك لازم

وسعيك مـمّا سـوف تكـره عـنده وعيشك في الدنيا كعيش البـهائم

تسـرّ بـما يـفنىٰ وتـفرح بـالمنىٰ كما سرّ باللذات فـي النـوم حـالم

فلا أنت في اليقظين يـقظان ذاكـر ولا أنت فـي النـوّام نـاج وسـالم

والانسان إذا ما ترك نفسه دونما تربية وتزكية وتهذيب فان أصبح حاكماً صار ظالماً وإن أضحىٰ ثريّاً صار مترفاً مسرفاً بخيلاً وإن أمسىٰ عالماً صـار مـرائـياً متظاهراً.

حديث النيران

روى الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام انّ رسول الله ﷺ قال:

تُكَلِّمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةً أَمِيراً وَقَارِئاً وَذَا ثَرْوَةٍ مِنَ الْمَالِ فَتَقُولُ لِلْأَمِيرِ: يَا مَـنْ وَهَبَ اللهُ لَهُ سُلْطَاناً فَلَمْ يَعْدِلْ فَتَزْدَرِدُهُ كَمَا يَزْدَرِدُ الطَّيْرُ حَبَّ السِّمْسِمِ، وَتَقُولُ لِلْقَارِئِ: يَا مَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ وَبَارَزَ اللهَ بِالْمَعَاصِي فَتَزْدَرِدُهُ، وَتَقُولُ لِلْغَنِيِّ: يَا مَنْ وَهَبَ اللهُ لَهُ دُنْيَا كَثِيرَةً وَاسِعَةً فَيْضاً وَسَأَلَهُ الْحَقِيرَ الْيَسِيرَ قَرْضاً فَأَبَى إِلّا بُخْلاً فَتَزْدَرِدُهُ.[٢]

---

١. بحار الأنوار: ٢٠ / ١٣٠؛ شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد: ١٤ / ٢٦٠.

٢. بحار الأنوار: ٨ / ٢٨٥.

مراقبة النفس

جاء في آداب المراقبة:

الْأَوَّلُ تَرْكُ الْمَعاصى وَهٰذا هُوَ الَّذى بُنِىَ عَلَيْهِ قِوامُ التَّقْوىٰ وَاُسِّسَ عَلَيْهِ أساسُ الْآخِرَةِ وَالْأُولىٰ. وَما تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ بِشَىْءٍ أعْلىٰ وَأفْضَلَ مِنْهُ.

الأول: بِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ.

اَلثّانى: الْاِشْتِغالُ بالطّاعاتِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ.

اَلثّالِثُ: عَدَمُ الْغَفْلَةِ.

اَلرّابع: الْحُزْنُ الدّائِمُ، قالَ: إنّى لا أسْكُنُ إلاّ فى قَلْبٍ مَحْزُونٍ.

أخلاق الصالحين

جاء في كتاب «الأربعين» للشيخ البهائي انّ رسول الله ﷺ ذكر عشر صفات من كنّ فيه فهو من الصالحين:

- الصمت إلّا عن قول الحقّ فهو باب النجاة.
- التأمّل في شؤون الحياة.
- ذكر الله باللسان والقلب والعمل.
- استلهام العبر من خلال النظر.
- النطق بالحكمة.
- قضاء حوائج الناس وارشادهم وتقديم الخدمة لهم.

ـ الخوف والورع عن ارتكاب المعاصي.

ـ الأمل بالله عزّوجلّ.

ويعلّق الشيخ البهائي علىٰ ذلك قائلاً: ومن تأمّل في هذه الصفات وجدها أُمّهات الصفات الاخرى، ومن توفّرت لديه هذه الصفات اشتدّ اتّصاله بالمقامات الملكوتيّة والفيوضات القدسيّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عَلَيُّ! سَبْعَةٌ مَنْ كُنَّ فيه فَقَدِ اسْتَكْمَلَ حَقيقَةَ الْإيمانِ وَأبْوابُ الْجَنَّةِ مُفَتَّحَةٌ لَهُ: مَنْ أسْبَغَ وُضُوءَهُ وأحْسَنَ صَلاتَهُ وَأدّىٰ زَكاةَ مالِهِ وكَفَّ غَضَبَهُ وسَجَنَ لِسانَهُ، وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِهِ وَأدَّى النَّصيحَةَ لِأهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ.[1]

عنْ أميرِالمؤمنينَ عليه السلام: طُوبىٰ لِمَنْ عَصىٰ فِرْعَوْنَ هَواهُ وأطاعَ مُوسىٰ تَقْواهُ، طُوبىٰ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعادَ وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الزّادِ، طُوبىٰ لِمَنْ راقَبَ رَبَّهُ وخافَ ذَنْبَهُ، طُوبىٰ لِمَنْ أشْعَرَ التَّقْوىٰ قَلْبَهُ، طُوبىٰ لِمَنْ حافَظَ عَلىٰ طاعَةِ رَبِّهِ، طُوبىٰ لِمَنْ خَلا مِنَ الْغِلِّ صَدْرُهُ وَسَلِمَ مِنَ الْغَشِّ قَلْبُهُ.[2]

أجل هذه هي حقائق الحياة النفسيّة والروحيّة فلو التزم الانسان بها لسمت نفسه وانعكست فيها الحقائق الملكوتيّة.

مَنْ أماتَ نَفْسَهُ يُلَفُّ فى كَفَنِ الرَّحْمَةِ ويُدْفَنُ فى أرضِ الْكَرامَةِ وَمَنْ أماتَ قَلْبَهُ يُلَفُّ فى كَفَنِ اللَّعْنَةِ وَيُدْفَنُ فى أرضِ الْعُقُوبَةِ.

---

١. بحار الأنوار: ٦٦ / ١٧٠؛ الخصال: ٢ / ٣٤٦.

٢. عيون الحكم والمواعظ: ٣١٤.

اشارة

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أجمل أم يوسف؟ فقال صلى الله عليه وآله:

هُوَ أَصْبَحُ مِنّى وأنَا أمْلَحُ مِنْهُ.[1]

وقوله صلى الله عليه وآله: أنا أملح واستخدام التشبيه بالملح ينطوي علىٰ إشارتين:

ـ الأولىٰ انّ الملح يذوب داخل المواد الاخرى ليحفظها ويبقيها سليمة ويضفي عليها طعماً طيّباً، ولقد ذاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام في أنواع الحوادث والمصاعب والمشاق والواجبات ليحموا الناس من الشر والشرور والشقاء واستمرارهم في البقاء الالهي.

ـ الثانية انّ الكلب من الحيوانات النجسة عيناً فلو غسلته بمياه سبعة بحار فلن يطهر، ولكن إن وقع في المملحة أو (الأرض المالحة) فانّه بعد مدّة تتغيّر حالته ويصبح طاهراً.

انّ النفس الأمّارة كلب فلو وقعت في مملحة شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله التي هي منظومة من العقائد والأخلاق والعمل فان هذه النفس ستفقد حالتها الأمارة وتستحيل إلىٰ نفس مطمئنّة راضيّة مرضيّة.

انّ المكارم أخلاق مطهّرة — فالعقل أوّلها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والعلم رابعها — والجود خامسها والعرف سادسها

والبرّ سابعها والصبر ثامنها — والشكر تاسعها واللين عشريها

---

١. معالم السبطين، الحائري: ١ /٤٠٨.

والعين تعلم من عـيني مـحدثها إن كان من حزبها أو من أعـاديها

والنـفس تـعلم أنّـي لا أصـدقها ولست أرشـد إلّا حـين أعـصيها

داود الطائي[١]

ذكر أحدهم قال: جئت إلىٰ باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثمّ استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان؟ قلت: سمعتك تتكلّم فظننت أن عندك أحداً، قـال: لا، ولكـن كـنت أُخاصم نفسي، اشتهت البارحة تمراً، فخرجت فاشتريت لها، فلمّا جئت اشـتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمراً ولا جزراً حتّىٰ ألقاه.[٢]

وروي انّ الفضيل بن عياض انّه جاء إلىٰ منزل داود الطائي فسمع نياحاً من داخل الدار فناداه فضيل يا داود: انّ رسول الله ﷺ يقول:

لايَدْخُلُ النّارَ مَنْ بَكٰى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.[٣]

فلم هذا النوح والبكاء يا داود! افتح الباب فقد جئت لزيارتك فجاءه الجواب: تمنعني لقاءك خشية الله، أنا مشغول بنفسي.

فخرجت امرأة جارة له وقالت لفضيل: انـتظر حـتّىٰ يـخرج للـمسجد وقت

---

١. بدأ حياته بدراسة الفقه وعلوماً أُخرىٰ ثمّ اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلىٰ آخر عمره، قدم بغداد في عهد الخليفة العبّاسي المهدي بن المنصور ثمّ عاد إلى الكوفة حيث توفي فيها ـ المترجم.

٢. وفيات الأعيان، ابن خلّكان ٥ /٢٣١.

٣. وسائل الشيعة: ٧ /٧٦؛ أعلام الدين: ٢٧٦.

الصلاة، فلمّا خرج إلى المسجد لحقه ثمّ عاد معه إلى منزله فاستأذنه في الدخول.

فلمّا دخل رأى جرّة ماء مكسورة تحت أشعّة الشمس وحجرة خالية من الأثاث إلّا القليل فقال لداود: ألا تضع الجرّة في الظل حتّى يبرد ماؤها؟

فقال داود: انّ في نفسي لضعف فان احست برد الماء ولذّته أخذتني إلى ملذات الدنيا.

فقال فضيل: يا داود ألا ترمم دارك؟

فقال داود: لا أعمر دنياي فعما قليل راحل.

يقول فضيل: كان داود بهي الطلعة في غاية الحسن فرأيته وقد نحل جسمه واصفرّ وجهه فقلت له: ماذا دهاك يا داود؟ فقال: قد أغمّني ثمانية:

هموم داود الطائي

١ ـ هول المطّلع

هول المطّلع يعني لحظة النهاية.. نهاية الحياة حيث يغادر الانسان عالم الحياة الدنيا:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.[١]

﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[٢]

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ

---

١. سورة آل عمران: ١٨٥.

٢. سورة النساء: ٧٨.

﴿ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾.[١]

﴿ فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾.[٢]

٢ ـ هول القبر

الولوج في القبر في مكان مظلم موحش بارد ضيق؛ حيث الغربة لم يصطحب من الدنيا سوى قطعتي قماش، أسير مكان لا يمكن الفرار منه، سرعان ما يتحدّد مصير الانسان في هذا المكان؛ حيث يستحيل إمّا إلى حديقة غنّاء أو حفرة تستعر بألسنّة النار.

رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَر النّيرانِ.[٣]

٣ ـ هول المساءلة

يصرخ به الملكان:

مَنْ رَبُّكَ؟[٤]

فلا يدري الانسان ما يكون جوابه لأن ذلك يعود إلى فسيل التوحيد في نفسه هل نما وأورق وضربت جذوره في قلبه وروحه، أم ان بذرة التوحيد قد مـاتت بسبب الغفلة.

---

١. سورة القيامة: ٢٦ ـ ٣٠.　　٢. سورة الواقعة: ٨٣ ـ ٨٤.

٣. بحار الأنوار: ٤١ / ٢٤٩؛ الاختصاص: ٣٥٩.

٤. بحار الأنوار: ٦ / ١٧٥؛ وسائل الشيعة: ٣ / ١٧٦.

٤ ـ هول النفخ في الصور

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ ٱلأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.[١]

وهنا يتحدّث داود الطائي لفضيل ويخبره انه بعد نفخ الصور تعود الروح إلى البدن ويخرج الانسان من أعماق التراب إلىٰ ساحة الحشر يومئذٍ يتحدّد مصيره ومستقبله.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.[٢]

٥ ـ هول المحشر

فلا يدري الانسان هل تتلقّفه ملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة فيسمع نداء السلام:

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ ﴾.[٣]

٦ ـ هول الموقف

حيث يقف الناس للحساب:

---

١. سورة يس: ٥١ ـ ٥٢.
٢. سورة آل عمران: ١٠٦ ـ ١٠٧.
٣. سورة حجر: ٤٦.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾.[١]

٧ ـ هول الميزان

هنالك توزن أعمال الانسان في ميزان الحق:

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.[٢]

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ﴾.[٣]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾.[٤]

٨ ـ هول الغضب

الله عزّوجلّ هو الرحمة المطلقة حيث تتجلّىٰ رحمة في الدنيا في نزول القرآن الكريم والشريعة وفي الآخرة في جنّات النعيم والرضوان ويتجلّىٰ غضبه في الآخرة في عذابه الأليم ونيران الجحيم، فلا يدري المرء ما تكون نهايته وأين يستقر به المصير؟

---

١. سورة النساء: ٤٠.
٢. سورة الأعراف: ٨ ـ ٩.
٣. سورة الحاقّه: ١٩.
٤. سورة الحاقّه: ٢٥.

الهوىٰ وسقوط الانسان

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

أَكْثَرُ مَصارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطامِعِ.(١)

وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

لَوْلاٰ أَنَّ الشَّياطينَ يَحُومُونَ عَلٰى قُلُوبِ بَنى آدَمَ لَنَظَرُوا إِلٰى مَلَكُوتِ السَّماءِ.(٢)

وورد في السيرة انّ النبي صلى الله عليه وآله مرّة بمقبرة فأشار إلىٰ قبرين وقال انّ صاحبيهما ليعذبان بذنوبهما ثمّ قال لأصحابه:

لَولاٰ تَكْثيرٌ فى كَلامِكُمْ وتَمْريجٌ فى قُلُوبِكُمْ لَرَأَيْتُمْ ما أرىٰ ولَسَمِعْتُمْ ما أَسْمَعُ.(٣)

وقال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ والدُّعاءُ يُسْمَعُ، وَالْحالُ هادِئَةٌ وَالْأَقْلامُ جارِيَةٌ وَبادِرُوا بِالْأَعْمالِ عُمُراً ناكِساً، أَوْمَرَضاً حابِساً، أَوْمَوْتاً خالِساً.(٤)

---

١. نهج البلاغه: الحكمة ٢١٩؛ غرر الحكم: ٢٩٨.
٢. بحار الأنوار: ٥٦ /١٦٣؛ عوالى اللآلى: ٤ /١١٣.
٣. مسند أحمد: ٥ /٢٦٦، مع اختلاف يسير؛ كنز العمال: ١٥ /٦٤٣.
٤. نهج البلاغة: الخطبة ٢٢١.

في سوق الكوفة

روىٰ محمّد بن أبي عمير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

مَرَّ سَلْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْحَدَّادِينَ بِالْكُوفَةِ فَرَأَى شَابّاً قَدْ صَعِقَ وَالنَّاسُ قَدِ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ هَذَا الشَّابُّ قَدْ صَرَعَ فَلَوْ قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ، قَالَ: فَدَنَا مِنْهُ سَلْمَانُ فَلَمَّا رَآهُ الشَّابُّ أَفَاقَ وَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِاللهِ لَيْسَ بِي مَا يَقُولُ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ وَلَكِنِّي مَرَرْتُ بِهَؤُلاءِ الْحَدَّادِينَ وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْمِرْزَبَاتِ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ فَذَهَبَ عَقْلِي خَوْفاً مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَى فَاتَّخَذَهُ سَلْمَانُ أَخاً وَدَخَلَ قَلْبَهُ حَلاوَةُ مَحَبَّتِهِ فِي اللهِ تَعَالَى فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى مَرِضَ الشَّابُّ فَجَاءَهُ سَلْمَانُ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ارْفُقْ بِأَخِي، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ إِنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ.[1]

نصيحة زان

روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

إِنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا رُوحَ اللهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، فَأَمَرَ عِيسَى عليه السلام أَنْ يُنَادَى فِي النَّاسِ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلّا خَرَجَ لِتَطْهِيرِ فُلانٍ فَلَمَّا اجْتَمَعَ وَاجْتَمَعُوا وَصَارَ الرَّجُلُ فِي الْحُفْرَةِ نَادَى الرَّجُلُ فِي الْحُفْرَةِ لا يَحُدَّنِي مَنْ بِهِ تَعَالَى فِي جَنْبِهِ حَدٌّ فَانْصَرَفَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلّا يَحْيَى وَعِيسَى عليهما السلام فَدَنَا

---

١. بحار الأنوار: ٢٢ / ٣٨٥.

مِنْهُ يَحْيَى فَقَالَ لَهُ: يَا مُذْنِبُ عِظْنِي، فَقَالَ لَهُ: لا تُخَلِّيَنَّ بَيْنَ نَفْسِكَ وَبَيْنَ هَوَاهَا فَتَرْدَى، قَالَ: زِدْنِي قَالَ: لا تُعَيِّرَنَّ خَاطِئاً بِخَطِيئَتِهِ، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: لا تَغْضَبْ، قَالَ: حَسْبِي[1]

يقول العارفون: إنّ القلب فارس والبدن فرس، فان كان الفارس عاقلاً بصيراً ساربفرسه على هدى من أمره حتى يصل غايته فلا يسقط في بئر ولا هاوية.

ولكن إذا غفل الفارس ونام فان الفرس تسير كما يحلولها فتتقحم به في المهاوي والفلوات حتّى تسلمه إلى قطّاع الطريق أو تتخطّفه السباع.

فان كان القلب واعياً فانّ الانسان يصل إلى شاطئ الأمان فيسلم من الهلاك ويسلم من معه.

فطنة أميركبير[2]

أميركبير من مشاهير السياسة والحكم في ايران قدم خدمات كبرى لبلاده، يروي عبدالله المستوفي يقول: ان رجلاً من التجار اشتكى إلى أميركبير وزعم أنّه سلّم القاضي منديلاًكشميريّاً قد وضع فيه مسكوكات ذهبيّة وخاط المنديل بحيث لا يمكن اخراج المسكوكات إلّا أن يقوم بتمزيقه.

فلمّا عاد من سفره استلم المنديل كماسلّمه إلى القاضي غير انه لما فتح المنديل وجد بدل المسكوكات الذهبيّة مسكوكات فضيّة فاسقط في يده وحار في أمره

---

١. بحار الأنوار: ١٤/ ١٨٨.

٢. الصدر الأعظم في عهد الملك القاجاري ناصرالدين شاه، لقي أميركبير مصرعه في مدينة كاشان بأوامر من الملك ـ المترجم.

فالمنديل كما هو ليس فيه أثر من فتق أو مزق!

وأدرك أميركبير بفطنته صدق الرجل ولكن كيف له أن يثبت دعواه.

فقال للرجل: اذهب وعد بعد أيّام!

وفي المساء لمّا أراد أن يأوي إلى فراشه وينام كان قد بيّت خطّة لا يعلم بها أحد، ففي منتصف الليل نهض من فراشه وقام باحداث ثقب في ملاءة ثمينة من خلال اشعال عود الثقاب وعاد إلىٰ فراشه.

وفي مساء اليوم التالي لمّا أراد النوم وجد الملاءة وليس فيها أثر أبداً فدقّق النظر فرأىٰ الرائف قد أصلح الثقب من خلال اعادة اصلاح النسيج واستخدام خيوط تشبه القماش الأصلي بحيث لا يلتفت أحد إلى انها قد ريفت أساساً!

فاستدعى الخدم وسألهم عن الرائف فعرّفوه فأمر باحضاره فلما جاء فاجأة أميركبير بأمر منديل التاجر، فاعترف على الفور وقال ان القاضي أعطاه منديلاً كشميريّاً مثقوباً وطلب منه أن يروفه له ويعيده إلىٰ حالته الأولى

كان أميركبير قد اكتشف حيلة القاضي إذ أحدث ثقباً في المنديل وأفرغ المسكوكات الذهبيّة ووضع بدلها مسكوكات فضيّة!! واعترف القاضي بخيانته الأمانة وأعاد إلى الرجل مسكوكاته المسروقة.

علاج الأهواء النفسيّة

مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحارِمِ، وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ وَعَمَّرَ باطِنَهُ

الْمُراقَبَةَ وظاهِرَهُ بِاتِّباعِ السُّنَّةِ وَجَدَ حَلاوَةَ النَّجاةِ.[1]

سُئِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ رُوَيْمٍ كَيْفَ حالُكَ؟ قالَ: كَيْفَ حالُ مَنْ كانَ دينُهُ هَواهُ وَهِمَّتُهُ دُنْياهُ، لَيْسَ بِصالِحٍ تَقِيٍّ وَلا بِعارِفٍ نَقِيٍّ.

ولذا فانّ الأولياء يقترحون في مضمار تزكية النفس الالتزام بما يلي:

١ ـ التقوىٰ في السرّ والعلن؛

٢ ـ الاقلال في تناول الطعام؛

٣ ـ الاقلال من ساعات النوم؛

٤ ـ الاقلال من الكلام؛

٥ ـ اجتناب الذنوب والمعاصي؛

٦ ـ الالتزام ببرنامج للصيام؛

٧ ـ الالتزام بأداء صلاة الليل؛

٨ ـ اجتناب الشهوات من الحرام؛

٩ ـ تحمّل أذىٰ الأقارب والجيران؛

١٠ ـ اجتناب مصادقة ومصاحبة الجهّال؛

١١ ـ معاشرة الكرام؛

١٢ ـ وإدراك ان أفضل الناس من نفع الناس وأن أفضل الكلام ما قلّ ودلّ والشكر لله في الخلاء والملاء والسرّ والعلن.

---

١. فيض القدير: ١/١٨٦، مأخوذ من حديث في ارشاد القلوب، الديلمي: ١/١٣١.

الاستعدادات للموت

جاء في السيرة ان النبي ﷺ وقف على قبر قد اهيل ترابه حديثاً فبكى حتّى تساقطت دموعه فوق تراب القبر والتفت إلى أصحابه وقال:

إخْوانى لِمِثْلِ هٰذا فَأعِدُّوا.[1]

وسئل الامام علي أميرالمؤمنين عن كيفيّة الاستعداد فقال عليه السلام:

أداءُ الْفَرائِضِ، وَاجْتِنابُ الْمَحارِمِ، وَالإشْتِمٰالُ على الْمَكارِمِ.[2]

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر.

وقيل للقمان الحكيم: ألست عبد آل فلان؟

قال: بلىٰ.

قيل: فما بلغ بك ما ترىٰ؟

قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وتركي ما لا يعنيني وغضّ بصري وكفّ لساني وعفّة طعمتي.

فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد عليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي.

وروى الامام محمّد الباقر عليه السلام قال: لمّا وعظ لقمان ابنه قال: أنا منذ سقطت إلى الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة، فدار إليها تسير، أقرب من دار أنت عنها متباعد.

---

١. مستدرك الوسائل: ٢ /٤٦٥؛ مسكّن الفؤاد: ١٠٧.

٢. بحار الأنوار: ٦ /١٣٧؛ الأمالى، الشيخ الصدوق: ١١٠؛ مجموعة ورام: ٢ /١٥٨.

ورأى سيدنا عيسى عليه السلام الشيطان يسوق خمسة حمير فسأله: ما هـذا؟ فـقال الشيطان: مال التجارة أبحث عمّن يشتريه، فقال عيسى: وأيّ شيء تبيع؟ فقال:

الظلم ويشتريه الحكّام والأُمراء.

ـ التكبّر يشتريه أصحاب الجاه والمناصب.

ـ الحسد ويشتريه العلماء.

ـ الخيانة ويشتريها التجّار.

ـ المكر والحيلة وتشتريهما النساء.[1]

ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله:

مَنْ خَزَنَ لِسانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذابَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ قَبِلَ عُذْرَهُ وَتَجاوَزَ عَنْهُ.[2]

شروط تزكية النفس

يستلزم التحرّك في طريق تزكية النفس سبعة شروط هي:

١ ـ الاذعان للحق والتسليم له وهذا معنى الاسلام.

٢ ـ التصديق بالنبوّة والامامة والكتاب والحساب وهذا هو معنى الايمان.

٣ ـ الامتثال لأحكام الشريعة التي تشتمل على مصالح الدنيا والآخرة وهذا معنى العمل.

---

١. بحار الأنوار: ٦/١٩٦؛ المواعظ العددية: ٢٧٦، باب ٥، في الخماسيات.

٢. عوالي اللآلي: ١/١٠١؛ مجموعة ورّام: ١/٤.

٤ ـ اجتناب النواهي من أجل المحافظة على النفس من التلوّث بالذنوب والآثام وهذا معنى الجهاد.

٥ ـ التوبة الحقيقيّة والتي تتحقّق من خلال قضاء الفرائض واعادة الحقوق لأصحابها والاستغفار والانابة إلى الله تبارك وتعالى.

٦ ـ انتهاج الكسب الحلال في تحصيل الرزق وعدم الطمع بما لدى الآخرين.

٧ ـ التقوى والورع عن محارم الله وهذا رأس الأُمور جميعاً.

المؤمن الحقيقي

ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

ألا أُنَبِّئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ الْمُؤْمِنُ مَنِ ائْتَمَنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلى أمْوالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، الْمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئاتِ وَتَرَكَ ما حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ.[1]

انّ تزكية النفس من القضايا الجوهريّة وتشغل مساحة كبيرة جداً من الرسالة الالهيّة وما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله لعباده من أجل تعليم الكتاب والحكمة و «يزكّيهم».

تعليم الكتاب والحكمة

قال تعالى:

---

١. المحاسن: ١ / ٢٨٥؛ بحار الأنوار: ٦٤ / ٣٠٢.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ ﴾.[1]

والمراد من الكتاب القرآن الكريم وقيل في تعليم الحكمة انّ المراد منها باطن آيات القرآن ومفاهيمه؛ حيث يعلّم ذلك النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة من آله عليهم السلام الأمة وكذا انّ المراد من الحكمة علوم الشريعة الاسلاميّة وتطبيقها في واقع الحياة الفرديّة والاجتماعيّة.

وقال البعض: ان الحكمة هي التشبّه بأخلاق الحقّ تبارك وتعالى وانّ الرسول صلى الله عليه وآله هو المعلّم الذي يقوم بتعليم الحكمة.

وقد جاء في الحديث الشريف:

تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ اللهِ.

وقال بعض: ان الحكمة عبارة عن المعارف الحقّة التي تظهر في جميع شؤون الحياة والحكيم من لا ينظر إلى الدنيا على انّها دار لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، وإنّما ينظر إليها على انها تشتمل على كلّ الامكانات التي من خلالها يسمو الانسان ويتدرّج في سلّم الرقيّ الأخلاقي.

وخلاصة القول ان الله عزّوجلّ الحكيم إنّما بعث رسوله الكريم من أجل أن يهدي المجتمعات البشريّة إلى الطريق القويم وينقذها من الضلال والضياع ويصنع منها أمة حكيمة.

---

١. سورة آل عمران: ١٦٤.

طاعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم

بيّن القرآن الكريم الأبعاد العظيمة في شخصيّة الرسول الأكرم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وكذلك أهداف الرسالة التي جاء بها وغاياتها والتي تتلخّص في ارشاد الناس إلى السعادة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة ولذلك شدّد القرآن الكريم على ضرورة اتّباعه وطاعته صلوات الله عليه وآله.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ ﴾.[١]

﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾.[٢]

﴿وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.[٣]

﴿ أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.[٤]

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ﴾.[٥]

﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ ﴾.[٦]

﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾.[٧]

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً ﴾.[٨]

---

١. سورة آل عمران: ٣٢.
٢. سورة آل عمران: ٨١.
٣. سورة آل عمران: ١٣٢.
٤. سورة النساء: ٥٩.
٥. سورة النساء: ٦٩.
٦. سورة النساء: ٨٠.
٧. سورة الحشر: ٧.
٨. سورة الأحزاب: ٣٦.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.[١]

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة

يشغل موضوع شخصيّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مساحة واسعة في كتاب نهج البلاغة ولا ننسى ان الامام علي عليه السلام هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام:

بعثة النبي صلى الله عليه وآله

إلى أنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِإنْجازِ عِدَتِهِ وتَمامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخوذاً عَلَى النَّبِيّينَ ميثاقُهُ، مَشْهُورَةً سِماتُهُ، كَريماً ميلادُهُ وأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْواءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ بِهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشيرٍ إلى غَيْرِهِ، فَهَداهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ مِنَ الْجَهالَةِ.[٢]

رسالة النبي صلى الله عليه وآله

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السّاطِعِ، وَالضِّياءِ اللاّمِعِ وَالْأَمْرِ الصّادِعِ، إزاحَةً لِلشُّبُهاتِ واحْتِجاجاً بِالْبَيِّناتِ، وَتَحْذيراً بِالْآياتِ، وَتَخْويفاً بِالْمَثُلاتِ، وَالنّاسُ فى فِتَنٍ انْجَذَمَ فيها حَبْلُ الدّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِى الْيَقينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ

---

١. سورة الأحزاب: ٧١.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١.

وتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدىٰ خامِلٌ، وَالْعَمىٰ شامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمانُ، وَنُصِرَ الشَّيْطانُ، وَخُذِلَ الْإيمانُ.[١]

الانذار

إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ نَذيراً لِلْعالَمينَ، وَأميناً عَلَى التَّنْزيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلىٰ شَرِّ دينٍ وَفي شَرِّ دارٍ، مُنيخُونَ بَيْنَ حِجارَةٍ خُشْنٍ وَحَيّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحامَكُمْ، الْأَصْنامُ فيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.[٢]

ظلام الجهالة

إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتاباً،لايَدَّعي نَبُوَّةً، فَساقَ النّاسَ حَتّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وبَلَّغَهُمْ مَنْجاتَهُمْ، فَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفاتُهُمْ.[٣]

عصر الرسالة

أَرْسَلَهُ عَلىٰ حينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْتِزامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشارٍ مِنَ الْأُمُورِ وتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ وَالدُّنْيا كاسِفَةُ النُّورِ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ،

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٢.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢٦.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

عَلىٰ حينِ اصْفِرارٍ مِنْ وَرَقِها، وَإِياسٍ مِنْ ثَمَرِها واغْورارٍ مِنْ مائِها، قَدْ دَرَسَتْ مَنارُ الْهُدىٰ وَظَهَرَتْ أعْلامُ الرَّدىٰ، فَهِيَ مُتَجَهَّمَةٌ لِأهْلِها، عابِسَةٌ فى وَجْهِ طالِبِها، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ وطَعامُهَا الْجيفَةُ، وَشِعارُهَا الْخَوْفُ وَدِثارُهَا السَّيْفُ.(١)

شجرة النبوّة

حَتّٰى أَفْضَتْ كَرامَةُ اللهِ سُبْحانَهُ اِلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ المَعادِنِ مَنْبَتاً وَاَعَزِّ الأُرُوماتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الّتى صَدَعَ مِنْها أنْبِياءَهُ وانْتَخَبَ مِنْها اُمَناءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ واُسْرَتُهُ خَيْرُ الْاُسَرِ، وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُالشَّجَرِ، نَبَتَتْ فى حَرَمٍ وبَسَقَتْ فى كَرَمٍ، لَها فُروعٌ طِوالٌ وثَمَرَةٌ لا تُنالُ، فَهُوَ إمامُ مَنِ اتَّقىٰ وبَصيرَةُ مَنِ اهْتَدىٰ، سِراجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وشِهابٌ سَطَعَ نُورُهُ وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ وكَلامُهُ الْفَصْلُ وحُكْمُهُ الْعَدْلُ؛ أرْسَلَهُ عَلىٰ حينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وهَفْوَةٍ عَنْ الْعَمَلِ وغَباوَةٍ مِنَ الْاُمَمِ.(٢)

اسلوب الدعوة

بَعَثَهُ وَالنّاسُ ضُلاّلٌ فى حَيْرَةٍ وخابِطُونَ فى فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأهْواءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِياءُ وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، حَيارىٰ فى زِلْزالٍ مِنَ الْأمْرِ وَبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبالَغَ صلى الله عليه وآله فِى النَّصيحَةِ ومَضىٰ عَلَى الطَّريقَةِ وَدَعا إلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.(٣)

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٨٨.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ٩٣.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ٩٤.

بركات النبي صلى الله عليه وآله

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فـى مَـعادِنِ الْكَـرامَـةِ وَمَـماهِدِ السَّلامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْابْرارِ وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبصٰارِ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغائِنَ وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْواناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْراناً، أَعَزَّ بِـهِ الذِّلَّـةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلامُهُ بَيانٌ، وَصَمْتُهُ لِسانٌ.(١)

طريق الخلاص

أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سَبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِـتاباً، وَلايَدَّعى نُبُوَّةً وَلا وَحْياً، فَقاتَلَ بِمَنْ أَطاعَهُ مَنْ عَصاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلىٰ مَنْجاتِهِمْ، وَيُبادِرُبِهِمُ السّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسيرُ، وَيَقِفُ الْكَسيرُ، فَيُقيمُ عَلَيْهِ حَتّى يُلْحِقَهُ غايَتَهُ، إِلاّ هالِكاً لا خَـيْرَ فـيهِ، حَـتّى أَراهُـمْ مَـنْجاتَهُمْ، وَبَـوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدارَتْ رَحاهُمْ، وَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ.(٢)

البشير النذير

حَتّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله شَهيداً وَبَشيراً وَنَذيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَها كَهْلاً وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرينَ شيمَةً وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرينَ ديمَةً.(٣)

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٩٥.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٣.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٤.

الأمين

حَتّى أوْرىٰ قَبَساً لِقابِسٍ وَأنارَ عَلَماً لِحابِسٍ، فَهُوَ أمينُكَ الْمَأْمُونُ وَشَـهيدُكَ يَوْمَ الدّينِ، وَبَعيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً.(١)

ينبوع الحكمة

اِخْتارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبياءِ ومِشْكاةِ الضّياءِ وَذُؤابَةِ الْعَلْياءِ وَسُرَّة الْبَطْحاءِ، مَصابيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنابيعِ الْحِكْمَةِ.(٢)

الطبيب الميداني

طَبيبٌ دَوّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَراهِمَهُ وأحْمٰى مَواسِمَهُ، يَـضَعُ مِـنْ ذٰلِكَ حَـيْثُ الْحاجَةُ إلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذانٍ صُمٍّ وألْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوائِهِ مَواضِعَ الْغَفْلَةِ ومَواطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضيئُوا بِأضْواءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِـزِنادِ الْعُلُومِ الثّاقِبَةِ، فَهُمْ فى ذٰلِكَ كَالْأنْعامِ السّائِمَةِ والصُّخُورِ الْقاسِيَةِ.(٣)

قيمة الدنيا !

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيا وَصَغَّرَها وَأهَوَنَ بِها وهَوَّنَها وعَلِمَ أنَّ اللهَ زَواها عَنْهُ اخْتِياراً وَبَسَطَها لِغَيْرِهِ احْتِقاراً، فَأعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ وأماتَ ذِكْرَها عَنْ نَـفْسِهِ،

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٥.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٧.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٧.

وَأحَبَّ أنْ تَغيبَ زينَتُها عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْها رِياشاً، أوْ يَرْجُوَ فيها مُقاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّه مُعْذِراً ونَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ودَعا إلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً وَ خَوْفاً مِنَ النّارِ مُحَذِّراً.[1]

الشاهد

أرْسَلَهُ داعِياً إلَى الْحَقِّ، وَشاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وانٍ وَلا مُقَصِّرٍ،جَاهَدَ فِى اللهِ أعْداءَهُ غَيْرَ واهِنٍ وَلا مُعذِّرٍ، إمامُ مَنِ اتَّقىٰ وبَصَرُ مَنِ اهْتَدىٰ.[2]

مواجهة الوثنيّة

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبادَةِ الْأَوْثانِ إلىٰ عِبادَتِهِ وَمِنْ طاعَةِ الشَّيْطانِ إلىٰ طاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبادُ رَبَّهُمْ إذْ جَهِلُوهُ ولِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إذْ جَحَدُوهُ وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إذْ أنْكَرُوهُ.[3]

النور الساطع

أرْسَلَهُ عَلىٰ حينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَانْتِقاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجاءَهُمْ بِتَصْديقِ الَّذى بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنُّورِ الْمُقْتَدىٰ بِهِ، ذٰلِكَ الْقُرْآنُ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١١٥.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلٰكِنْ اُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلا إنَّ فيهِ عِلْمَ مايَأْتى وَالْحَديثَ عَنِ الْماضى، وَدَواءَ دائِكُمْ وَنَظْمَ مابَيْنَكُمْ.(١)

الدنيا والآخرة

فَإنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداًﷺ عَلَماً لِلسّاعَةِ وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيا خَميصاً وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَليماً.(٢)

الميلاد والبعثة والهجرة

اِبْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضىءِ، وَالبُرْهانِ الْجَلِىِّ، وَالْمِنْهاجِ الْبادِى والْكِتابِ الْهادِى. اُسْرَتُهُ خَيْرُ اُسْرَةٍ وشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أغْصانُها مُعْتَدِلَةٌ وَثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، هِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِها ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْها صَوْتُهُ. أرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ، أظْهَرَ بِهِ الشَّرايِعَ الْمَجْهولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكامَ الْمَفْصُولةَ.(٣)

الأمانة

أمينُ وَحْيِهِ، وَخاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذيرُ نِقْمَتِهِ.(٤)

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٩.
٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.
٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٧٢.

طريق الكرامة

ثُمَّ إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حينَ دَنا مِنَ الدُّنْيا الْإِنْقطاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطّلاعُ وأَظْلَمَتْ بَهْجَتُها بَعْدَ إشْراقٍ وقامَتْ بِأَهْلِها عَلىٰ ساقٍ وخَشُنَ مِنْها مِهادٌ وأَزِفَ مِنْها قِيادٌ، فِي انْقِطاعٍ مِنْ مُدَّتِها واقْتِرابٍ مِنْ أَشْراطِها و تَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِها وانْفصامٍ مِنْ حَلْقَتِها وانْتِشارٍ مِنْ سَبَبِها وعَفاءٍ مِنْ أعلامِها، وَ تَكَشُّفٍ مِنْ عَوْراتِها وقِصَرٍ مِنْ طُولِها. جَعَلَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بَلاغاً لِرِسالَتِهِ وَكَرامَةً لِأُمَّتِهِ وَرَبيعاً لِأَهْلِ زَمانِهِ وَرِفْعَةً لِأَعْوانِهِ وَشَرَفاً لِأَنْصارِهِ.[1]

الانتصار

أَرْسَلَهُ بِالضِّياءِ وقَدَّمَهُ فِي الْإِصْطِفاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفاتِقَ وساوَرَ بِهِ الْمُغالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وسَهَّلَ بِهِ الْحُزونَةَ، حَتّىٰ سَرَّحَ الضَّلالَ عَنْ يَمينٍ وشِمالٍ.[2]

بالشوق والذوق نالوا عزّة الشرف ... لا بالدلوف ولا بالعجب والصلف
ومذهب القوم أخلاق مطهّرة ... بها تخلّقت الأجساد في النطف
صبر وشكر وايثار ومخمصة ... وأنفس تقطع الأنفاس باللهف
والزهد في كلّ فانٍ لا بقاء له ... كما مضت سنّة الأخيار والسلف

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٩.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٤.

قـوم لتـصفية الأرواح قـد عـملوا وأسلموا عـرض الأشـباح للـتلف
مـا ضـرّهم رث أطـمار ولا خـلق كالدر ما ضـرّه مـخلولق الصـدف
لا بـــالتخلّف بـالمعروف تـعرفهم ولا التكلف في شيء مـن الكـلف
يا شقوتي قد تـولت امـة سـلفت حتّى تخلّفت في خلق مـن الخـلف
يـــنمّقون تـــزاويـــر الغـرور لنـا بالزور والنهب والبهتان والسـرف
ليس التـــصوّف عكّـاز ومسـبحة كـلا ولا الفـقر رؤيـا ذلك التـرف
وإن تـــروح وتـغدو فـي مـرقعة وتحتها مـوبقات الكـبر والسـرق
وتظهر الزهد في الدنيا وأنت على عكوفها كعكوف الكلب في الجيف
الفقر سـرّ وعـنك النـفس تـحجبه فارفع حجابك تجلو ظـلمة التـلف
وقف على عـرفات الذلّ مـنكسراً وحول كعبة عـرفان الصـفا فـطف
وادخل إلى خلوة الأفكـار مـبتكراً وعد إلى حالة الأذكـار بـالصحف
وإن سـقاك مـدير الراح مـن يـده كأس التجلّي فخذ بالكأس واعترف

[﴿٢﴾ فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ]

جوهرة الأُمم

الذين يتّبعون رسول الله ﷺ ويؤمنون برسالته ويجسّدون القيم التي جاء بها ودعا الناس إليها هم أمّة محمّد ﷺ وفي الطليعة الأئمّة الهداة الأطهار الذين اجتباهم الله عزّوجلّ ليكونوا خلفاء رسول الله ﷺ أمناء علىٰ وحيه وأدلّاء على طريقه وحجج الله على عباده؛ الذين يتلون كتاب الله حقّ تلاوته ويفسّرونه بالحق والذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

فمن اتّبعهم وتشرّب أخلاقهم وسيرتهم ودعا إلى الايمان بهم من خلال سيرته وأخلاقه ومنهجه في الحياة ومن خلال سمعته الحسنة؛ فانّه سيكون داعية لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

كُونُوا دُعاةً لِلنّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ، لِيَرَوْا مِنْكُمُ الْوَرَعَ وَالْاِجْتِهادَ وَالصَّلاةَ وَالْخَيْرَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ داعِيَةٌ.[1]

---

١. بحار الأنوار: ٦٧ /٣٠٣؛ الكافي: ٢ /٧٨.

الداعية المثال

كان صفوان بن يحيى مثال الداعية إلى مذهب أهل البيت بغير لسان؛ وإنّما من خلال أخلاقه وسيرته فقد كان «أبو محمّد» أوثق أهل زمانه، كان يصلّي مئة وخمسين ركعة يوميّاً ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويزكّي أمواله ثلاث مرّات سنويّاً.

١ ـ كان من أصحاب الامام موسى بن جعفر والامام الرضا والامام الجواد عليهم السلام وروى عنهم عشرات الأحاديث الشريفة؛

٢ ـ كان الامام الرضا يجلّه ويكرمه؛

٣ ـ كان وكيلاً للامام الرضا ثمّ لولده الجواد عليهما السلام؛

٤ ـ أعبد أهل زمانه؛

٥ ـ أكثر الناس ثقة؛

٦ ـ عاش حياته زاهداً بالرغم من ثروته؛

٧ ـ حاول الواقفيّة الذين رفضوا امام الرضا عليه السلام طمعاً بما لديهم من الحقوق الشرعيّة الحصول على تأييده؛ فاغروه بالمال لكنّه طردهم وندد بموقفهم الانحرافي؛

٨ ـ تعاهد مع صديقيه عبدالله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام إن مات واحد منهم يصلّي من بقي بعده صلاته ويصوم عنه ويحجّ عنه ويزكّي عنه مادام حيّاً فمات صاحباه؛ وبقي صفوان بعدهما ووفىٰ لهما بذلك، كان يصلّي عنهما ويصوم عنهما ويحجّ عنهما ويزكي عنهما وكلّ شيء من البر والصلاح يفعله

لنفسه كذلك يفعل عن صاحبيه؛

٩ ـ توفي صفوان في المدينة المنوّرة حيث قام الامام محمّد الجواد بـارسال كفنه وحنوطه.[١]

المؤمن الحقيقي في الآيات

حدّد القرآن الكريم توصيفات المؤمن الحقيقي في عدد من الآيات الكريمة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُـقِيمُونَ ٱلصَّـلوٰةَ وَمِـمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَـاتٌ عِـندَ رَبِّـهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[٢]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُـمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.[٣]

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً﴾.[٤]

---

١. اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٧٩٢. ترك وراءه عدداً من مؤلّفاته وذكر ابن النديم في الفهرست أسماء بعضها من قبيل كتاب الشراء والبيع وكتاب التجارات وكتاب المحبّة والوظائف وكتاب الفرائض وكتاب الوصايا وكتاب الآداب وكتاب بشارات المؤمن ـ المترجم.

٢. سورة الأنفال: ٢ ـ ٤.

٣. سورة البيّنة: ٧ ـ ٨.

٤. سورة النساء: ٦٩.

الشهادة على الامم

يشير القرآن الكريم إلى أن أُمّة الاسلام هي الأُمّة التي تمتاز بالوسطيّة والاعتدال والتوازن.

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾.[١]

﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.[٢]

الشهادة على الامم

ولقد ورد في عدد من الروايات الموثقة انّ المراد من الأُمّة الشاهدة والأُمّة الوسط هم الأئمّة الأطهار من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد أكمل الله عزّوجلّ دينه بالولاية والامامة لأهل البيت عليهم السلام في يوم «غدير خم».

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلاَمَ دِيناً ﴾.[٣]

---

١. سورة البقرة: ١٤٣.
٢. سورة الحج: ٧٨.
٣. سورة المائدة: ٣.

المؤمن الحقيقي في الروايات

ينبغي أن يكون المؤمن حقّاً حقّاً مثالاً في تشرّب وتجسيد المفاهيم القرآنيّة والأخلاق السامية.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

لَيْسَ مِنْ شيعَتِنا مَنْ قالَ بِلِسانِهِ وَخالَفَنا فى أعْمالِنا وَآثارِنا وَلٰكِنْ شيعَتُنا مَنْ وافَقَنا بِلِسانِه وَقَلْبِهِ وَاتَّبَعَ آثارَنا وَعَمِلَ بِأعْمالِنا، أُولٰئكَ شيعَتُنا.(١)

وقال عمرو بن سعيد للامام الصادق عليه السلام: أوصني!

فقال عليه السلام:

اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم انّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه.

وجاء في الحديث القدسي:

أوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ موُسىٰ عليه السلام أن يا موسىٰ! ماخَلَقْتُ خَلْقاً أحَبَّ إلَىَّ مِنْ عَبْدِىَ الْمُؤْمِنِ.(٢)

وروى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

مَثَلُ الْمؤْمِنِ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَمَثَلِ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَإنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ.(٣)

---

١. بحار الأنوار: ٦٥ / ١٦٤؛ مشكاة الأنوار: ٧٠.
٢. التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤٠٥؛ الكافي: ٢ / ٦١.
٣. بحار الأنوار: ٦ / ٢١؛ وسائل الشيعة: ١٦ / ٧٥.

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

إنَّ الْمُؤْمِنَ أعْظَمُ حُرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ.[١]

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّها.[٢]

وهكذا ترتسم صورة مشرقة بهية لشخصيّة الانسان المؤمن.

١ ـ بحار الأنوار: ١٦/٦٥، باب ١٥، حديث ٢٠؛ الخصال: ١/٢٧، حديث ٩٥.

٢ ـ نهج البلاغه: الخطبة ١٦٦.

[﴿٣﴾ اَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ]

الصفات البارزة لسيّد الكائنات

لقد بلغ سيّدنا محمّد ﷺ الذروة في الكمال الانساني وامتاز بصفات فريدة لم تتوفر لغيره على امتداد تاريخ الانسان ما جعله أعظم انسان على الاطلاق.

الأمانة في الوحي

الأمين من الأسماء التي اطلقت على سيّدنا محمّد ﷺ وكان العرب قبل الاسلام أطلقوا عليه صلوات الله عليه وآله «الصادق الأمين» كما اطلق اسم الأمين على الملاك العظيم جبرئيل فهو أمين الوحي الذي يبلغ وحي الله إلى رسوله محمّد ﷺ.

قال تعالى:

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.[1]

---

١. سورة التكوير: ٢٠ ـ ٢١.

ولما نزل قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.[١]

قال رسول الله لجبرئيل لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لما أثنى عليّ بقوله:

﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.[٢]

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

إنّما أنا رحمة مهداة.[٣]

والحقيقة انّ الآية أعلاه ضمان على منزله النبي الأكرم ﷺ في رحاب الله عزوجل واستمرار هذه المنزلة وبقاء هذا المقام وبسبب أداء النبي الأمانة في الأرض «الصادق الأمين» وكذلك الأمانة في ابلاغ رسالات الله تبارك وتعالى في الأرض والسماء، فانه صلوات الله عليه في معراجه إلى السماوات اجتاز الحجب حتّى انه تقدّم على جبرئيل؛ الذي توقف وقال إن تقدّمت قيد أنملة لاحترقت فوصل «قاب قوسين أو أدنى» وقد اصطفى الله عزوجل رسوله وجعله أميناً على وحيه.

والوحي في اللغة الاشارة والرسالة والكتاب والالهام وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه فهو وحي كيف كان وهو مصدر وحي إليه يحي من باب وعد، وأوحى إليه بالألف مثله وهي لغة القرآن الفاشية، ثمّ غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله.

---

١. سورة الأنبياء: ١٠٧. ٢. سورة التكوير: ٢٠ ـ ٢١.

٣. بحار الأنوار: ١٦/ ٣٠٦؛ مجمع البيان فى تفسير القرآن: ٧/ ١٢١.

والمراد بكونه أميناً على وحيه تعالى: قوّته على ما كلّف به من ضبط الوحي في ألواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الالهيّة بها عليه وكمال استعداد نفسه الطاهرة لأسرار الله وعلومه وحكمه وحفظه لها عن ضياعها وصيانتها عن تدنّسها بأذهان غير أهلها وعدم تطرق تبديل أو زيادة أو نقصان إليها، إذ كان من شأن الأمين قوّته على ضبط ما يستأمن عليه واستعدادة له وحفظه وصيانته عن التلف والأدناس والتبديل والزيادة والنقصان، ولهذا السر كانت العرب تسميه بالأمين قبل مبعثه ﷺ لما شاهدوه من أمانته وشهر بهذا الأسم قبل نبوّته وبعدها.[1]

الصفي والنجيب في الروايات

وقوله عليه السلام: «ونجيبك من خلقة» النجيب: الكريم النفس في نوعه ويمكن أن يكون بمعنى اللباب الخالص الذي انتجبته من خلقك واصطفيته واخترته حبيباً.

وقد قال رسول الله ﷺ:

أَمَا وَاللهِ إِنّي لَأَمينٌ فِي السَّماءِ وَأَمينٌ فِي الأَرْضِ.[2]

يقول الامام علي أميرالمؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين ﷺ:

فَهُوَ أَمينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ، وَشَهيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ اِلَى الْخَلْقِ.[3]

يقول ابن أبي الحديد في شرح «أمينك المأمون»:

---

١. رياض السالكين: ١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

٢. كنز العمال: ١١/ ٤١٣؛ مجمع الزوائد: ٤/ ١٢٦.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٧١.

«أي أمينك على وحيك والمأمون من ألقاب رسول الله».[١]

ولذا تجد تشديداً على الأمانة في الحديث النبوي الشريف ونهياً قويّاً وتحذيراً من الخيانة، يقول ﷺ:

مَنْ خانَ أَمانَةً فِی الدُّنیا وَلَمْ یَرُدَّها إلیٰ أهلِها ثُمَّ أَدْرَکَهُ الْمَوْتُ ماتَ عَلی غَیْرِ مِلَّتی وَیَلْقیٰ اللهُ وَهُوَ عَلَیْهِ غَضْبانٌ.[٢]

وهذا يعني أن من يخون الأمانة يعني خروجه عن دين الاسلام وهذا الحديث بمنزلة الحكم الشرعي وليس توصية أخلاقيّة فقط.

لقد حاز النبي الأكرم ﷺ جميع الفضائل الأخلاقيّة وبلغ فيها جميعاً الذرى ولذا تدفقت في قلبه ينابيع الحكمة التي هي الخير الكثير.

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

إنَّ الْعَبْدَ اِذا اخْتارَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِأُمورِ عِبادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذٰلكَ وَ أَوْدَعَ قَلْبَهُ یَنابِیعَ الحِکْمَةِ وألْهَمَهُ العِلْمَ إلهاماً، فَلَمْ یَعْیَ بَعْدَهُ بِجَوابٍ وَلا یُحَیَّرُ فیهِ عَنِ الصَّوابِ.[٣]

الرسالة والرسول

أجل انّ محمّداً ﷺ هو أمين الوحي الالهي في ابلاغ الشريفة والاحكام وعلى

---

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ١٤١.
٢. بحار الأنوار: ٧٢/ ١٧١؛ وسائل الشيعة: ١٩/ ٧٨؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٢٩.
٣. معاني الأخبار: ١٠١؛ الكافي: ١/ ٢٠٢.

مدى ثلاث وعشرين سنة، كان رسولاً لله سبحانه إلى البشر جميعاً يبلغهم رسالاته ووحيه.

وفي حجّة الوداع أو البلاغ وقف النبي ﷺ مسجد الخيف وكان يوم الأضحىٰ فقال في كلمة له ﷺ:

يا أيّها الناس! والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقرّبكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾.[1]

البلاغ الأخير

وفي طريق العودة من حجّة الوداع وبالقرب من وادي «غدير خم» هبط الأمين جبرئيل بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾.[2]

فأمر رسول الله ﷺ بالنزول في الوادي واعادة القوافل التي اجتازت المكان وذلك من أجل ابلاغ رسالة الله الأخيرة.

وقد اجتمعت التفاسير المعتبرة ورواة الحديث في عشرات المصادر؛ على انّ الآية نزلت في ابلاغ ولاية الامام علي أميرالمؤمنين واعلان خلافته للرسول ﷺ

---

١. سورة الأنعام: ١٩.
٢. سورة المائدة: ٦٧.

وقد رأى زهاء مئة ألف من الحجيج رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ بيد وصيّه علي عليه السلام ويرفعها عالياً ويقول:

مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ. اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.[1]

فبلغ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رسالة الله وبلاغه الأخير ولم يخش في ذلك أحداً إلّا: ﴿ **اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اَللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اَللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً** ﴾.[2]

ابلاغ الدين

قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بابلاغ الدين الحق على كافّه الصعد وبكلّ الوسائل فلقد قام بالتبليغ بلسانه وفصاحته وبأخلاقه العظيمة وسيرته المشرقة.

﴿ **وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ اَلْبَلاَغُ وَاَللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾.[3]

وكان صلوات الله عليه وآله وهو يبلّغ رسالات الله يستدلّ بالمنطق والبرهان العقلي ويخاطب الفطرة والوجدان حتّى لا يبقي لأحد عذراً.

ومع انه كان يدعو إلى ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ويدعو إلى الحريّة والسلام إلّا انه واجه أعداءً متغطرسين مشركين ويهوداً حاقدين ونصارى متعصّبين ووثنيّين حاسدين؛ وهذه سيرته العظيمة تشهد انه بلغ ذروة

---

١. بحار الأنوار: ٢٣ /١٠٣؛ الكافي: ١ /٢٩٥؛ كشف الغمة: ١ /٢٥٥.
٢. سورة الأحزاب: ٣٩. ٣. سورة آل عمران: ٢٠.

الصبر والاخلاص والعبادة والحكمة والعلم والتقوى والأدب والرحمة والحنان والطهر والعبوديّة لله تبارك وتعالى والصفاء فكان سيّد الكائنات.

ينبوع الرحمة

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رسول الرحمة الالهيّة إلى الناس أجمعين، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.[1]

يحمل البشارة وفي نفس الوقت يحذر من عواقب التمرّد على شريعة الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾.[2]

انّه رحمة الله أرسله سبحانه من أجل اسعاد البشر في الدنيا والآخرة.

الحياة الطيّبة في الدنيا تعني الحياة الخالية من الأهواء الشيطانيّة والطواغيت ومن كلّ اشكال العدوان على الناس، وهذه الحياة لا تتحقّق إلّا بطاعة سيّد الرسل وخاتم الأنبياء وإمام الرحمة وبلوغ رحمة الحق في الدنيا هي الحياة الطيّبة وفي الدنيا الجنّة ورضوان من الله أكبر.

وكلّ هذا يتحقّق من خلال التمسّك بكتاب الله عزّوجلّ واتّباع الرسول صلى الله عليه وآله وآله الأطهار.

---

١. سورة الأنبياء: ١٠٧.
٢. سورة الإسراء: ١٠٥.

رحمة الله في القرآن الكريم

وتتحقّق الرحمة الالهيّة من خلال تطبيق تعاليم القرآن الكريم في واقع الحياة حيث يبيّن النبي صلى الله عليه وآله آيات الله وشريعته ومن بعده صلى الله عليه وآله الأئمّة الأطهار خلفاؤه وأوصياءه الذين اجتباهم الله هداة لعباده وأدلّاء على ارادته.

ومن خلال طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تتحقّق الرحمة والحياة الطيّبة.

﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(١)

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(٢)

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(٣)

﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(٤)

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(٥)

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.(٦)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.(٧)

---

١. سورة آل عمران: ١٣٢.
٢. سورة الأنعام: ١٥٥.
٣. سورة الأعراف: ٢٠٤.
٤. سورة النور: ٥٦.
٥. سورة الحجرات: ١٠.
٦. سورة البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.
٧. سورة البقرة: ٢١٨.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾.(١)

﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ ﴾.(٢)

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.(٣)

﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ ٱللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.(٤)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَايُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.(٥)

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾.(٦)

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ ٱللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.(٧)

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.(٨)

﴿ فَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾.(٩)

---

١. سورة النساء: ١٧٥.
٢. سورة الأنعام: ١٥٧.
٣. سورة الأعراف: ٥٢.
٤. سورة الأعراف: ٥٦.
٥. سورة الأعراف: ٢٠٣.
٦. سورة التوبة: ٢١.
٧. سورة يونس: ٥٧ ـ ٥٨.
٨. سورة النحل: ٨٩.
٩. سورة البقرة: ٦٤.

﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.[١]

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾.[٢]

أجل ان رسول الله ﷺ هو أعظم تجليّات الرحمة الالهيّة للبشر وقد قال ﷺ: إنّما أنا رحمة مهداة للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر، فهو رحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر إذا أمن ممّا أصاب الامم الغابرة من الخسف والمسخ ونزول العذاب في الدنيا.

قائد الخير

ورسول الله ﷺ هو قائد الخير، فهو الهادي إلى سبيل الرشاد والقائد إلى رضوان الله سبحانه وتعالى وبسبب هدايته ﷺ يبلغ البشر الدرجات الرفيعة من الرقي الأخلاقي والروحي ودخول الفردوس والنعيم الخالدي والأبدي.

فهو صلوات الله عليه قائد الخير للامّة حيث يتقدّم اماما ويدلها على مواطن الخير والصلاح ويبعدها عن مواطن الشر والفساد والسقوط الأخلاقي والتحلّل الاجتماعي.

والخير معنى عام تندرج تحته كلّ الأعمال الصالحة وقد جاء في حديث لأميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

«افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فانّ صغيره كبير وقليله كثير».

---

١. سورة النساء: ٨٣.
٢. سورة الجاثية: ٣٠.

والخير هو التقى والصلاة والزكاة والصوم والاحسان الى اليتامى والمساكين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة والجهاد والصبر ونشر السلام والمحبّة في المجتمع، وكلّ مامن شأنه أن يرفع الانسان ويقرّبه إلى الله تبارك وتعالى.

التقوى

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.[١]

فالتقوى نبع الخير الذي يفضي بالانسان إلى ثواب الآخرة والنعيم الأبدي.

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾.[٢]

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ﴾.[٣]

﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.[٤]

الصلاة والزكاة

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.[٥]

الصوم

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[٦]

---

١. سورة البقرة: ١٠٣.
٢. سورة البقرة: ١٩٧.
٣. سورة الأعراف: ٢٦.
٤. سورة يوسف: ٥٧.
٥. سورة البقرة: ١١٠.
٦. سورة البقرة: ١٨٤.

وتدلّ الآية الكريمة علىٰ ان الصيام يشتمل على الخير سواء في الباطن أو الظاهر، فباطنه خير وظاهره خير.

رعاية اليتامى

﴿ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾.[١]

﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَٱللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.[٢]

﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾.[٣]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.[٤]

عمل الخير

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾.[٥]

---

١. سورة البقرة: ٢٢٠.
٢. سورة البقرة: ٢٦٣.
٣. سورة البقرة: ٢٧١.
٤. سورة آل عمران: ١٠٤.
٥. سورة آل عمران: ١١٥.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾.[١]

الصبر

﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[٢]

طاعة الله والرسول

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.[٣]

التوبة

﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾.[٤]

الجهاد

﴿ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[٥]

---

١. سورة الزلزال: ٧ ـ ٨.
٢. سورة النساء: ٢٥.
٣. سورة النساء: ٥٩.
٤. سورة التوبة: ٣.
٥. سورة التوبة: ٤١.

وفاء الكيل

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾.[١]

﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.[٢]

الباقيات الصالحات

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾.[٣]

﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْـرَةَ ٱلْـحَيَاةِ ٱلدُّنْـيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.[٤]

السلام

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَـيْرَ بُـيُوتِكُمْ حَـتَّىٰ تَسْـتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.[٥]

---

١. سورة هود: ٨٤.
٢. سورة الإسراء: ٣٥.
٣. سورة الكهف: ٤٦.
٤. سورة طه: ١٣١.
٥. سورة النور: ٢٧.

ما عند الله

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.[١]

﴿ قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾.[٢]

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[٣]

﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللهِ خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ ﴾.[٤]

القرض الحسنة

﴿ وَأَقْرِضُوا ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾.[٥]

الحكمة

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾.[٦]

---

١. سورة القصص: ٦٠.
٢. سورة النساء: ٧٧.
٣. سورة الصف: ١٠ ـ ١١.
٤. سورة الجمعة: ١١.
٥. سورة المزّمّل: ٢٠.
٦. سورة البقرة: ٢٦٩.

الانفاق

﴿ فَاتَّقُوا ٱللهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيراً لِأَنفُسِكُمْ ﴾.[1]

ومن الآيات الآنفة الذكر يتّضح ان مفهوم الانفاق يتّسع ليشمل مجموع العبادات والأعمال الصالحة التي يقوم بها الانسان لوجه الله اضافة إلى التحلّي بالأخلاق الحسنة.

وحقاً ان رسول الله صلى الله عليه وآله هو قائد الخير فقد دلّ أُمّته على كلّ أعمال الخير وصفات الخير.

مفتاح البركة

لقد كان العالم قبل بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله غارقاً في ظلمات الجهل والانحطاط، كان يعيش بؤساً فكرياً وانحطاطاً أخلاقيّاً وسقوطاً اجتماعيّاً.

وعندما أضاء النور فوق جبل حراء، ونزل القرآن الكريم ساطعاً يضيء الحياة تبدّدت الظلمات، وانفتحت آفاق المعرفة والعلوم حتّى أشرق الانسان على آفاق بعيدة بلغت تخوم الغيب وعوالم ما وراء الطبيعة، كلّ ذلك حصل ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتم الأنبياء.

وخلال فترة وجيزة جداً نهض صرح حضاري عظيم وتأسست مدنية كبرى بهرت الشرق والغرب بما حققته من انجازات باهرة.

---

١. سورة التغابن: ١٦.

الاسلام في عيون الغرب

يقول المفكر «لبري»:

«لو لا ظهور الاسلام والمسلمين في التاريخ لظلت اوربا غارقة في التخلّف والظلام».

وقال غوستاف لوبون في كتابه «تاريخ الحضارة الاسلاميّة»:

في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وفيما وصلت حضارة الاسلام في الاندلس أوج رقيها كانت المراكز العلمية في اوربا عبارة عن قلاع قاسية يعيش داخلها الاقطاعيون.

وكانت مجتمعات اوربا تعيش حالة اجتماعية نصف متوحشة حيث النخبة المثقفة تتمثل في رهبان جهال يقضون أعمارهم في قراءة الكتب اليونانيّة القديمة.

لقد كانت الحالة البربريّة تسوّد أوربا لمدّة طويلة وفي القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر ظهرت شخصيّات بدأت تشعر بما تمرّ به اوربا من انحطاط ولذلك ولّت وجوهها صوب العالم الاسلامي ومدّت أيديها إلى المسلمين اساتذة العالم آنذاك.

ويستطرد غوستاف لوبون قائلاً:

«وفي عام ١١٣٠ م تأسست أوّل دار للترجمة في مدينة «طليطلة» برئاسة الاسقف الأعظم «لايمند» الذي أوعز بترجمة الكتب العربيّة إلى اللغة اللاتينيّة، وقد فعلت هذه الخطوة فعلها اذ فتحت عيون الاوربيين على الفكر والمعرفة والعلوم؛ فتم خلال تلك الفترة نقل العلوم والمعارف بدء من كتب محمّد بن زكريا

الرازي وابن سينا وابن رشد الاندلسي. =

والأهم من ذلك ترجمة كتب ومؤلفات جالينوس ديمقراطيس، وافلاطون وارسطوا واقليدس وارخميدس وبطليموس حيث كان المسلمون قد قاموا بترجمتها من اليونانيّة إلى العربيّة».

وأشار الدكتور «لكرك» في «تاريخ الطب» إلى أسماء أكثر من ثلاثمئة كتاب تمّت ترجمتها من العربيّة إلى اللاتينيّة قائلاً:

ان اطلاعنا على العلوم اليونانيّة حصل في القرون الوسطى من خلال ترجمة الكتب العربيّة ولو لا هذه الكتب لما أمكن لاوربا أن تنهل من تلك العلوم.

ان علوم اليونان وصلتنا عن طريق العرب لا عن طريق رهبان اوربا الذين يجهلون اللغة اليونانيّة.

ولهذا فان العالم اليوم مدين للمسلمين الذين تمكّنوا من المحافظة على تلك العلوم من الزوال والاندثار.

ويشير غوستاف لوبون إلى ما وصلت إليه اوربا من انحطاط قائلاً:

«في عام ٩٩٩ م انتهى گربرن دراساته وأصبح «بابا» الكنيسة باسم «سبلوستر الثاني» وعندما أراد نشر علومه في اوربا اتّهم بأنّ الشيطان قد حلّ في جسمه وأخرج منه الرب يسوع».

ويضيف قائلاً:

«حتّى القرن الخامس عشر الميلادي فان علماء اوربا يرفضون أيّة مقولة علميّة ما لم تستند إلى علماء الاسلام».

وذكر أسماء كبار علماء أوربا قائلاً انهم كانوا في الحقيقة تلامذة لدى علماء الاسلام.

ويقول المسيو رينان:

«ان آلبرت الأكبر الذي احدثت بحوثه العلميّة التغيير في الفكر الاوربي كانت علومه اقتباس من ابن سينا العالم الاسلامي الشهير، كما ان توماس قد اخذ كلّ فلسفته من الفيلسوف ابن رشد الاندلسي.

وإلى حوالي ستّة قرون كانت الجامعات في اوربا تعتمد الكتب والعلوم الاسلاميّة في مناهجها الدراسيّة.

حتى ان القانون في الطب لابن سينا ظل يدرّس إلى نهايات القرن الماضي.

ويقول أيضاً: ان أسلافنا نحن الاوربيّين قد تعلموا آداب المعاشرة من المسلمين وكانوا قبل ذلك يتصرّفون تصرّفات بربريّة، ثمّ بدأ تأثير الأخلاق والآداب الاسلاميّة يظهر في نظرتهم إلى الأسرة والزوجة والأبناء.

وقد أثبتت الحروب الصليبيّة تفوق المسلمين في مضمار الفضائل الأخلاقيّة والانسانيّة.

وقد اعترف بهذه الحقيقة المفكّر «بارتلمي» في كتابه «القرآن»:

«لقد تعلم نبلاؤنا آداب المعاشرة من العرب وكانوا يقلدون المسلمين في أخلاقهم وعاداتهم وشيئاً فشيئاً انتشرت هذه الآداب والأخلاق والصفات الحميدة والمدنية في اوربا».

لقد أحدثت الحضارة الاسلاميّة تأثيراً محيّراً في العالم بأسره وتحوّلت

المجتمعات الاوربيّة المتوحشة إلى مجتمعات متحضرة ومدنية.

ويخلص غوستاف لوبون في آخر كتابه إلى القول:

يجب أن نعرف انه لا يوجد مجتمع يمكن أن يتفوق على المجتمع الاسلامي من حيث الحضارة والمدنيّة والرقي العلمي والفكري.

ومن الناحية الدينيّة فانه ما يزال الدين الاسلامي أكثر الأديان حيويّة وعقلانيّة وكذلك الأسمىٰ أخلاقيّاً ويكفيه فخراً انه استطاع أن يربّي أوربا لتلحق بركب الحضارة».[1]

وتقول الدكتورة زيگريدهونكه في مقدمة كتابها الرائع «ثقافة الاسلام في اوربا»:

«ان هذا الكتاب (ثلاثة أجزاء) محاولة لتقديم الشكر الذي ندين به للمسلمين منذ قرون».

وقد أثبتت الدكتورة زيگريد هونكه من خلال دراساتها ان حضارة اوربا ومدنيتها وما انجزته من تقدم انما هي مدينة للاسلام، الاسلام الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله.

ومن المؤكّد انه لا أحد يعلم سوى الله سبحانه مدى البركات ومدى الخير الذي عمّ العالم أثر ظهور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبعثته ورحمة لكلّ العالمين وكيف يمكن احصاء ما حصل من رقي انساني وأخلاقي وتقدم معرفي على مدى خمسة عشر

---

١. ايدلوژي وفرهنگ اسلام از ديدگاه ژول لابوم (الايدلوجيّة وثقافة الاسلام، وجهة نظر حول الاسلام): ٣٤٥.

قرناً من تاريخ الانسانيّة الطويل!

بـطيبة رسـم للـرسول ومـعهد ... منير وقـد تـعفو الرسـوم وتـهمدُ
ولا تنمحي الآيات من دار حـرمة ... بها منبر الهادي كان الذي يـصعدُ
وواضـح آيـات وبـاقي مـعالم ... وربـع له فـيه مـصلّى ومسـجدُ
بها حـجرات كـان يـنزل وسـطها ... مـن الله نـور يسـتضاء ويـوقدُ
فبوركت يا قبر الرسول وبـوركت ... بلاد ثـوى فـيها الرشـيد المسـدّدُ
يدلّ على الرحمن من يـقتدي بـه ... وينقذ من هـول الخـزايـا ويـرشد
امام لهـم يـهديهم الحـق جـاهداً ... معلّم صـدق إن يـطيعوه يسـعدوا
عزيز عليه أن يحيدوا عن الهـدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عـطوف عـليهم لا يـثنّي جـناحه ... إلى كـنف يـحنو عـليهم ويـمهد
تذكّر الاء الرسـول ومـا أرى لهـا ... مـحصياً نـفسي فـنفسي تـبلّدُ
ومـا فـقد المـاضون مـثل مـحمّد ... ولا مـثله حـتّى القـيامة يُـفقدُ

الحمد لله ربّ العالمين

تمت الترجمة ليلة رمضان ١٤٣٦

المحتويات

تتمّة الدعاء الأوّل ٥
في التوحيد والحمد للحقّ تعالى ٥
ظلمات البرزخ ٧
مواقف الأشهاد ١٢
حقيقة النفس ١٤
محاسن الخلق ١٨
خلق آدم عليه السلام ١٩
الطيّبات من الرزق ٢١
معاني الرزق ٢١
الرزق الدائم ٢٣
معاني الطيّبات ٢٤
الغذاء الروحي ٢٥
الغنىٰ والفقر ٢٧
الفقر والغنى في الروايات ٢٨
الفقر والفخر ٢٩
شكران النعمة ٣٠
حقيقة الشكر ٣١

مراحل الشكر ٣١
كفران النعمة ٣٣
الانسان الشكور ٣٤
البسط والقبض ٣٦
الجسم وآليات العمل ٣٧
السعي البشري ٣٨
فَمَا هَكَذَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا ٤٣
حقيقة التكليف ٤٣
فلسفة التكليف ٤٤
غائيّة التكليف ٤٦
ولله الحجّة ٤٧
السعادة والشقاء ٥٠
السعادة والشقاء في القرآن الكريم ٥٠
السعادة والشقاء في الروايات ٥٢
الامتحان الالهي ٥٣
يسبح الملائكة بحمده والكائنات بمجده ٥٥
حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ وَسَبَباً إِلَى رِضْوَانِهِ ٥٨
الحمد طريق الكمال ٥٨
الثناء علىٰ غير الحق ٥٩
الاعتراف بالاحسان ٦٠
الحمد سلّم السعادة ٦٢
مقام الرضا ٦٣
الدعاء الثاني: في الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ ٦٥

وبيان صفاته ٦٥
وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ..... ٦٧
محمّد سيّد الكائنات..... ٦٩
الحقيقة المحمّدية ٧١
النبي الأكرم ﷺ في ضوء الآيات والروايات ٧٤
قيادة الأنبياء والأولياء..... ٧٥
الحقيقة المحمّديّة والانسان الكامل ٧٧
الأسرار العجيبة ٧٨
عبدالمطلب ٨١
البشارات..... ٨٣
النبي الأكرم ﷺ في التوراة والانجيل..... ٨٥
جوهرة الخلق الفريدة ٨٦
نور محمّد ﷺ ٨٧
حياة صاخبة ٨٨
حكاية أُخرى عن فخرالاسلام..... ٩٤
ميلاد محمد ﷺ..... ٩٥
حديث السيّدة آمنة ـ رضي الله عنها ـ..... ٩٧
العجائب التي رافقت ولادة النبي ﷺ..... ٩٨
أسماءه وألقابه الشريفة..... ١٠٠
في بادية بني سعد ١٠٥
في ظلال أبي طالب..... ١١٠
مرحلة الشباب ١١١
حلف الفضول ١١٢

النبي محمّد صلى الله عليه وآله والسيّدة خديجة الكبرى عليها السلام ١١٣
بناء الكعبة ١١٧
نداء جبرئيل ١١٩
رواية الامام الحسن العسكري عليه السلام ١٢٠
رسالة الاسلام ١٢٣
أخلاق النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم ١٢٦
أخلاق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الروايات ١٢٧
سفانة بنت حاتم الطائي ١٢٩
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صورة مشرقة وسيرة عطرة ١٣١
رسول الرحمة ١٣٧
الرسالة الخالدة ١٣٩
آيات الآفاق ١٤٠
ظاهرة الحياة ١٤١
السماوات والأرض ١٤٢
آيات أُخرى في النفس ١٥٢
آيات التشريع ١٥٤
الباحث عن الحقيقة ١٥٨
الرسالة ١٦٣
البرزخ أو عالم ما بعد الموت ١٦٩
دروس قرآنيّة ١٧١
توصيفات للحالة البهيميّة ١٧٧
توصيفات للحالة الشيطانيّة ١٧٨
حكاية عن العلّامة الطباطبائي ١٧٩

أشجار عالم الملكوت ١٨٠
سلّم الرقي الأخلاقي ١٨٤
النفس لدى الميبدي ١٨٦
الصفات الحميدة ١٨٨
الآثار النفسيّة للحسنات والسيّئات ١٩١
حكاية ١٩٢
العبوديَّة الحقيقيّة ١٩٣
أحبّ الخلق إلى الله ١٩٤
وصايا أبي ذر ١٩٥
الزينة في حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ١٩٦
الجواهر الأربعة ١٩٦
تعلّمت من الصادق ١٩٧
الرذائل الأخلاقيّة؛ الجذور والعلاج ٢٠٠
العلاج ٢٠١
حالات النفس ٢٠٤
حبّ النفس ٢٠٨
حديث النيران ٢١١
مراقبة النفس ٢١٢
أخلاق الصالحين ٢١٢
اشارة ٢١٤
داود الطائي ٢١٥
هموم داود الطائي ٢١٦
الهوىٰ وسقوط الانسان ٢٢٠

في سوق الكوفة ٢٢١
نصيحة زان ٢٢١
فطنة أميركبير ٢٢٢
علاج الأهواء النفسيّة ٢٢٣
الاستعدادات للموت ٢٢٥
شروط تزكية النفس ٢٢٦
المؤمن الحقيقي ٢٢٧
تعليم الكتاب والحكمة ٢٢٧
طاعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم ٢٢٩
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة ٢٣٠
جوهرة الأُمم ٢٣٩
الداعية المثال ٢٤٠
المؤمن الحقيقي في الآيات ٢٤١
الشهادة على الامم ٢٤٢
الشهادة على الامم ٢٤٢
المؤمن الحقيقي في الروايات ٢٤٣
الصفات البارزة لسيّد الكائنات ٢٤٥
الأمانة في الوحي ٢٤٥
الصفي والنجيب في الروايات ٢٤٧
الرسالة والرسول ٢٤٨
البلاغ الأخير ٢٤٩
ابلاغ الدين ٢٥٠
ينبوع الرحمة ٢٥١

رحمة الله في القرآن الكريم ٢٥٢
قائد الخير ٢٥٤
التقوى ٢٥٥
الصلاة والزكاة ٢٥٥
الصوم ٢٥٥
رعاية اليتامى ٢٥٦
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٦
عمل الخير ٢٥٦
الصبر ٢٥٧
طاعة الله والرسول ٢٥٧
التوبة ٢٥٧
الجهاد ٢٥٧
وفاء الكيل ٢٥٨
الباقيات الصالحات ٢٥٨
السلام ٢٥٨
ما عند الله ٢٥٩
القرض الحسنة ٢٥٩
الحكمة ٢٥٩
الانفاق ٢٦٠
مفتاح البركة ٢٦٠
الاسلام في عيون الغرب ٢٦١
المحتويات ٢٦٦